بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا العمل إهداء من أختكم فى اللّه

(نور الرسالة)

من مجموعة الرسالة البريدية

/http://groups.yahoo.com/group/Alryssalah

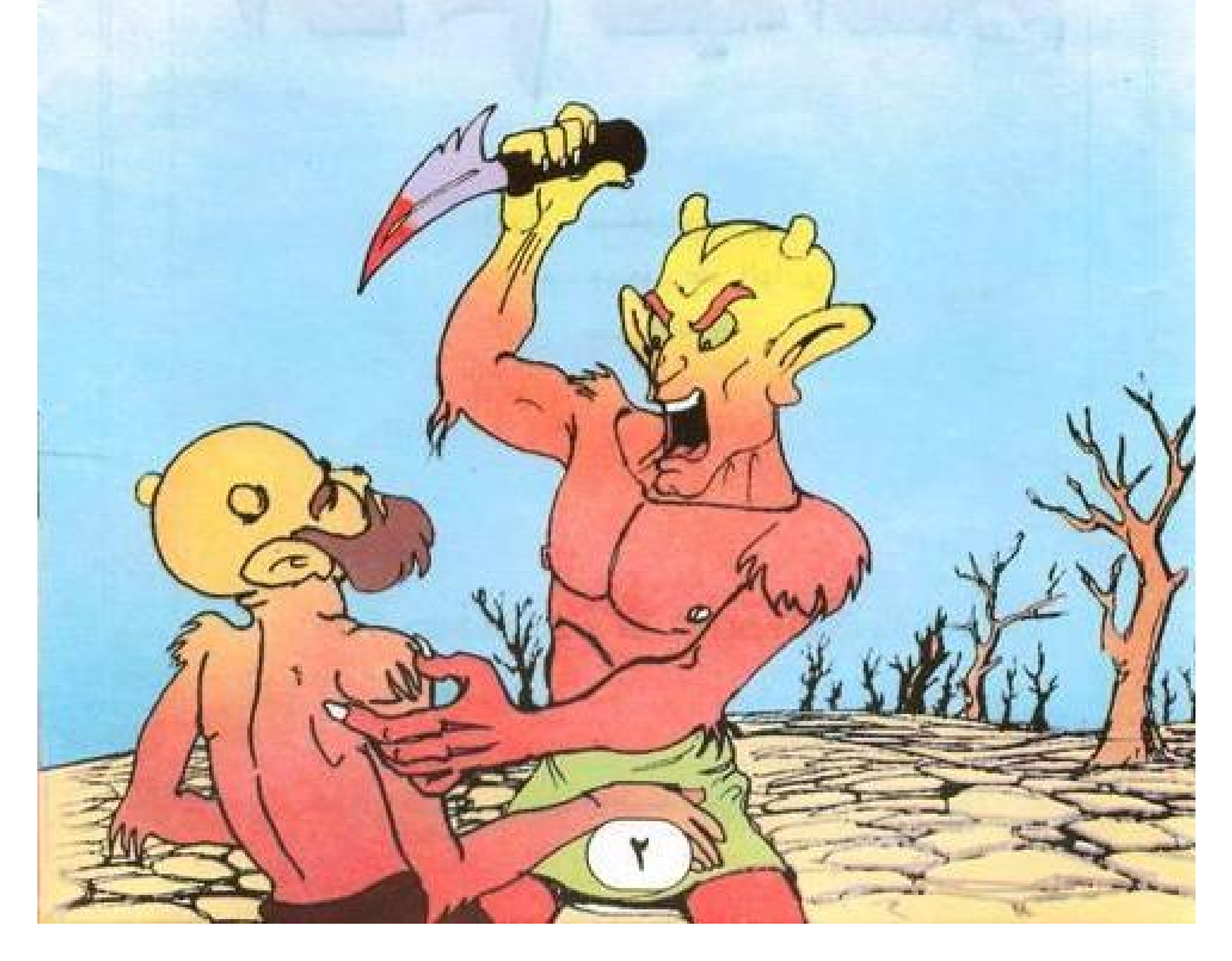


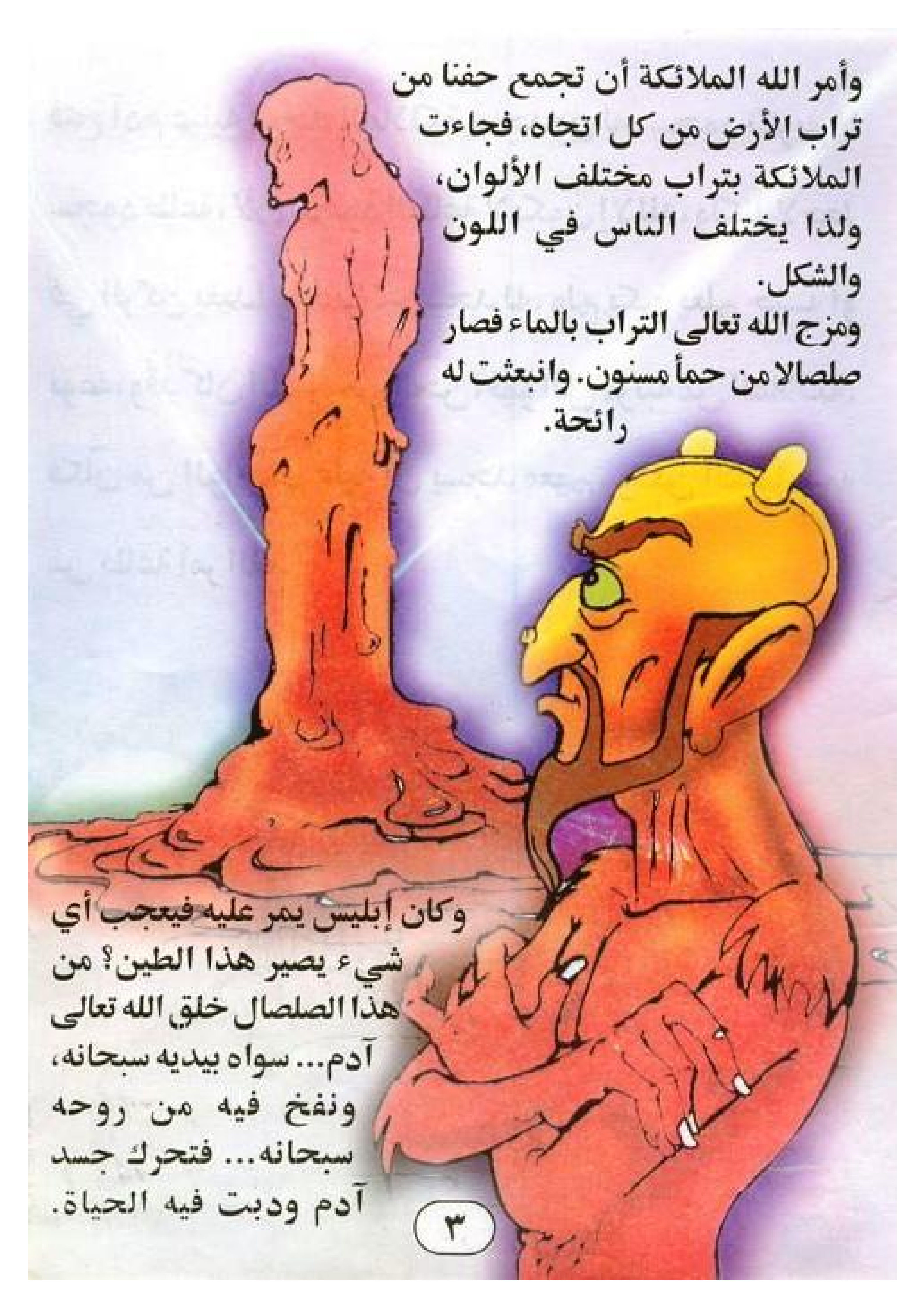



يتناول الكتاب مجموعة قصص الأنبياء للأطفال و الناشئين بأسلوب قصصى
مصور سهل و شيق
أيوب
آدم
شعيب
إسحاق
هود ولوط
عيسى
زكريا ويحيى
محمد
موسى وهارون
داود وسليمان
صالح
إبراهيم
إسماعيل
نوح
يوسف
يونس

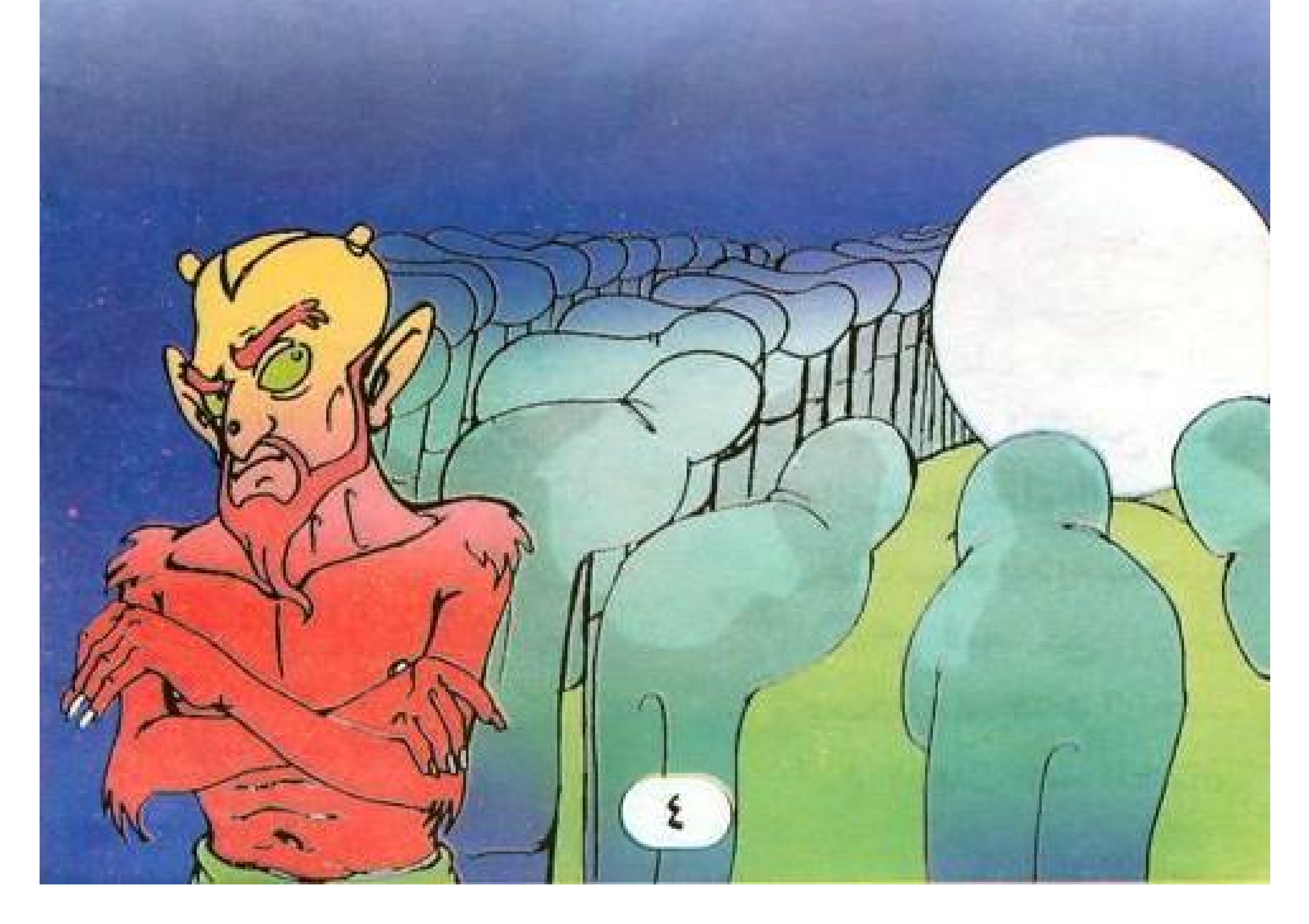

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
آدم عليه السلام
ينابيع

قبل أن يخلق الله تعالى آدم كانت هناك مخلوقات في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء، وقد أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة لمن سكن فيها، فاستفسرت الملائكة التي كان لا هم لها إلا عبادة الله، وخافت أن يكون ذلك المخلوق سيسفك الدماء ويفسد فيها، ولكن الله تعالى أخبر ملائكته أنهم لا يعرفون الغاية من خلق آدم.




وأمر الله الملائكة أن تجمع حفنا من
تراب الأرض من كل اتجاه، فجاءت
الملائكة بتراب مختلف الألوان،
ولذا يختلف الناس في اللون
والشكل.
ومزج الله تعالى التراب بالماء فصار
صلصالا من حمأ مسنون. وانبعثت له
رائحة.
وكان إبليس يمر عليه فيعجب أي
شيء يصير هذا الطين؟ من
هذا الصلصال خلق الله تعالى
آدم... سواه بيديه سبحانه،
ونفخ فيه من روحه
سبحانه... فتحرك جسد
آدم ودبت فيه الحياة.

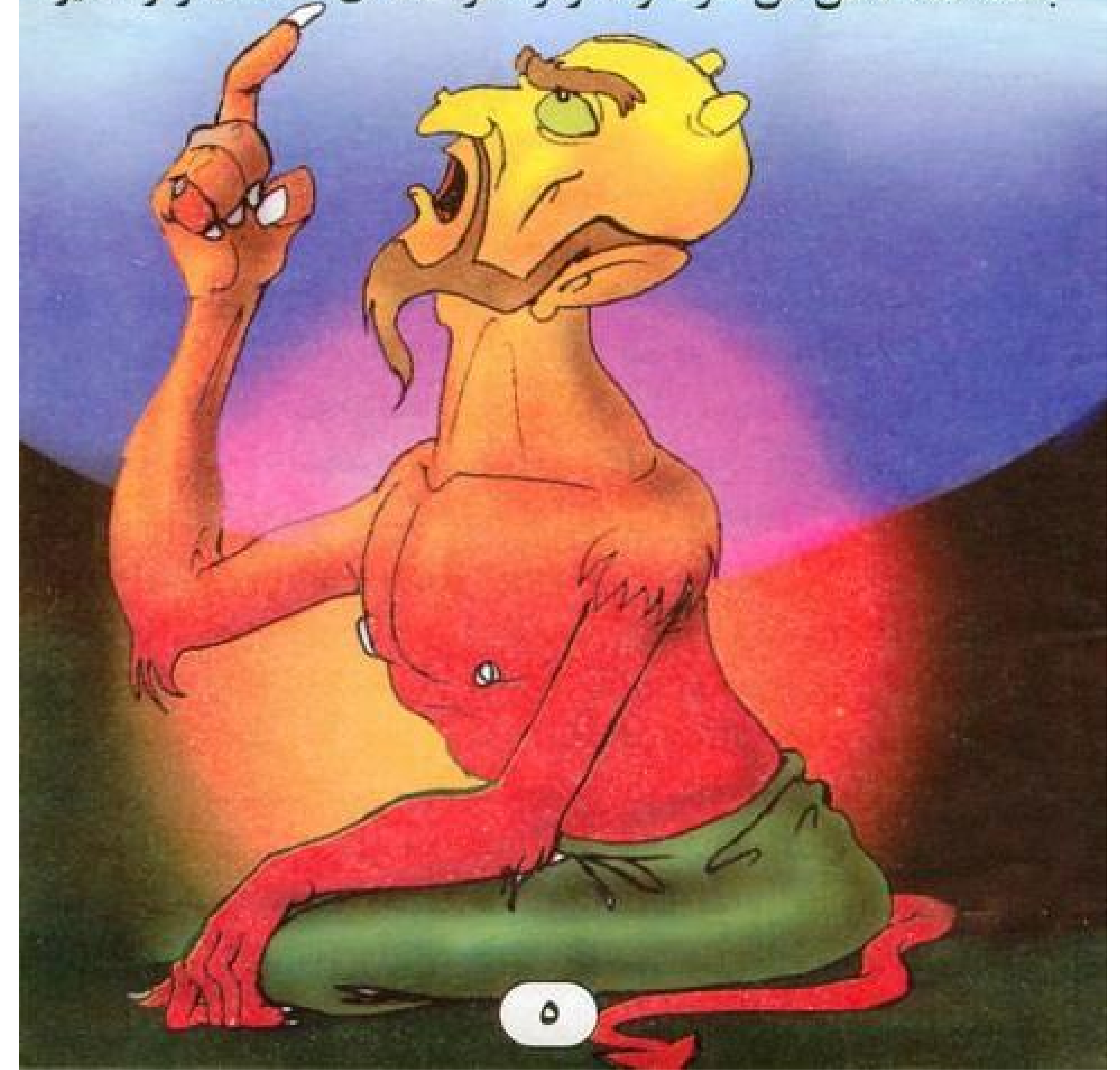
فتح آدم عينيه فوجد الملائكة يسجدون له، سجود تكريم لا سجود طاعة، لأن سجود الطاعة لا يكون إلا لله، ولكنه لاحظ في الركن بعيداً واحدا لم يسجد له، ولم يكن يعلم جنسه أو نوعه، وقد كان إبليس من الجن، فهو أقل مرتبة من الملائكة، فكان من الواجب عليه أن يسجد معهم، ولكن الكِبْر منعه من طاعة أمر الله.

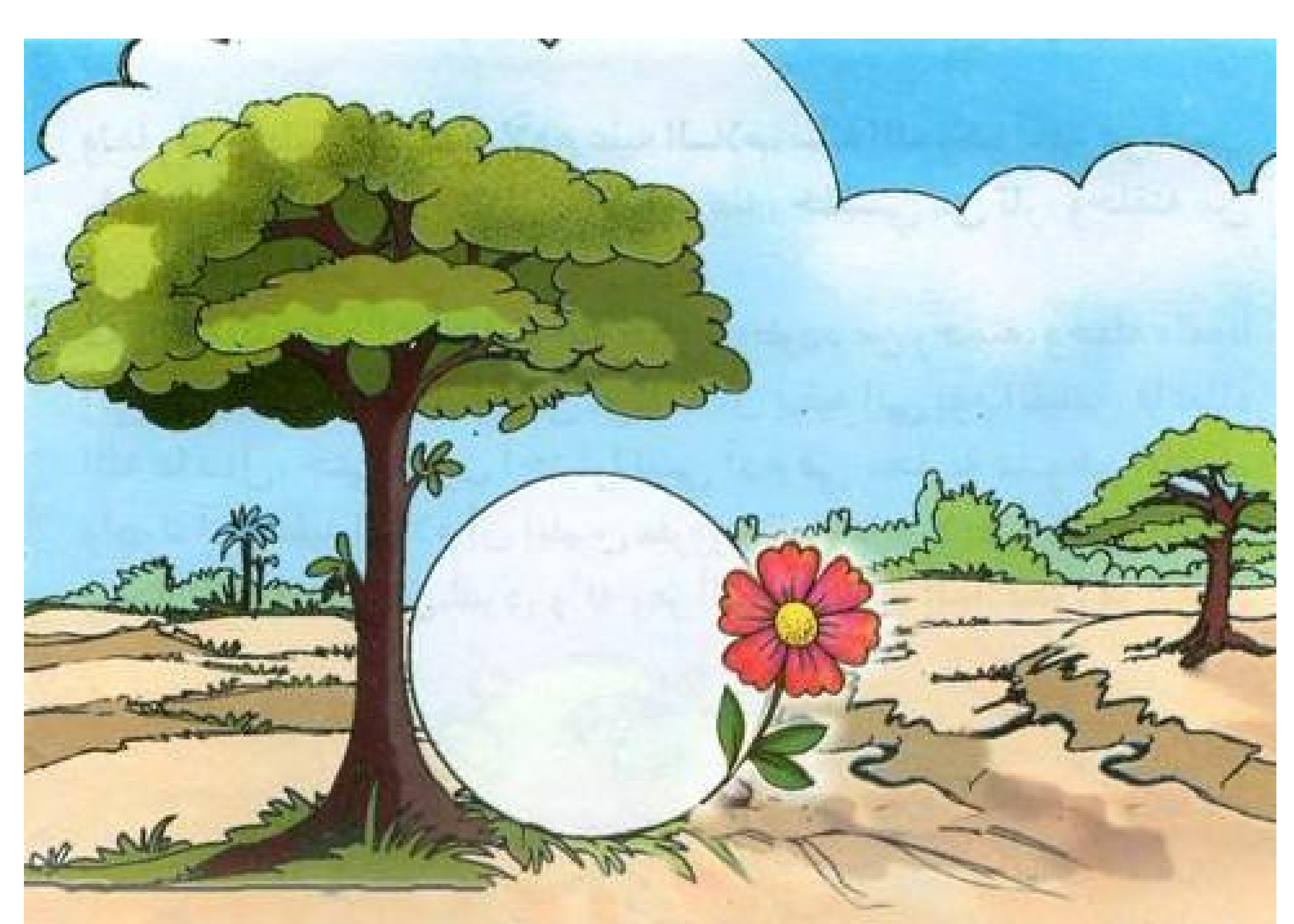


ولما رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام، سأله الله وهو أعلم عن سبب رفض إبليس للسجود، فقال: «أنا خير منه، خلقتني من نار، وخلقته من طين» والنار أفضل من الطين.

فكان من نتيجة ذلك أن لعنه الله تعالى، وطرده من رحمته، وجعله ملعونا إلى يوم القيامة، فطلب إبليس من الله أن يبقيه إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ما سأل، حتى يكون اختبارا لبني آدم في محاربة عدوهم إبليس.

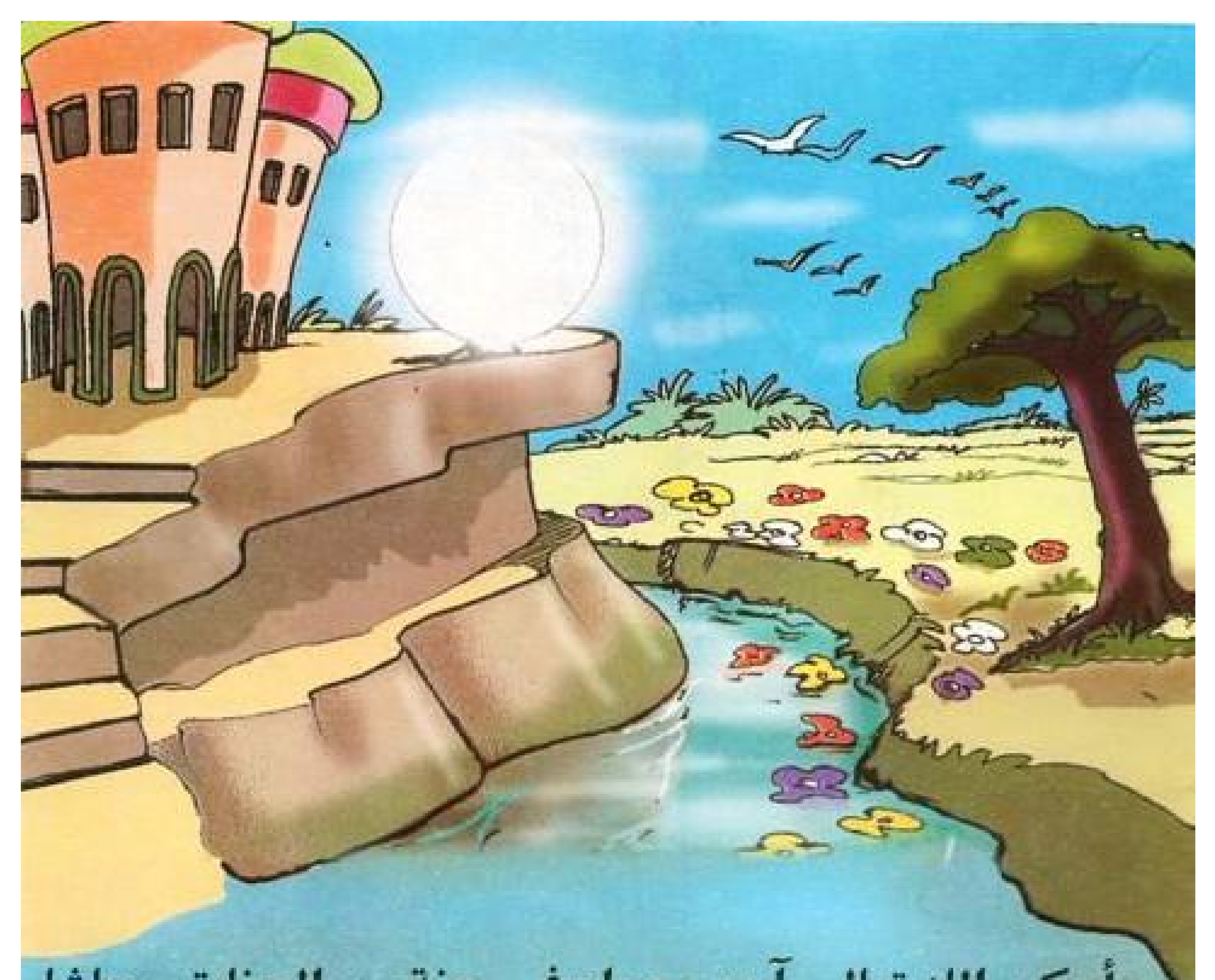
وأدرك آدم عليه السلام أن إبليس مغرور متكبر، وأنه لا يحبه، وأنه جاحد بنعمة الله، فاسق عن أمره. وأنه رمز الشر، كما أن الملائكة رمز الخير.



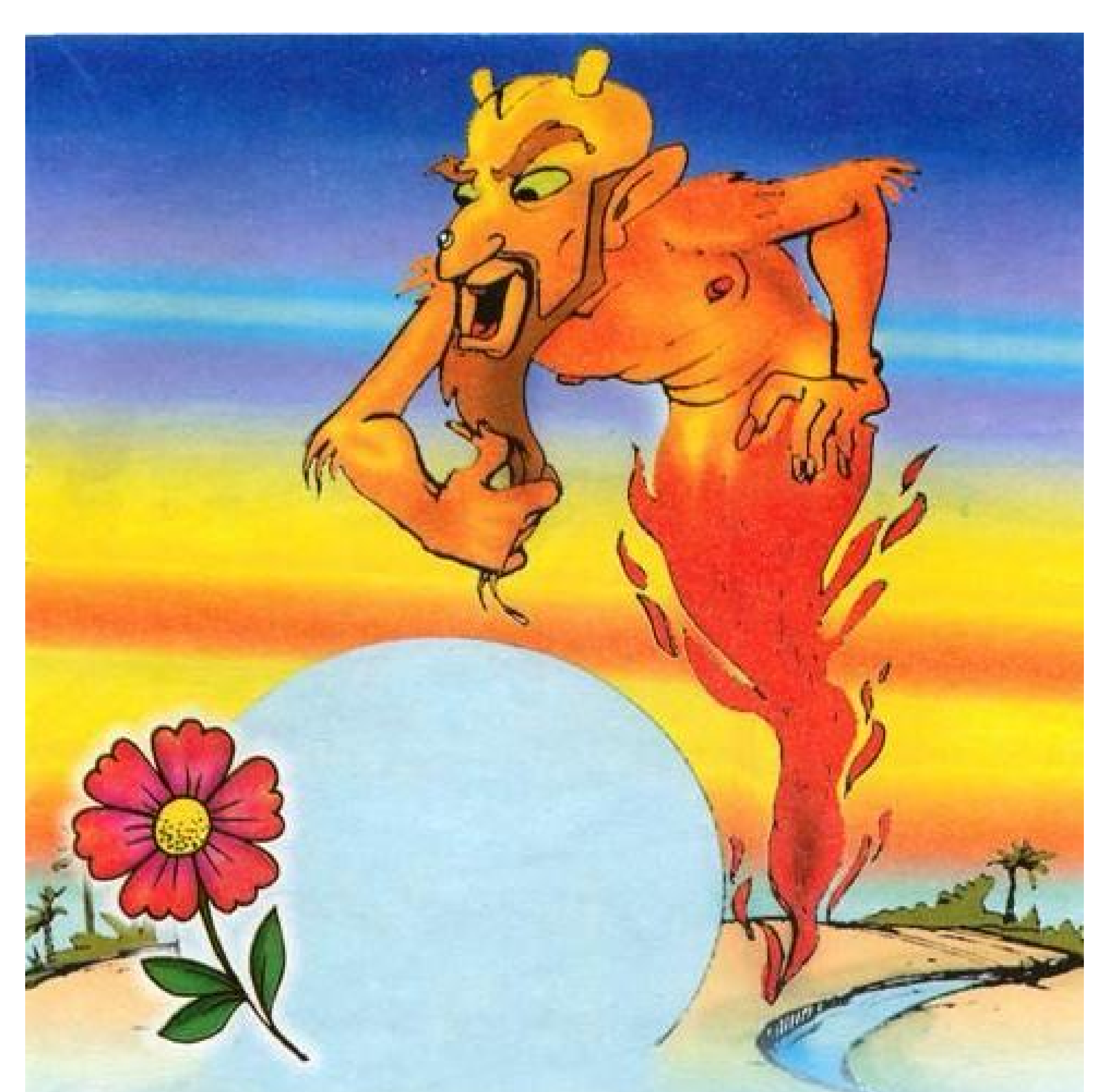


وأراد الله تعالى أن يعلم الملائكة حكمة خلق آدم عليه السلام، فسألهم عن أسماء بعض الأشياء، فردت الملائكة بتنزيه الله وأنها لا تعلم شيئا. وكان الله قد علم آدم الأسماء كلها، فهذا عصفور، وهذا نجم، وهذه شجرة، وهذه سحابة، وهذا هدهد، وهذا جبل إلى آخر الأشياء. وأمر الله آدم أن يسميها فسماها، فعلم الملائكة ما أراده الله تعالى من خلق آدم، وسبب اندهاشهم، وأن الله بكل شيء عليم.

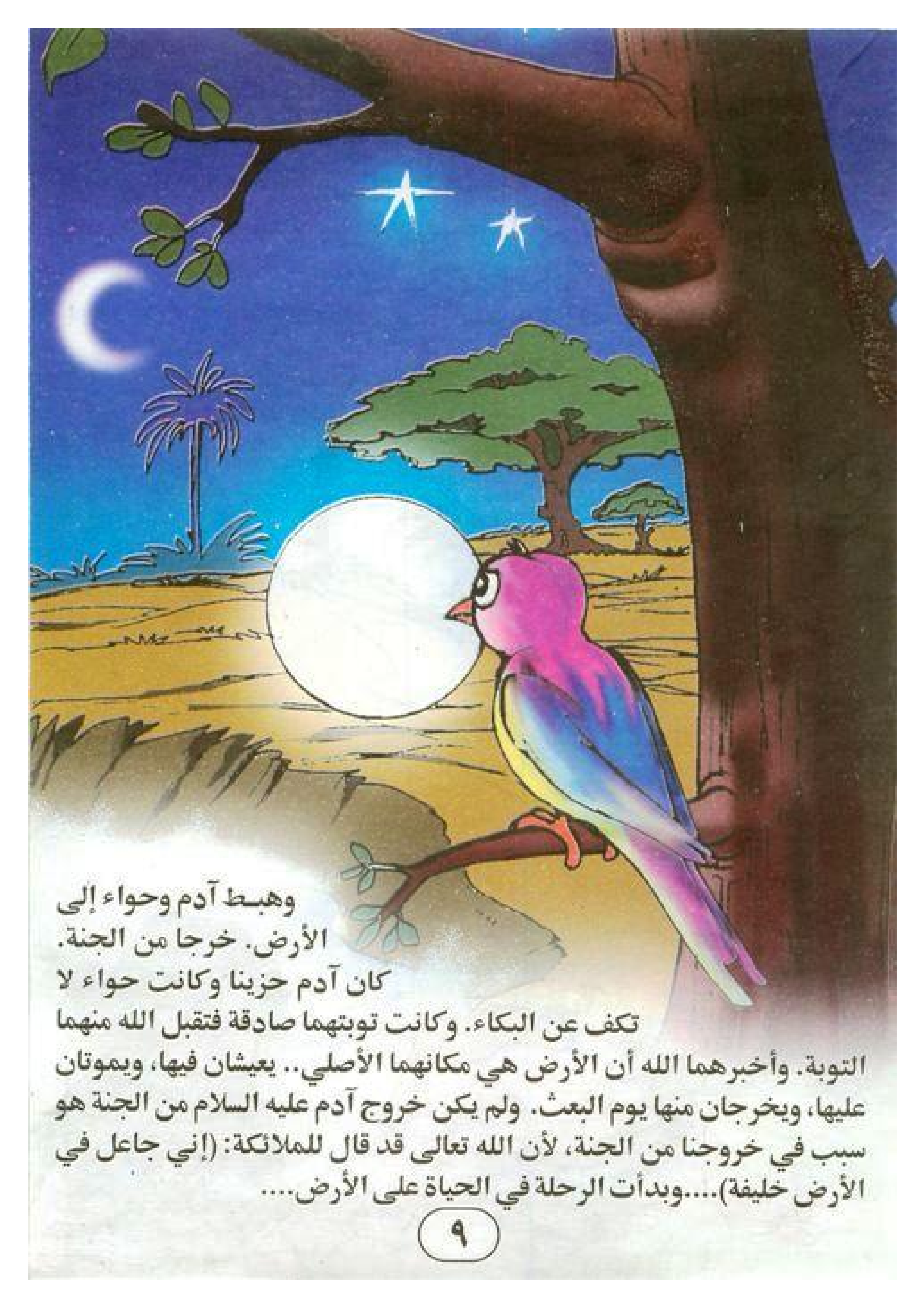
وكان آدم يشعر بأنه وحيد.. وفي يوم من الأيام نام آدم، فلما استيقظ آدم وجد عند رأسه امرأة تنظر إلى وجهه. فسألها آدم: لم تكوني هنا قبل أن أنام؟ فقالت: نعم. قال: هل جئت أثناء النوم؟ قالت: نعم. قال: من أين جئت..؟ قالت: جئت من نفسكِ.. خلقني الله منك وأنت نائم. فقال: لماذا خلقك الله؟ قالت: لتسكن إليَّ. قال آدم: حمدا لله.. كنت أحس الوحدة. فما سألت الملائكة عن اسمها. قال: إن اسمها حواء.. سألوه لماذا سميتها حواء يا آدم؟ فقال آدم: لأنها خلقت مني.. وأنا إنسان حي.



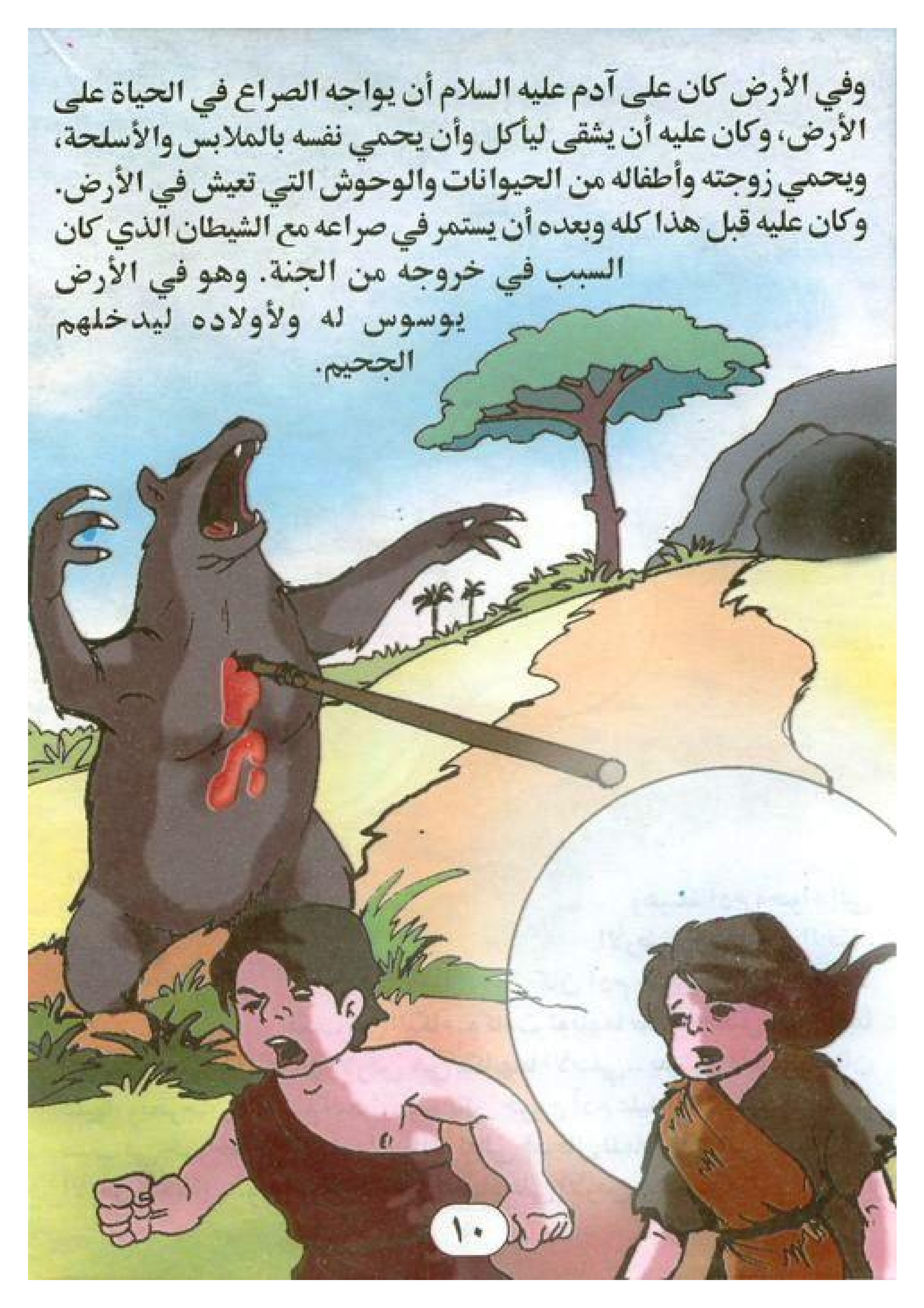
وأسكن الله تعالى آدم وحواء في جنة من الجنات، وعاشا حياة سعيدة، يتمتعان فيها بنعيم الحياة، حيث تغريد الطيور، وخرير المياه، والهواء النقي، والأشجار المتمايلة. وقد أباح الله لهما كل شيء إلا شجرة، فكانا يأكلان من الشجر ويتمتعان بهذه الحياة، فليس هناك تعب ولا ضجر، وليس هناك شر.

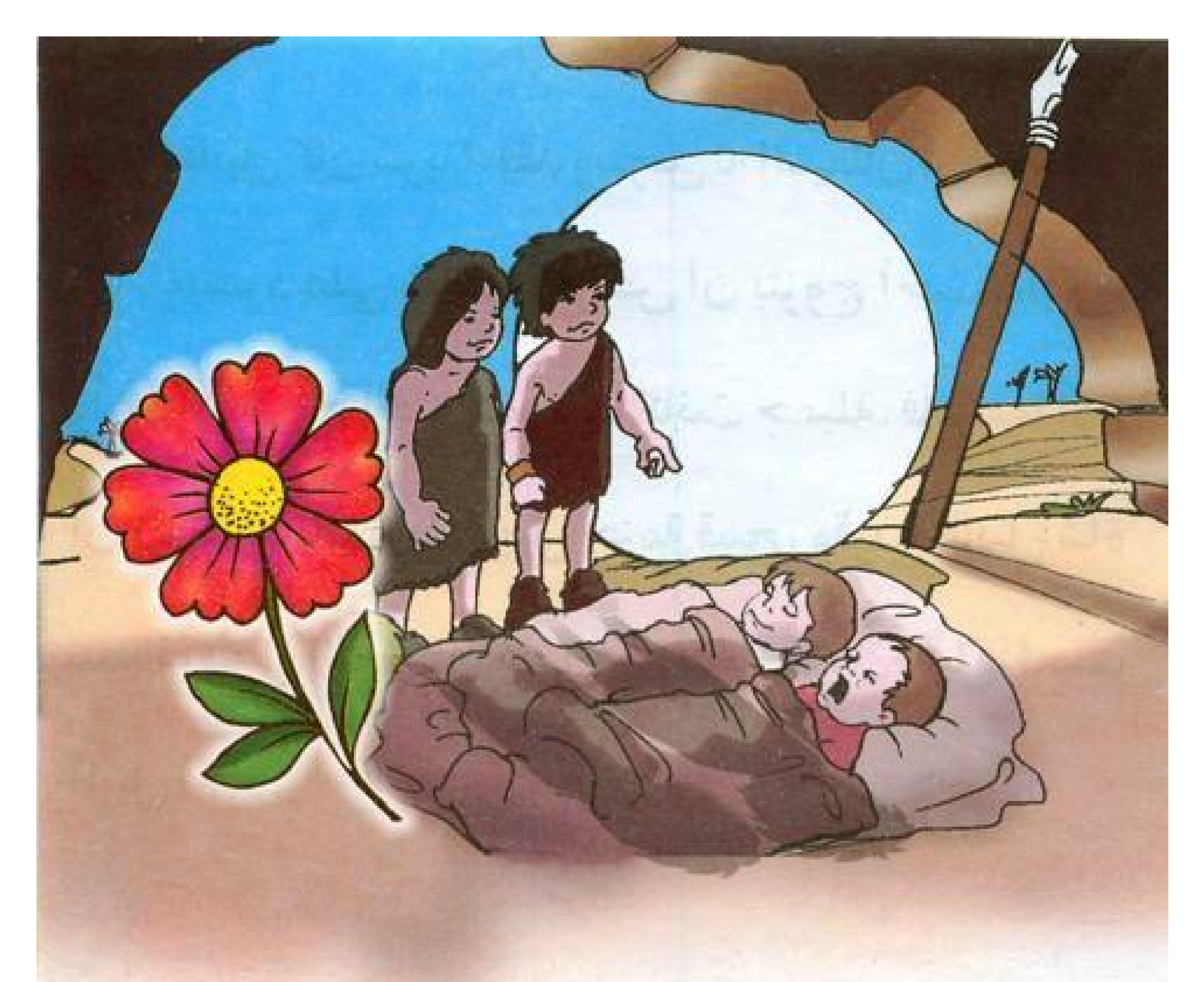


فمازال الشيطان يوسوس لهما، ويزعم أن من أكل منها لا يموت، ومازال الشيطان يوسوس لآدم وحواء حتى أكلا منها، ونسيا عهد الله، فأحس آدم بالخجل، وإذا به يرى نفسه عاريا، وزوجته عارية، وأخذا ورق الشجر يستران به عورتهما، وذكرهما الله بتحذيره لهما من الشيطان، فاستغفرا الله، وتاب الله عليهما، وأهبطهما إلى الأرض.



وهبـط آدم وحواء إلى
الأرض. خرجا من الجنة.
كان آدم حزينا وكانت حواء لا
تكف عن البكاء. وكانت توبتهما صادقة فتقبل الله منهما
التوبة. وأخبرهما الله أن الأرض هي مكانهما الأصلي.. يعيشان فيها، ويموتان
عليها، ويخرجان منها يوم البعث. ولم يكن خروج آدم عليه السلام من الجنة هو
سبب في خروجنا من الجنة، لأن الله تعالى قد قال للملائكة: (إني جاعل في
الأرض خليفة)....وبدأت الرحلة في الحياة على الأرض....

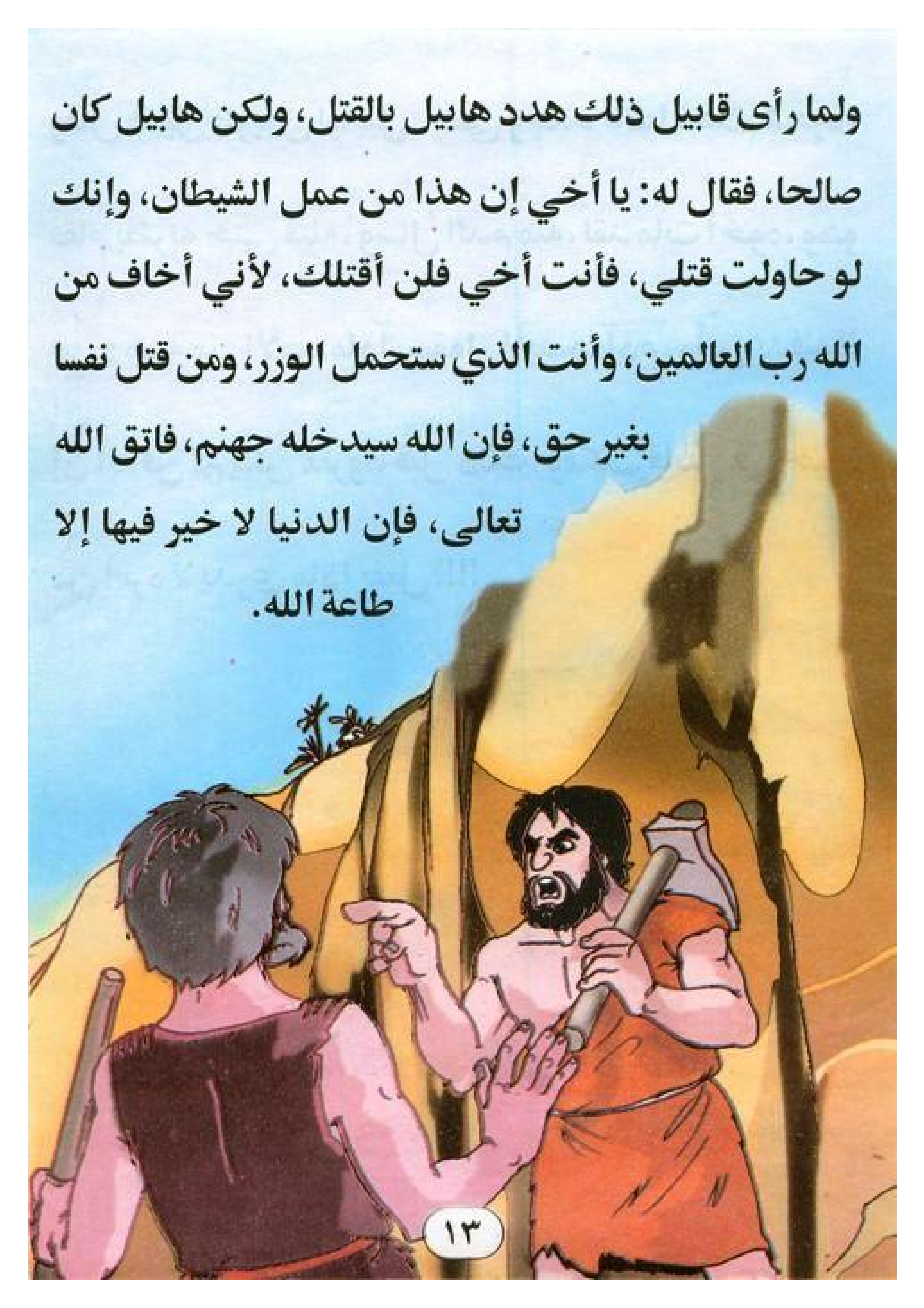

وفي الأرض كان على آدم عليه السلام أن يواجه الصراع في الحياة على الأرض، وكان عليه أن يشقى ليأكل وأن يحمي نفسه بالملابس والأسلحة، ويحمي زوجته وأطفاله من الحيوانات والوحوش التي تعيش في الأرض. وكان عليه قبل هذا كله وبعده أن يستمر في صراعه مع الشيطان الذي كان السبب في خروجه من الجنة. وهو في الأرض يوسوس له ولأولاده ليدخلهم الجحيم.



وكانت حواء تلد في كل بطن ولدا وبنتا، وأباح الله تعالى أن يتزوج ولد البطن الأولى من بنت البطن الثانية، وولد البطن الثانية من بنت البطن الأولى، حتى تعمر الأرض، وكان من بين الأولاد قابيل وأخته وهابيل وأخته، وكان من شريعة الله أن يتزوج قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل.

ولكن قابيل كان شريرا، فقد وسوس له الشيطان أن يترك أمر الله، ويتمرد على شريعته، فرفض أن يتزوج أخت هابيل، وأراد أن يتزوج أخته هو، لأنها كانت جميلة، فأمرهما آدم أن يقربا قربانا، فقرب قابيل حزمة قمح، وقرب هابيل شاة سمينة، فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، فحسد قابيل أخاه.





ولما رأى قابيل ذلك هدد هابيل بالقتل، ولكن هابيل كان صالحا، فقال له: يا أخي إن هذا من عمل الشيطان، وإنك لو حاولت قتلي، فأنت أخي فلن أقتلك، لأني أخاف من الله رب العالمين، وأنت الذي ستحمل الوزر، ومن قتل نفسا بغير حق، فإن الله سيدخله جهنم، فاتق الله تعالى، فإن الدنيا لا خير فيها إلا طاعة الله.

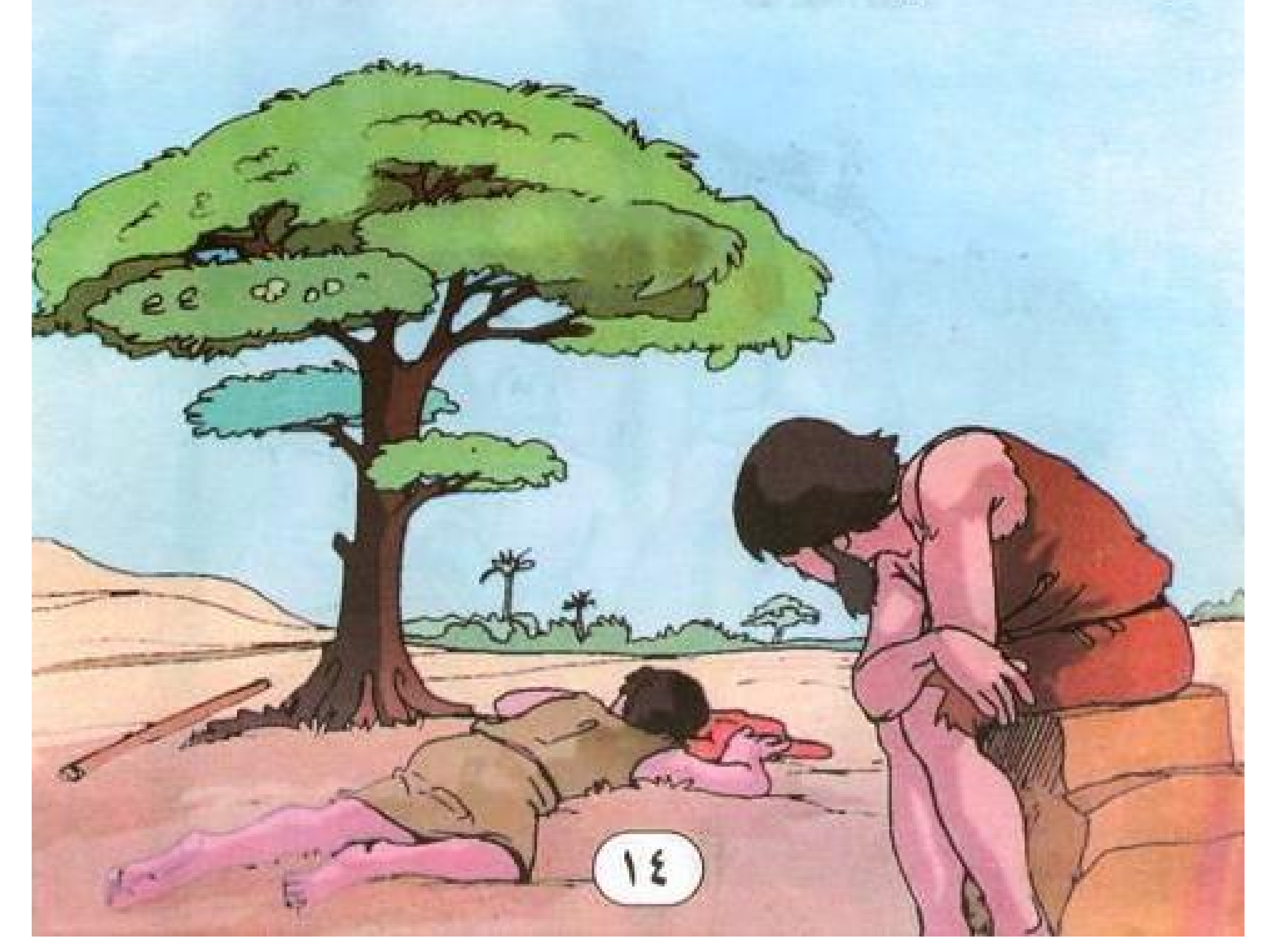
وظل قابيل يتربص لهابيل، حتى وجده نائما تحت شجرة،

فقام بضربه حتى قتله، وسال الدم منه، لقد مات أخوه، وهو

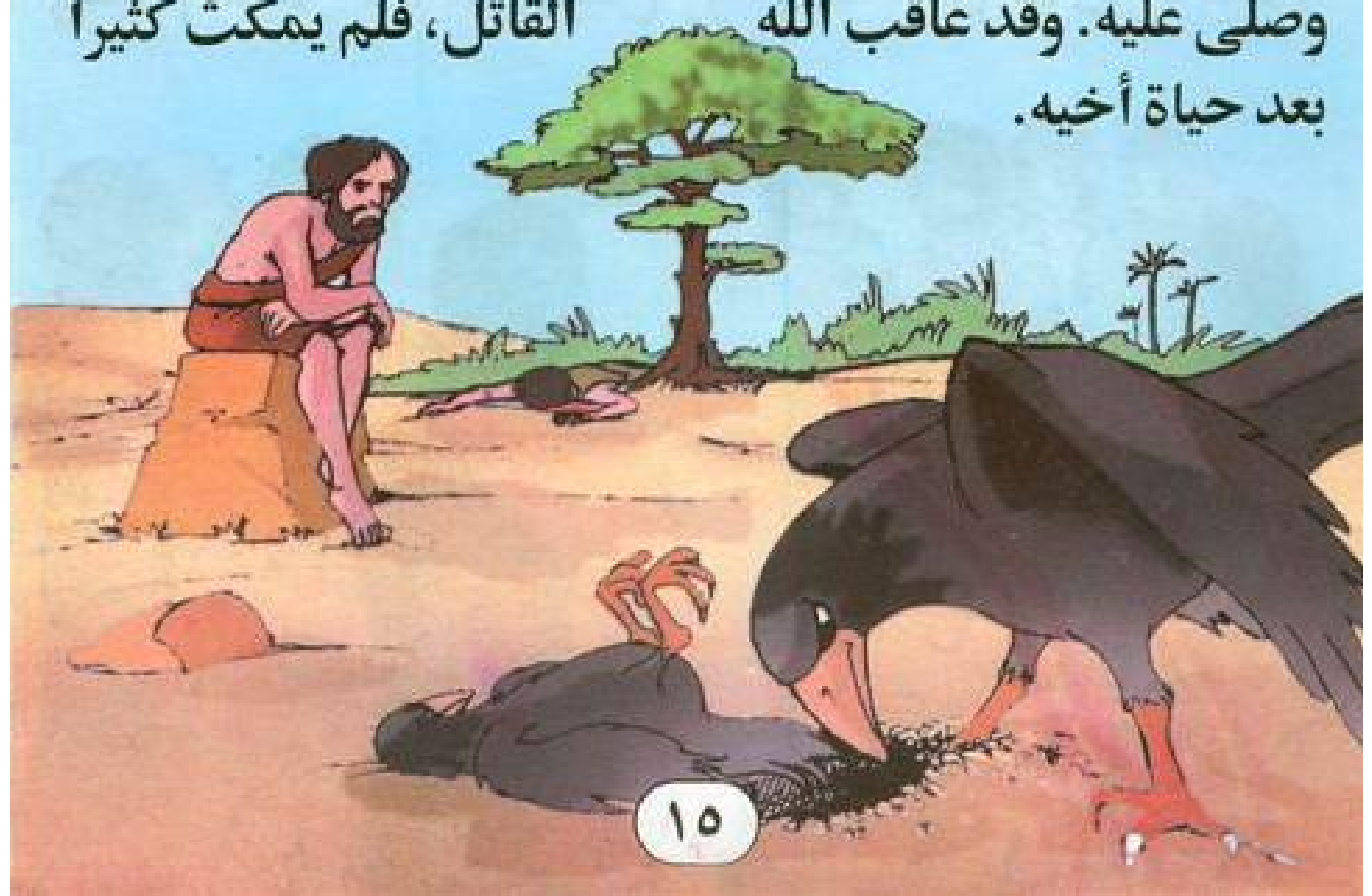
في دهشة من الأمر، ماذا سيقول لأبيهما آدم، وأين يدفنه؟!

إن الدفن لم يكن معروفا قبل ذلك، ومكث قابيل في حيرة

من أمره لا يدري ماذا يفعل؟!!!



وفي أثناء ذلك التفت قابيل القاتل، فوجد غرابا حيا يصرخ فوق جثة غراب ميت، ووضع الغراب الحي الغراب الميت على الأرض وساوي أجنحته إلى جواره وبدأ يحفر الأرض بمنقاره ووضعه برفق في القبر ثم صرخ صرختين قصيرتين وعاد يهيل عليه التراب.. بعدها طار في الجو وهو يصرخ. وقف قابيل وانكفأ على جثة شقيقه .. صرخ من عجزه عن مواراة جثة أخيه، واهتز جسد القاتل ببكاء عنيف ثم أنشب أظافره في الأرض وراح يحفر قبر شقيقه حتى دفنه، ووصل الخبر إلى آدم عليه السلام. فقال: فعلها الشيطان. لقد وسوس لابني كي يقتل أخاه. وحزن حزنا شديدا على خسارته في ولديه. فقد مات أحدهما، وكسب الشيطان الثاني في صفه، وصلى عليه. وقد عاقب الله القاتل، فلم يمكث كثيرا بعد حياة أخيه.

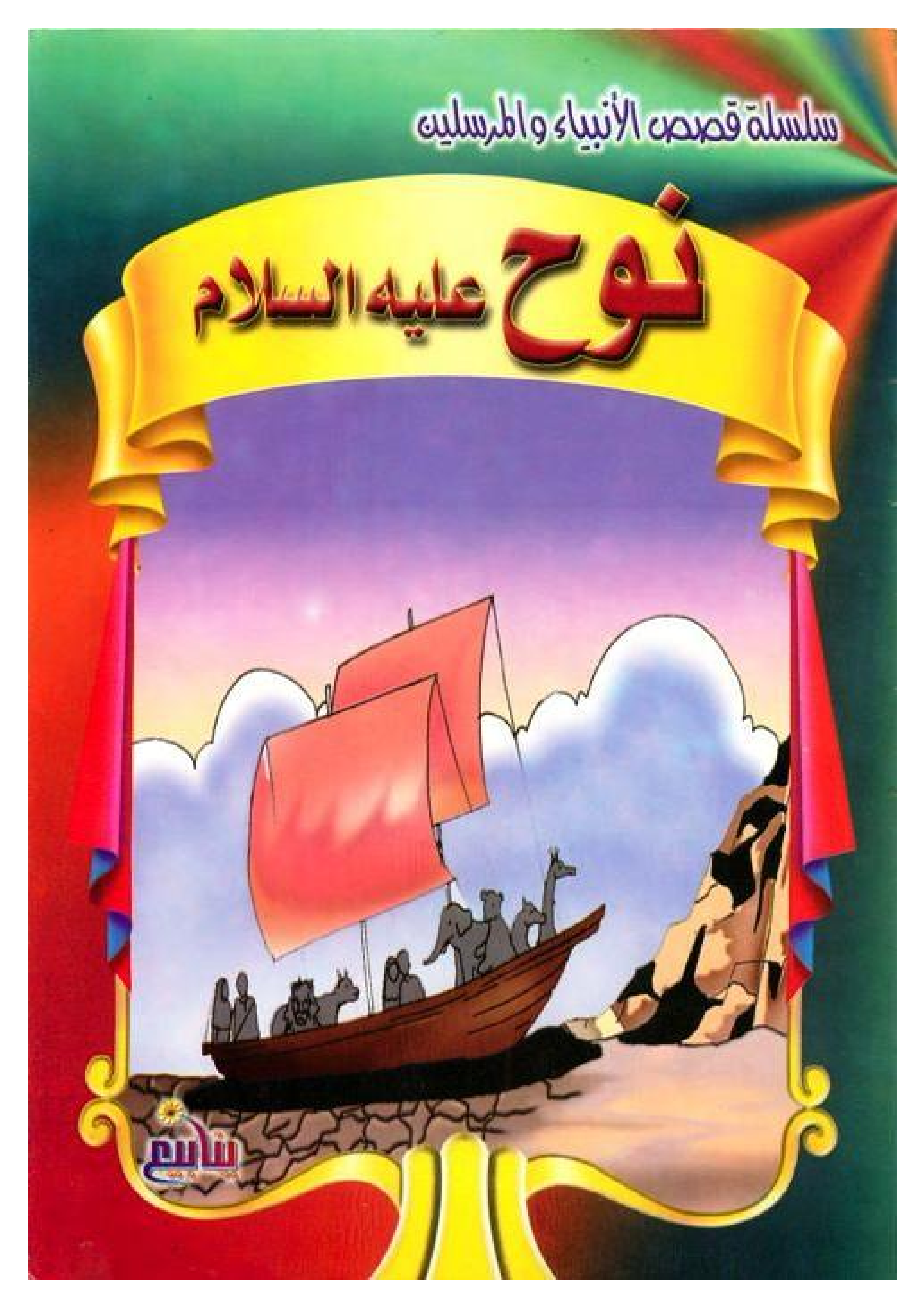


وظل آدم يعمل في الأرض يعمر فيها، ويبني، ويرشد أولاده إلى عمل الخير، والبعد عن الشر ويحذرهم من الشيطان.

وقبل أن يموت آدم عليه السلام جمع أولاده، وأوصاهم ببعض الوصايا التي تنفعهم في حياتهم، وأخبرهم أن الله سيرسل للناس رسلا، يرشدونهم إلى عبادة الله وحده، وإن اختلفت ألسن الناس، واختلفت أشكالهم، لكن رسالة الله واحدة.

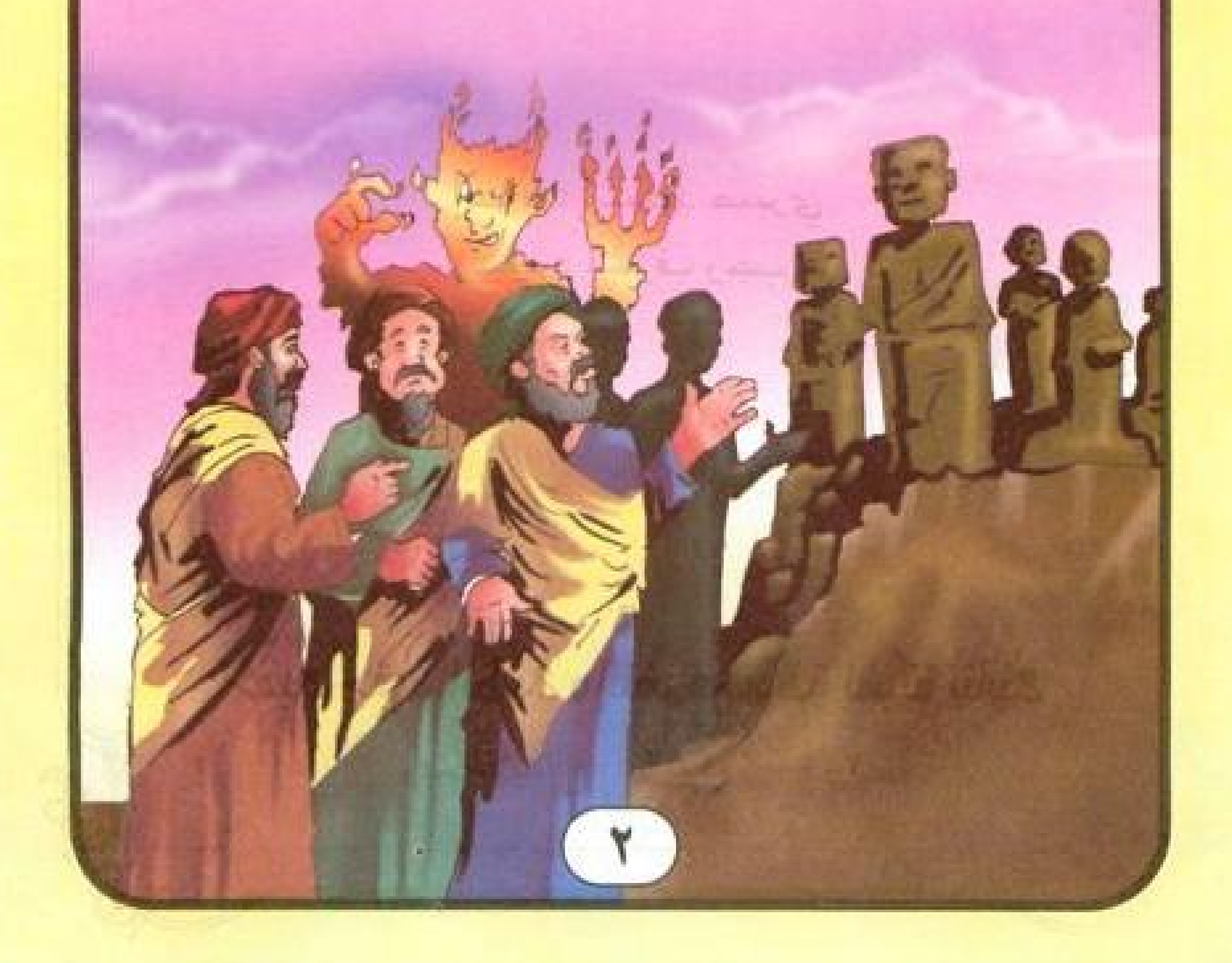
وأغمض آدم عليه السلام عينيه، ودخلت عليه الملائكة، وتقدم ملك الموت وقبض روحه بعد أن أدى الأمانة.

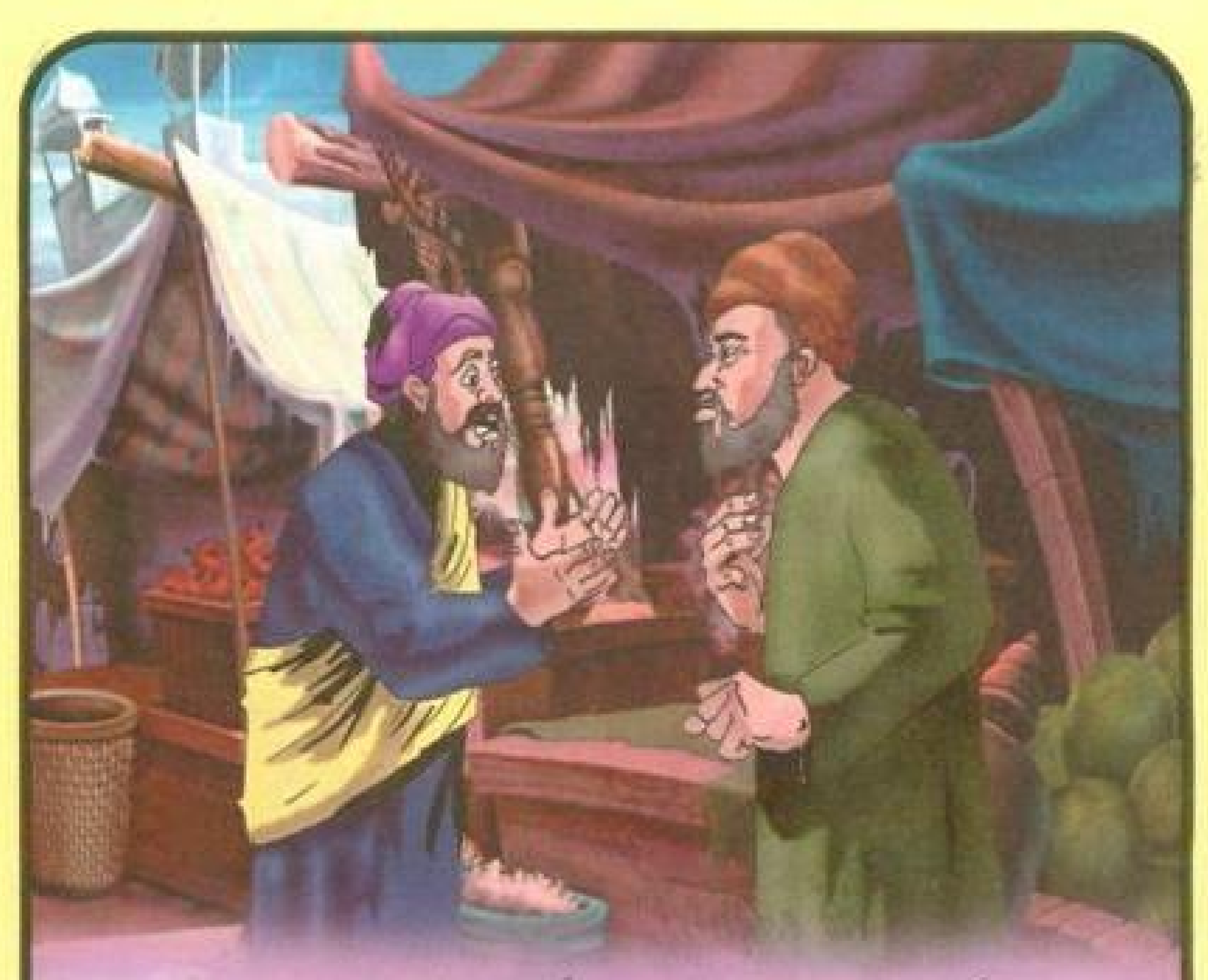



سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
نوح عليه السلام

مات آدم عليه السلام ، واشتهر خمسة رجال بالصلاح هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، وأحبهم الناس حباً شديداً، وبعد موتهم حزن عليهم الناس حزناً شديداً، وصنعوا لهم تماثيل لكي يذكرونهم دائماً .

ثم مات أولئك الذين صنعوا التماثيل ، وجاء بعدهم أبناءهم ثم ماتوا ، ثم جاء بعدهم أبناء أبناءهم ، ولم يعرفوا لماذا صنعت هذه التماثيل ، واستغل الشيطان هذه الفرصة وأغواهم وأقنعهم بأن هذه آلهة ، وبدأوا يعبدونها من دون الله ، ومن هنا ظهر الشرك والكفر .





كان نوحاً عليه السلام عظيماً في قومه ، واختاره الله واصطفاه علي بقية الخلق ليدعوهم إلي عبادة الله وترك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، واختاره الله ليس لأنه أغني قومه أو السيد علي القوم أو الحاكم وإنما لطهارة قلبه وصفاءه ونقاء عقيدته.

واختاره الله أيضاً لسبب آخر وهو أنه كان دائم الشكر. فإذا أكل أو شرب حمد الله وشكره ، وإذا لبس ثوبه شكر الله ، وإذا خرج أو دخل في بيته شكر الله ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالي عنه : (إنه كان عبداً شكوراً).

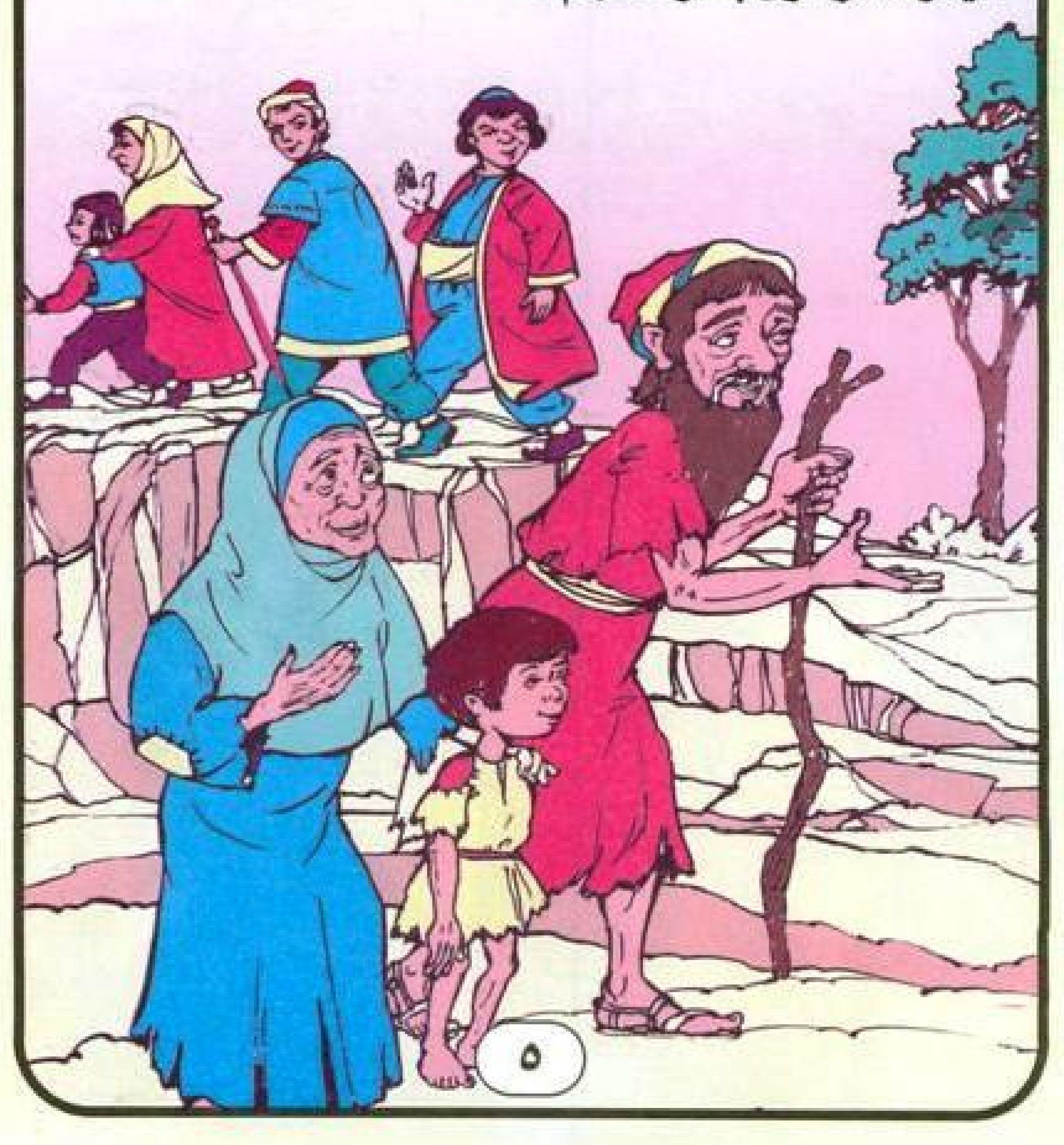
فاختاره الله ليكون رسولاً ونبياً علي قومه ، يدعوهم إلي عبادة الله وعدم الشرك به .

ظل نوح يدعو قومه ويبذل ما في وسعه ويدعو قومه إلي عبادة الله وترك الأصنام ، وأخذ يدعوهم زمنا طويلا ، مرة بالنصح ومرة بالتدبر والنظر في خلق الله وبالنظر في أنفسهم وما أعطاهم الله من نعمة العقل وعبادة غير الله ظلم وموت للعقل .

وكان يدعوهم سرا وعلانية ويبين لهم أن الشيطان قد خدعهم ، وحان الوقت ليتوقفوا عن هذه الخدعة ، ولم يطلب من دعوته أجرا منهم إنما الأجر من الله إلا أنهم ازدادوا كفرا وعنادا .

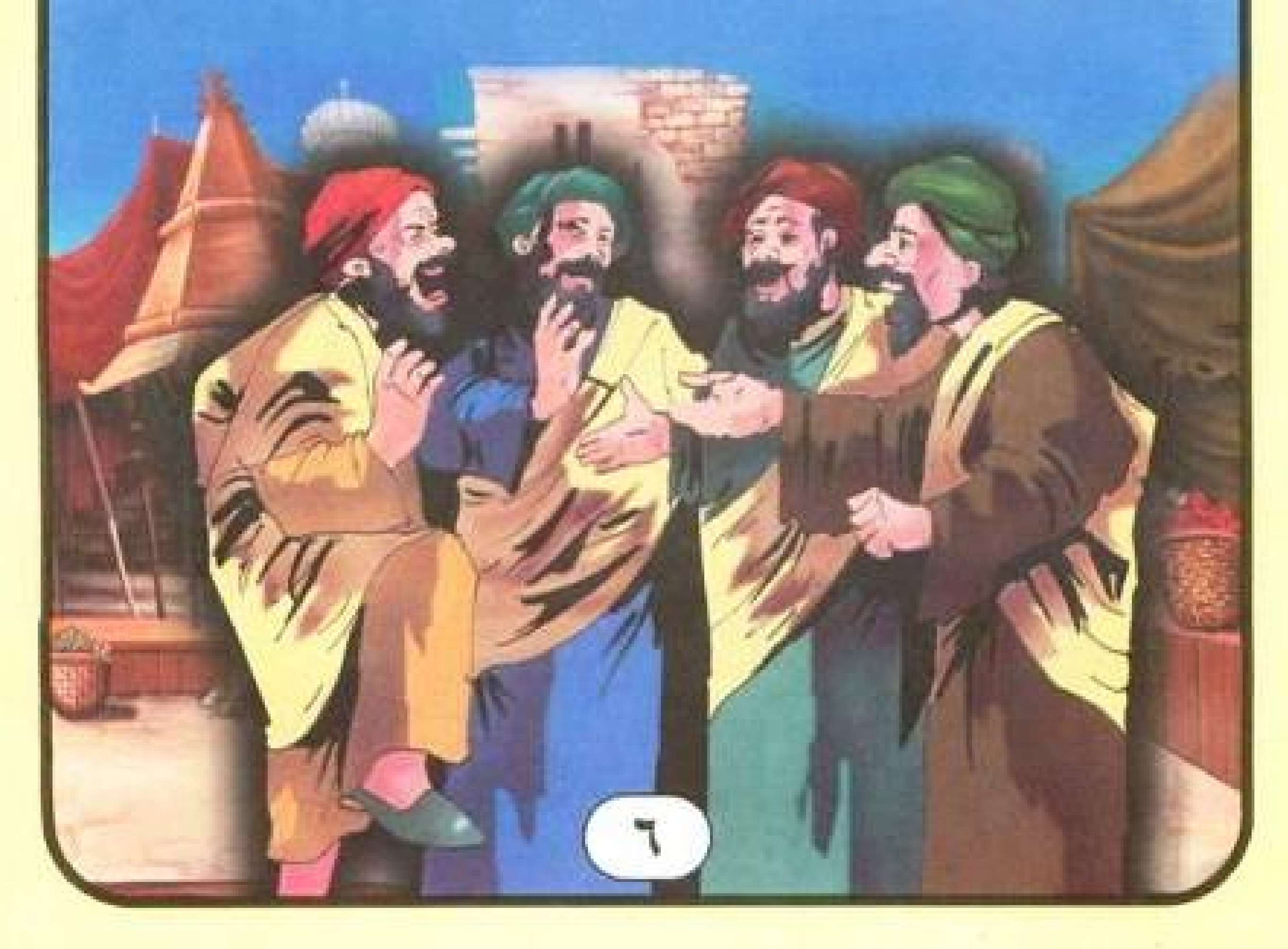


استجاب لدعوة سيدنا نوح عدد قليل من الفقراء والضعفاء أما الأغنياء الأقوياء والحكام فلم يستجيبوا لدعوته ، ولم تؤمن به زوجته وأحد أبنائه وقالوا كيف يكون الرسول بشراً مثلهم؟! ، وبين لهم سيدنا نوح أنه بشر ، ولو كان علي الأرض ملائكة لكان الرسول من الملائكة ، ولكنهم بشر فيكون الرسول بشر مثلهم .



أخذ الكفار يهاجمون سيدنا نوح ويقولون له لقد آمن بك الفقراء والضعفاء ، فرد عليهم سيدنا نوح بأن هؤلاء الفقراء والضعفاء قد آمنوا بالله والله أعلم بما فى أنفسهم ولجأ الكفار إلي المساومة وقالوا لنوح عليه السلام : إذا أردت أن نؤمن فاطرد هؤلاء الفقراء والضعفاء لأنه من المستحيل أن تضمنا نحن الأغنياء الأقوياء والحكام دعوة واحدة ، فرد عليهم نوح عليه السلام بأنه ليس من حقه أن يطرد من يشاء .

وبعد هذه المحاولة لجأوا إلي سوء الأدب مع النبي نوح عليه السلام وشتموه : (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) فرد عليهم بأدب عظيم : (قال يا قوم ليس بي ضلالة واني رسولاً من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) .



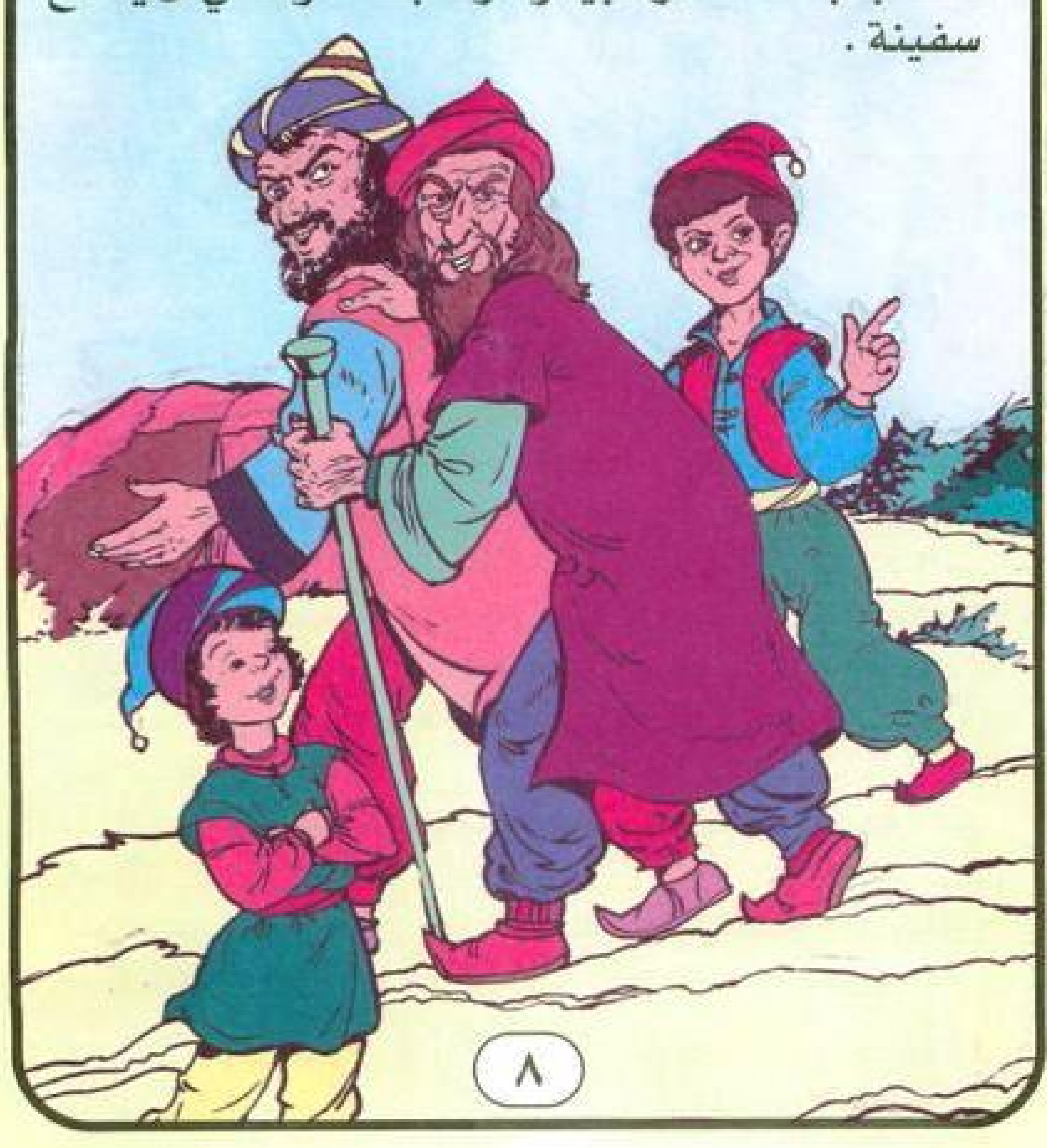
كان الكافرون في قمة العناد والكفر وكانوا لا يطيقون سماع سيدنا نوح عليه السلام ، حتي أن بعضهم حينما كانوا يرون نوح عليه السلام يعرضون عن عبادة الله يضعون أصابعهم في آذانهم حتي لا يسمعوا كلام سيدنا نوح ، وكانوا يضعون ثيابهم علي وجوههم حتي لا يروه ، واستمر هذا الأمر فترة طويلة حتي طلبوا منه أن يأتيهم بعذاب الله .

يا إلهي يطلبون العذاب بأنفسهم فقد صموا وعموا عن الحق.

لكن سيدنا نوح حزن عند سماعه قول الكفار ولم ييأس ، وكان عنده أمل في أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له .



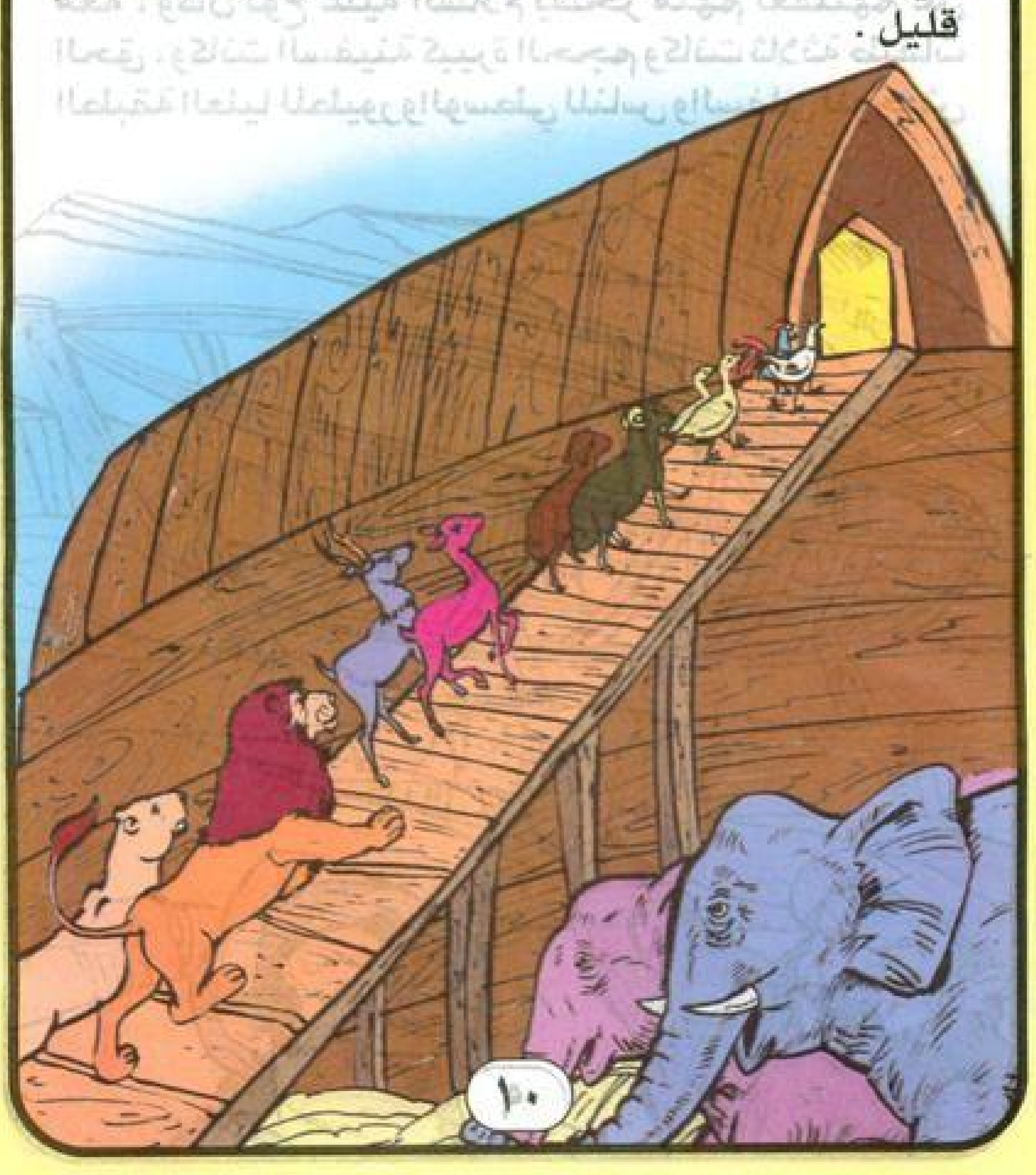
أخذ نوح عليه السلام يدعوا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأصبح عدد المومنين قليل وعدد الكافرين كثير ، وأوحي الله إلي سيدنا نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا الذين آمنوا معك ، وفي هذه اللحظة دعا نوح علي كفار قومه (رب لا تذر علي الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فاستجاب الله لدعوة نبيه وأمره سبحانه وتعالي أن يصنع سفينة .

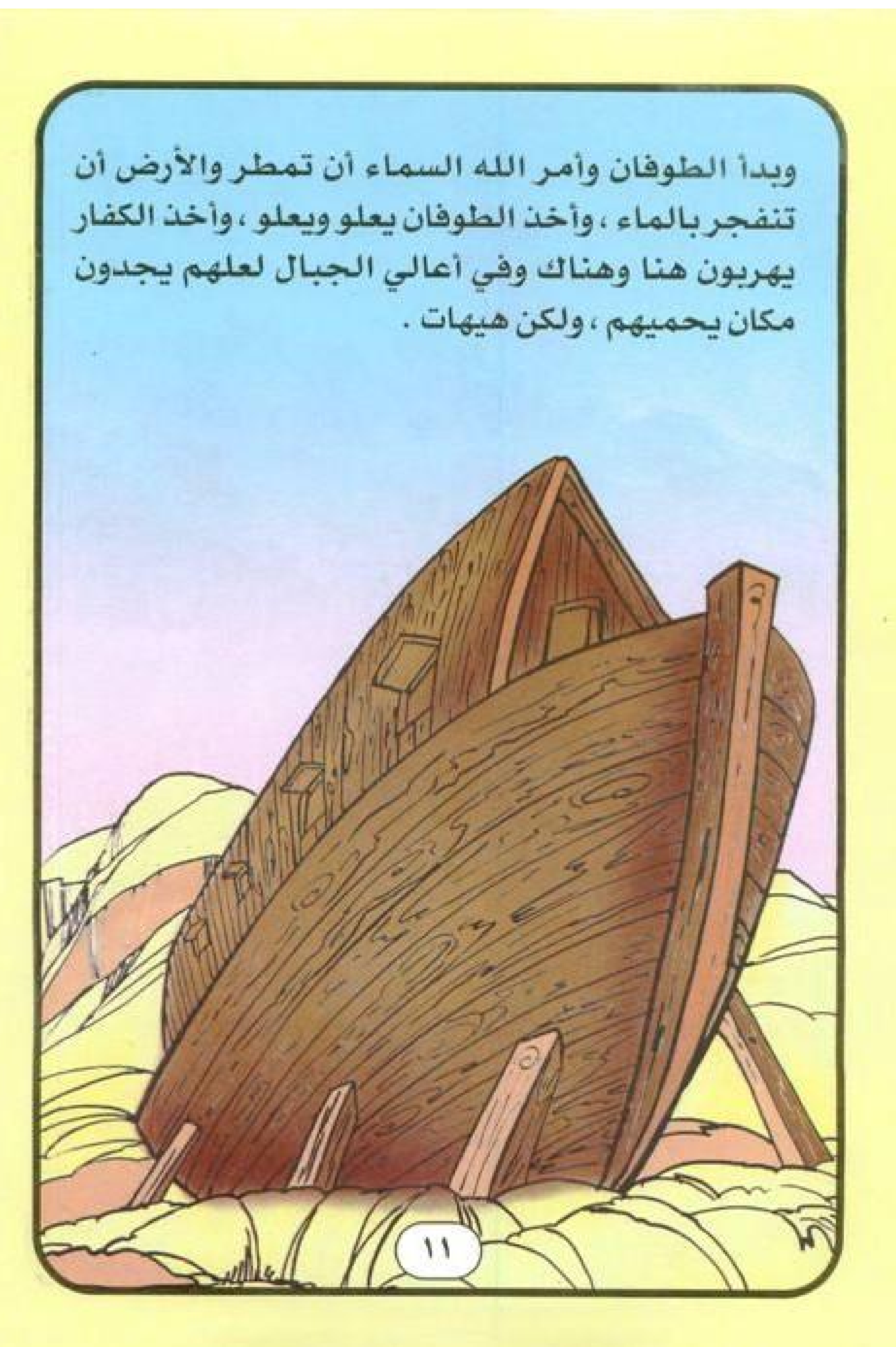


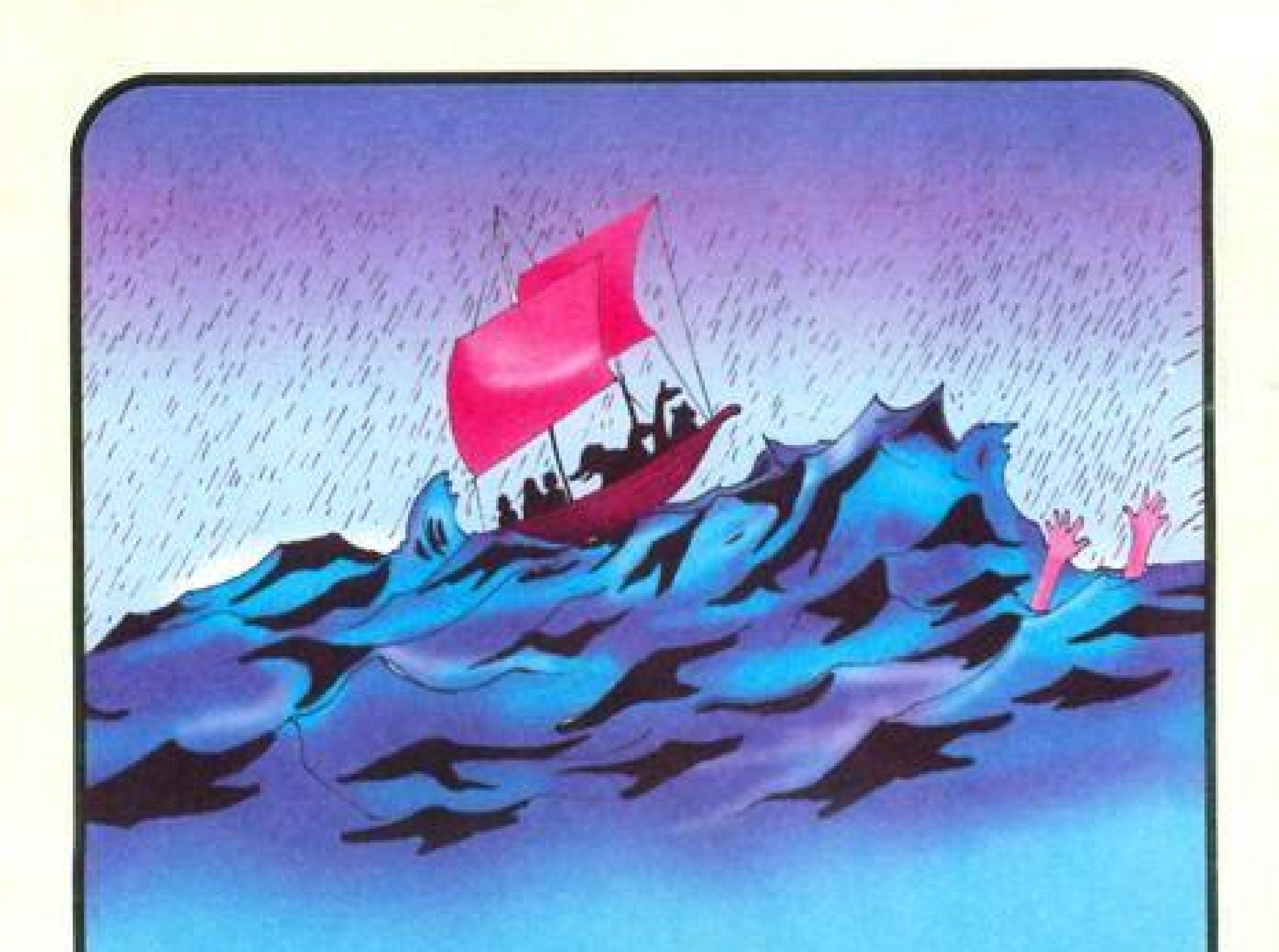
وبعد أن أمر الله سيدنا نوح بأن يصنع سفينة بدأ في صنعها ومعه المؤمنون وأخذوا الألواح وبدأوا يصنعون هذه السفينة ، وكان كلما مر الكافرون يسخرون من نوح ومن معه من المؤمنين بصناعته لهذه السفينة إذ كيف تسبح في الصحراء التي لا ماء فيها وكانوا يسخرون أكثر عندما علموا أن هذه السفينة سوف ينجوا بها هو ومن معه ، وكان نوح عليه السلام يسخر منهم لغفلتهم عن الحق ، وكانت السفينة كبيرة الحجم وكانت ثلاثة طبقات الطبقة العليا للطيور والوسطي للناس والسفلى للوحوش



وبعدما صنعت السفينة واقترب الطوفان كانت علامة اقترابه أن يخرج الماء من الفرن الكائن فى بيت سيدنا نوح عليه السلام ، وأمره الله أن يحمل علي السفينة من كل زوجين اثنين من الطيور والوحوش والحيوانات ، من الحمام ذكر وأنثي وعصفور وأنثاه وفيل وأنثاه ، وكلا دخل في مكانه المعد له ، ودخل المؤمنون السفينة وكان عددهم قليل .

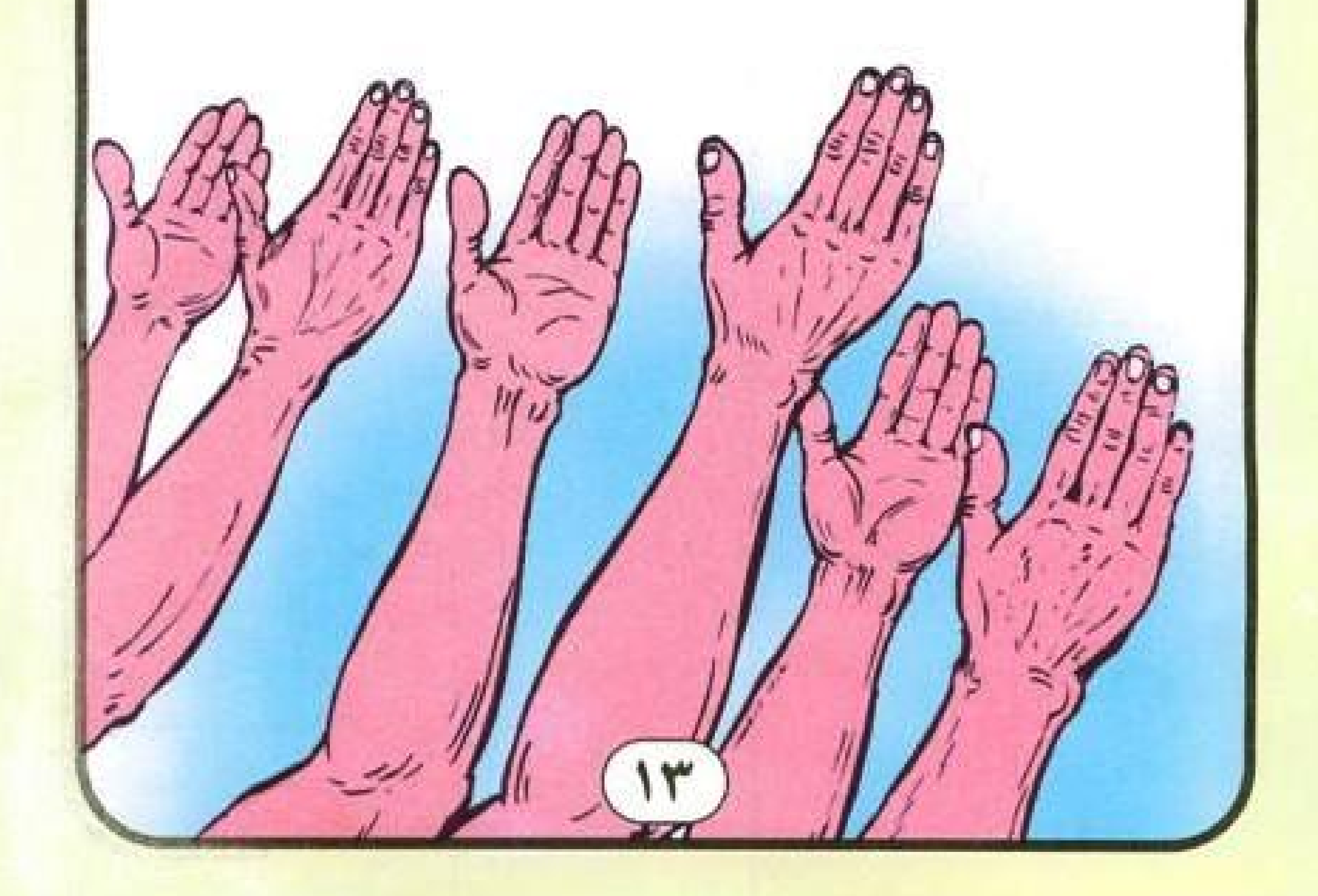


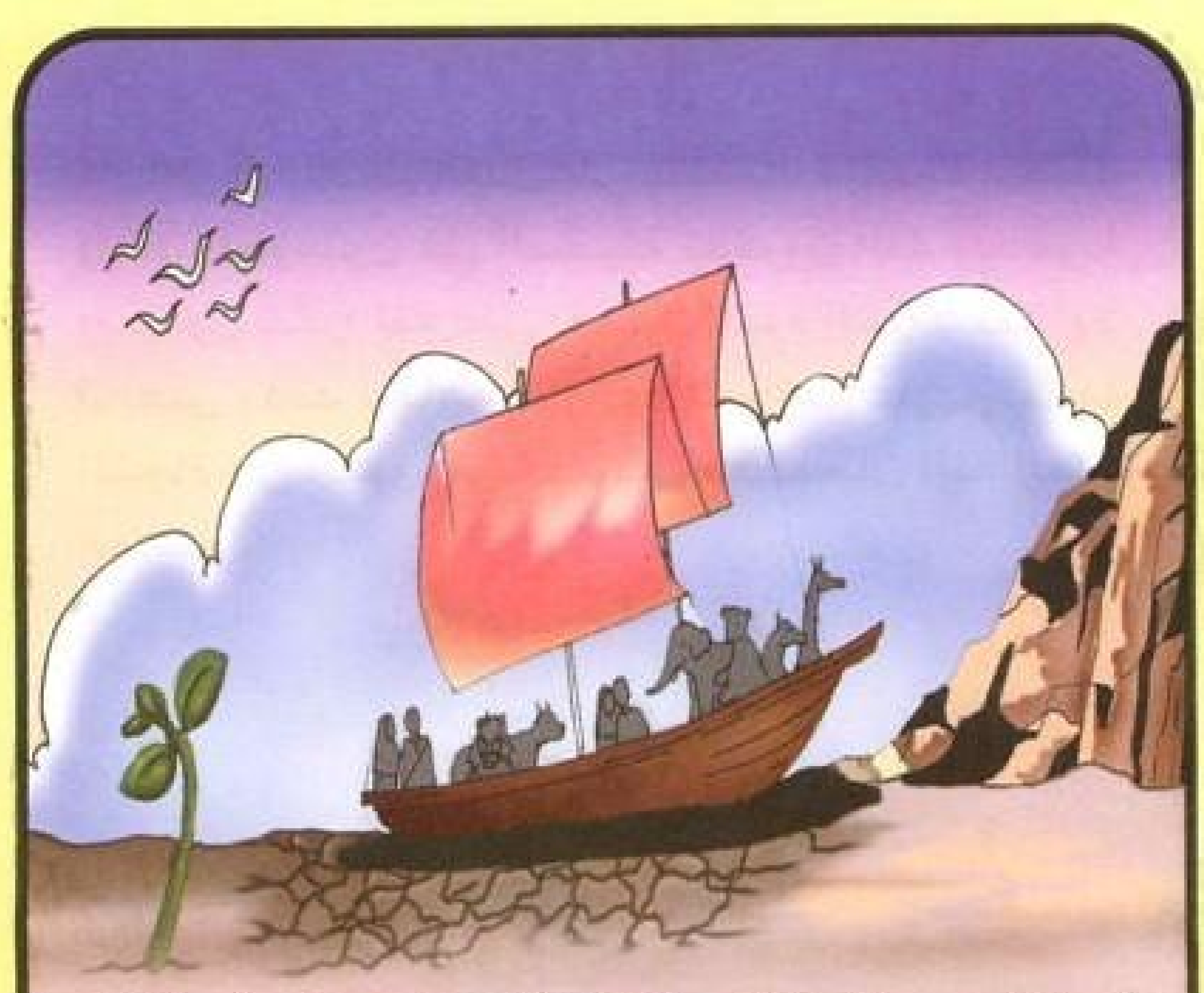

وبدأ الطوفان وأمر الله السماء أن تمطر والأرض أن
تنفجر بالماء ، وأخذ الطوفان يعلو ويعلو ، وأخذ الكفار
يهربون هنا وهناك وفي أعالي الجبال لعلهم يجدون
مكان يحميهم ، ولكن هيهات .



وأخذ نوح يدعو ابنه ليركب معه السفينة بعد أن دعاه إلي الإيمان بالله (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) ، لكن رد عليه ابنه بأنه سيذهب إلى أعلي الجبل (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) ظناً منه أن الماء لا يصل إلى أعلى رؤوس الجبال ، فرد عليه نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وتسابق الجميع إلى رؤوس الجبال ، ولكن أهلكهم الله جميعاً .

كان أمر هذه السفينة يدل علي عظمة الله وقدرته ورحمته وأخذ المؤمنون في السفينة يذكرون الله ويدعونه ويصلون شكراً لله علي نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، فقد نجاهم من الهلاك وأنعم عليهم بنعمة النجاة من الغرق في الطوفان ، فسبحان الله العلي العظيم .

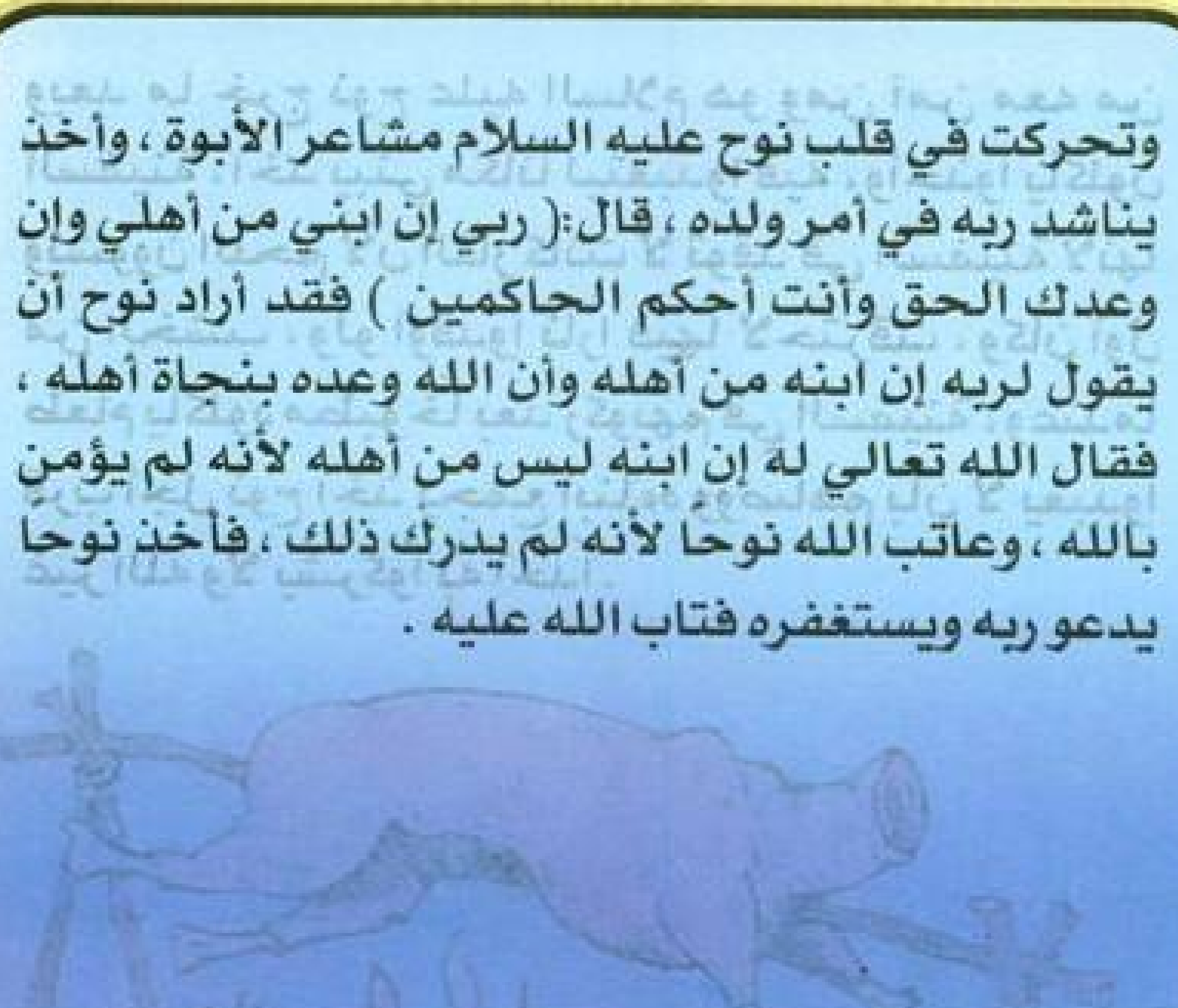




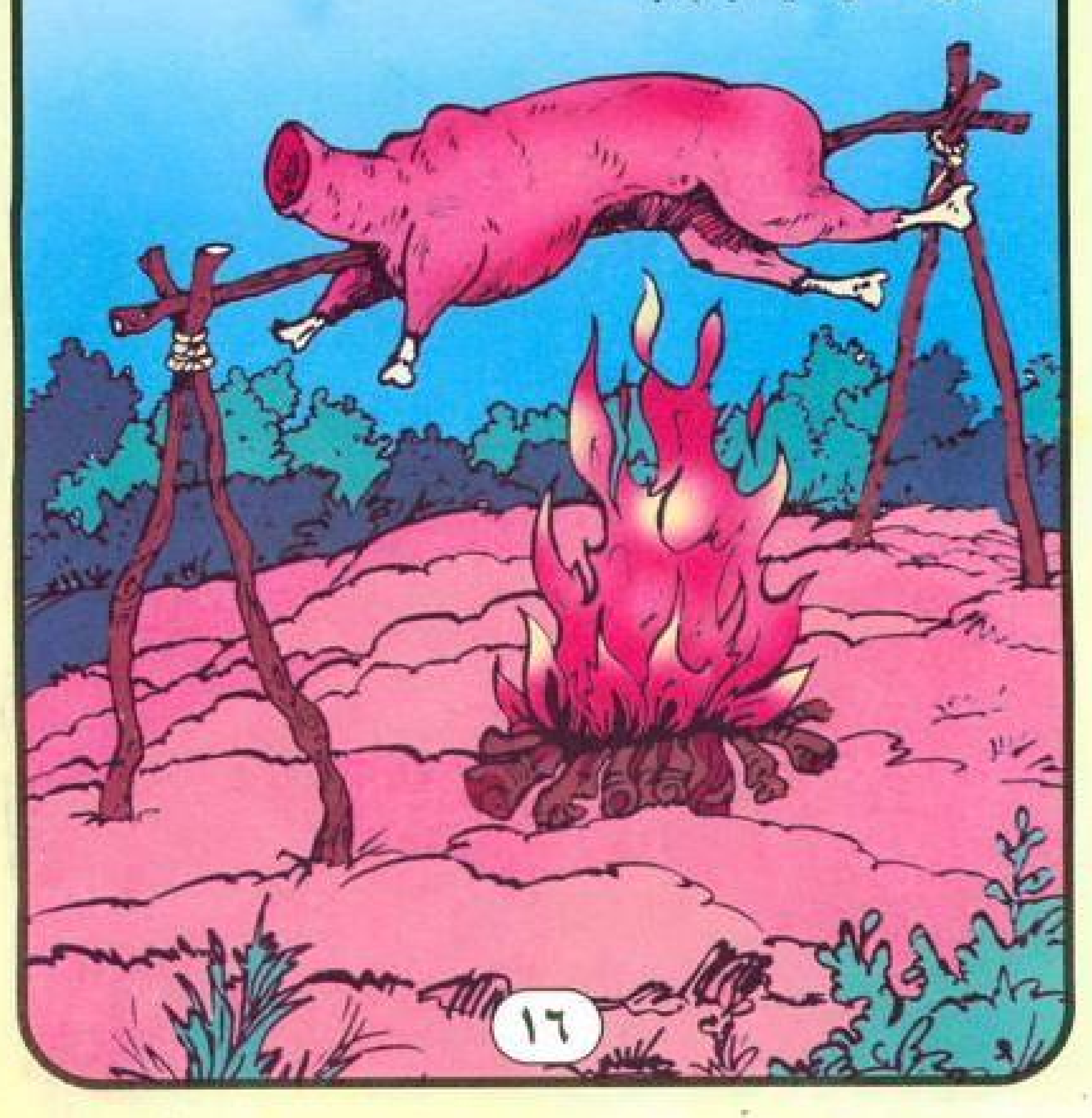
أمر الله سبحانه وتعالي بأن تكف السماء عن المطر وتبتلع الأرض الماء ، فتوقفت السماء عن المطر وابتلعت الأرض الماء ورست السفينة علي جبل يسمى الجودي وهو اسم مكان قديم .

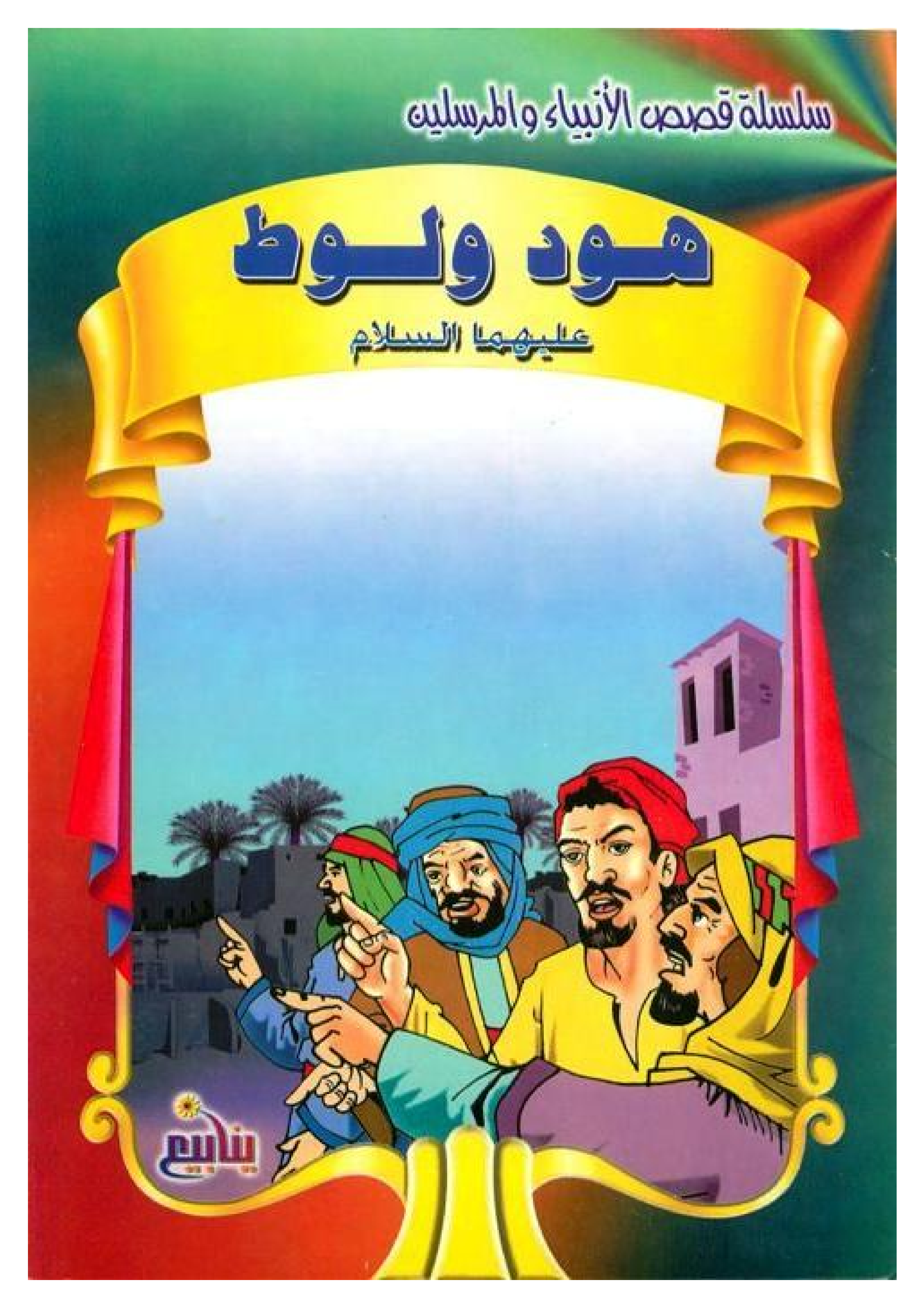
قال تعالي : " قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجودي وقيل بعد للقوم الظالمين وأرسل سيدنا نوح حمامة لتستطلع الأمر فجاءت وفي فمها غصن زيتون ، مما ينبئ أن الطوفان قد توقف ، ثم أمر الله نوحا أن يهبط من السفينة هو ومن معه ، وهبط المؤمنون من السفينة بعد أن نجاهم الله منها ، وخرجت من السفينة الطيور والحيوانات والوحوش وكل في سعادة عالية وإيمان بالله.

وتحركت في قلب نوح عليه السلام مشاعر الأبوة ، وأخذ يناشد ربه في أمر ولده ، قال:(ربي إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) فقد أراد نوح أن يقول لربه إن ابنه من أهله وأن الله وعده بنجاة أهله ، فقال الله تعالي له إن ابنه ليس من أهله لأنه لم يؤمن بالله ، وعاتب الله نوحاً لأنه لم يدرك ذلك ، فأخذ نوحا يدعو ربه ويستغفره فتاب الله عليه .



وبعد ما خرج نوح عليه السلام هو ومن آمن معه من السفينة ، أخذ يبني مكانًا ليتعبدوا فيه ، وأخذوا يأكلون ويشوون اللحم لأن النار كانت لا توقد في السفينة لأنها من الخشب ، ولو أوقدوا نارًا فيها لاحترقت ، وكان أول طعام يأكلوه مطبوخًا بعد ركوبهم في السفينة ، وعندما قرب أجل نوح أخذ يجمع أبناءه ووصاهم بأن لا يعبدوا غير الله ولا يشركوا به أحداً .



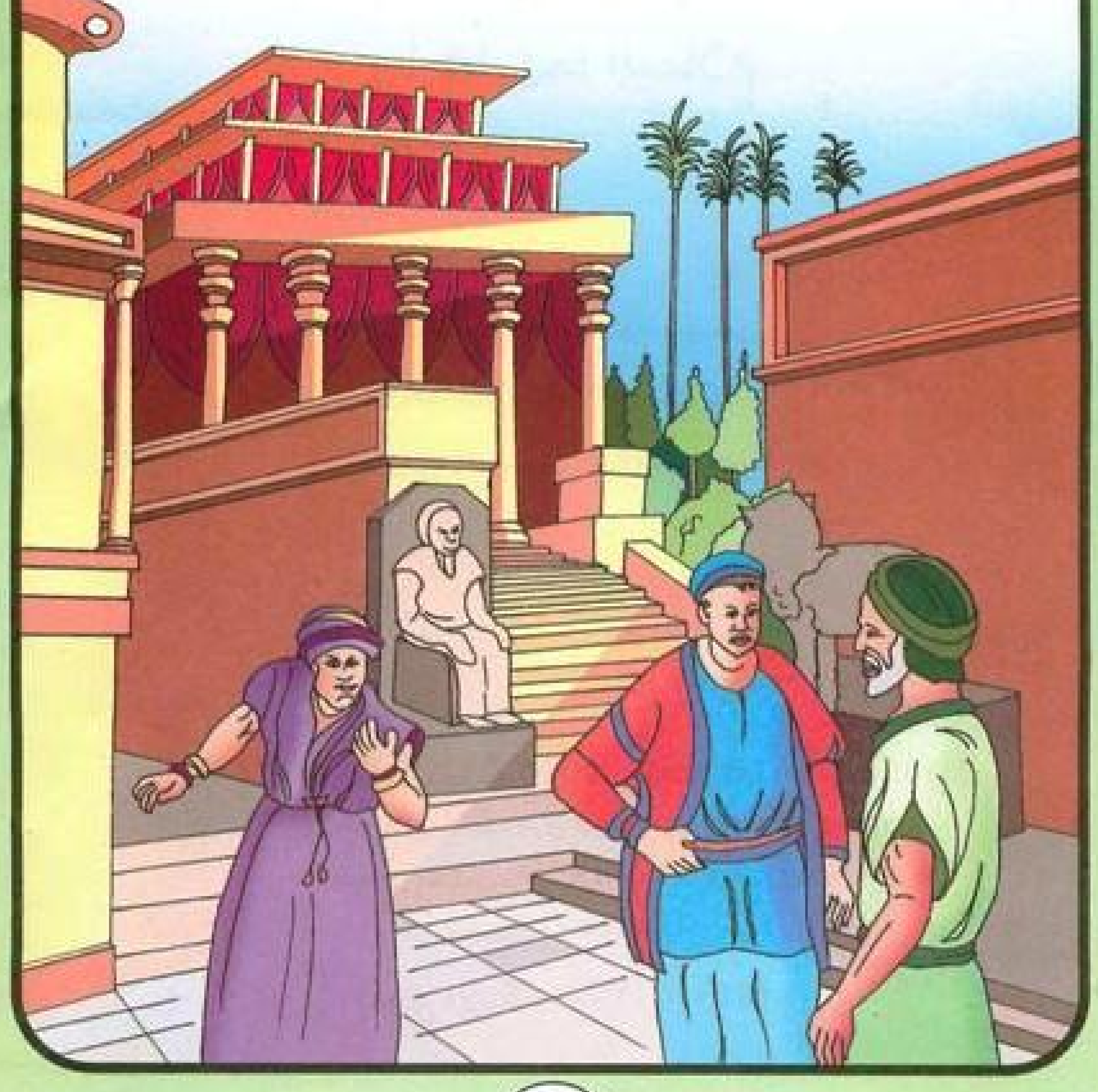

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
هود ولوط
عليهما السلام
ينابيع

هود عليه السلام

فى شمال حضر موت غرب عمان كانت تقع مدينة الأحقاف التى سكنها قوم عاد..

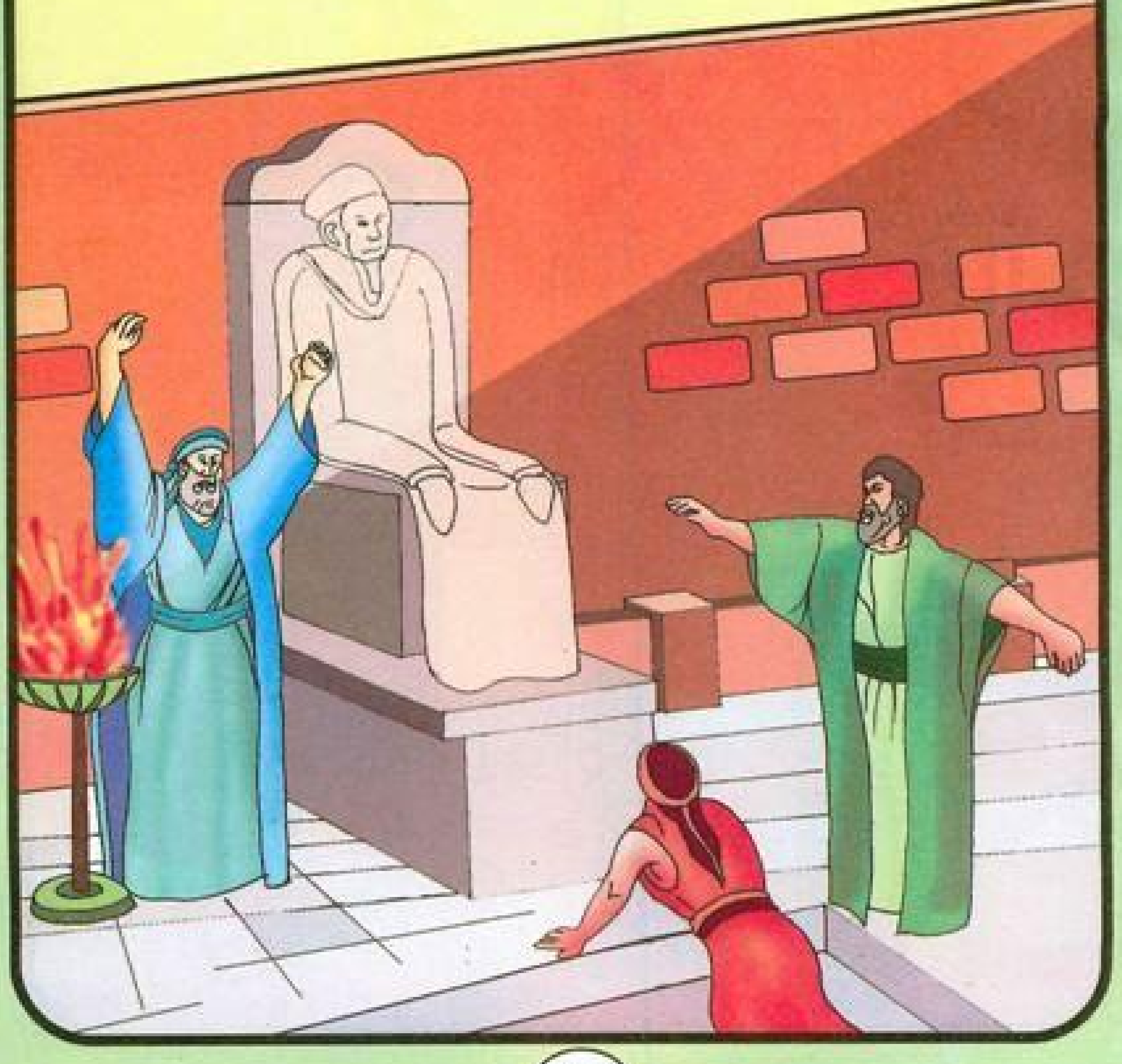
كان قوم عاد أقوياء الأجسام طوالا، أصحاب قوة، ومنعة ..

وكان من بين قوم عاد قبيلة تسمى "الخلود" ولد ونشأ فيها نبى الله هود عليه السلام، وكان هود عليه السلام من أسرة عريقة ذات نسب وشرف فى القبيلة.



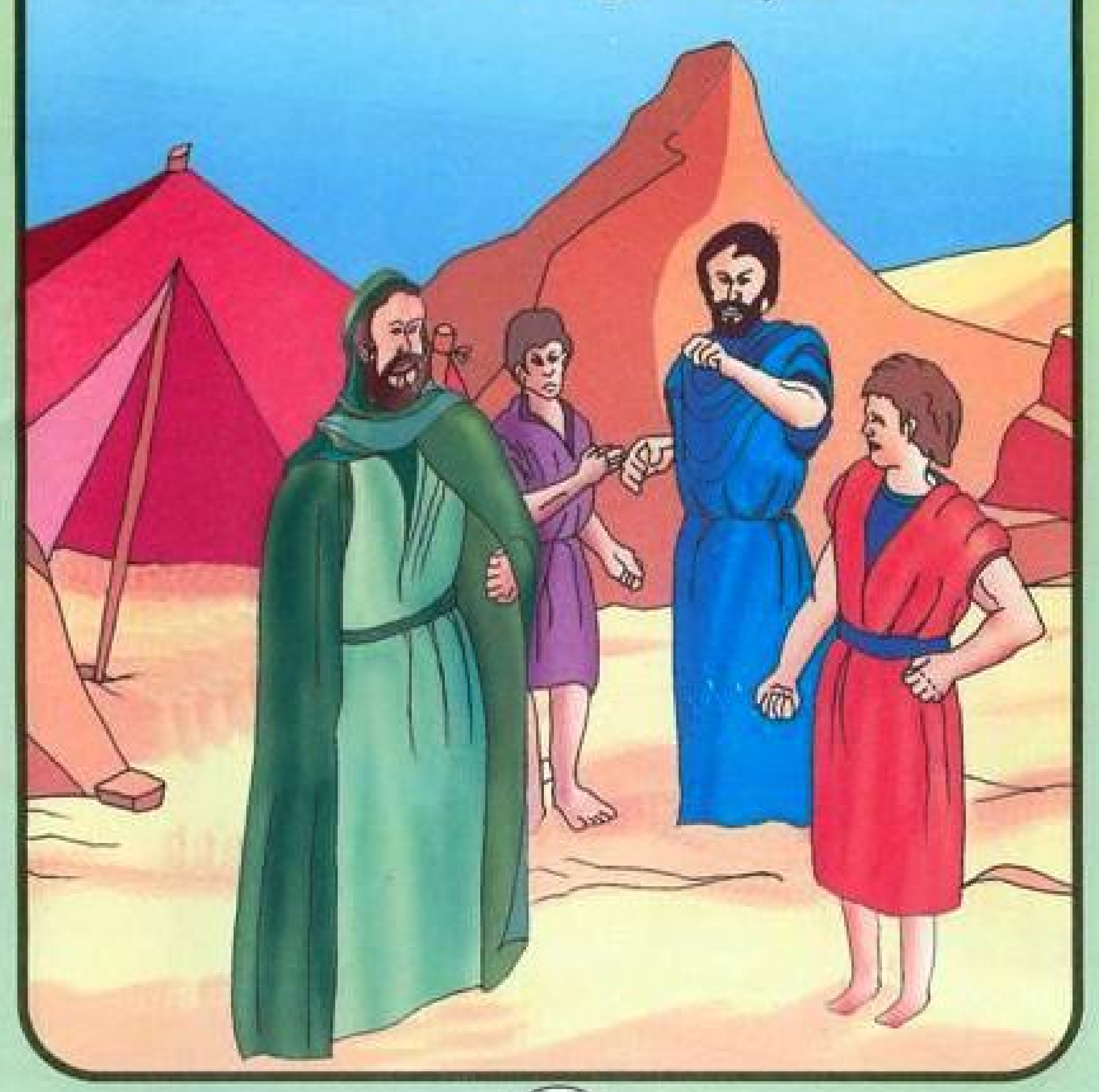
كانت عاد تعبد الأصنام، فدعاهم نبى الله هود - عليه السلام - إلى ترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله تعالى ..

وفى المعبد الذى يعبد فيه أهل عاد الأصنام، دار بينهم هذا الحوار: إن هوداً يدعونا إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، فقال أحدهم: كيف نعبد الله وحده .. إن هذه الأصنام توصلنا إلى الله وتشفع لنا عنده .. وقال ثالث: إنها تقربنا إلى الله أكثر..



كان شغل الناس الشاغل هو هذه الدعوة الجديدة التى جاء بها نبى الله هود عليه السلام..

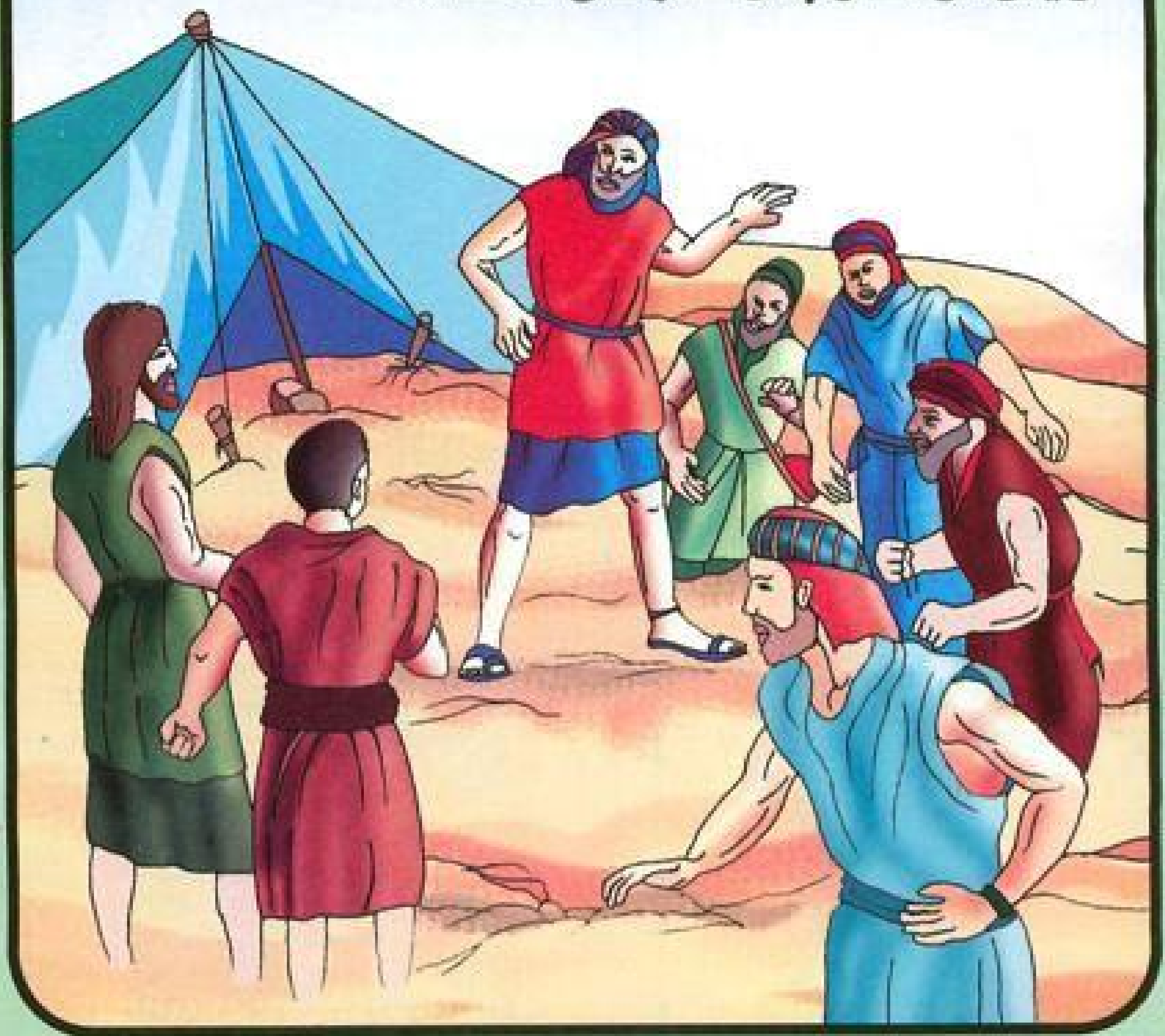
فهاهم فى أسواقهم يتحدثون عن العرض الذى قدمه هود عليه السلام.. إنه لا يطلب مالا فى مقابل دعوته، رد رجل: إنه يحدثنا عن نعم الله علينا، وكيف جعلنا خلفاء من بعد قوم نوح .. إنه يقول أيضا: إن الله أعطانا بسطة فى الجسم وأسكننا أرضاً تَهِب لنا الزرع والثمار ..



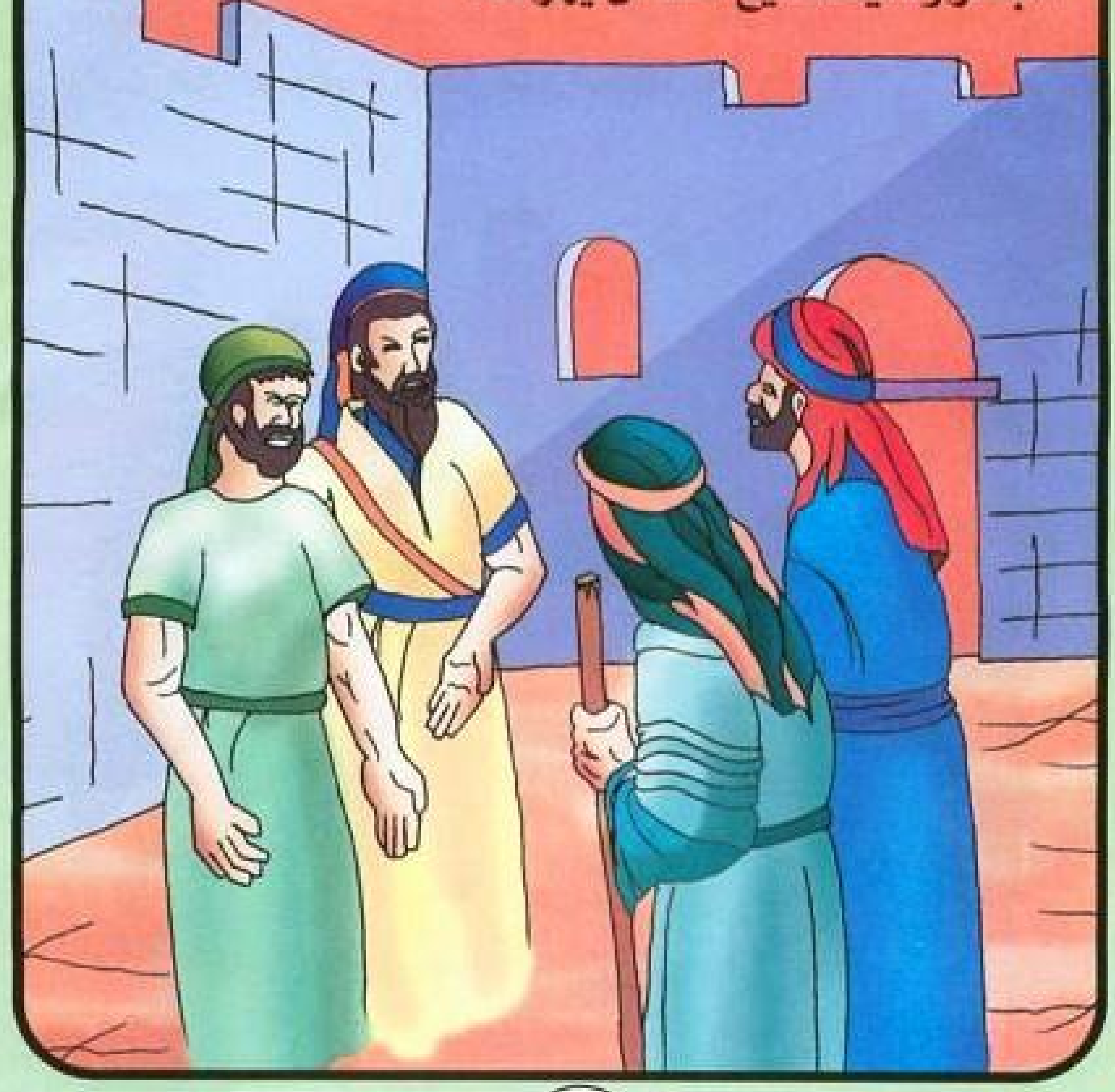
وفى يوم من الأيام، اجتمع بعض المسلمين الذين آمنوا بالله تعالى مع بعض المشركين من قومهم فقال أحد المشركين: لماذا أسلمتم مع هود؟

فقال أحد المؤمنين: لأننا وجدنا فى دعوته الحق، فالله الذى خلقنا هو أحق بالعبادة من تلك الأصنام التى لا تضر ولا تنفع.

فقال أحد المشركين: ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونها ونحن نقتدى بهم، فرد أحد المؤمنين: لقد كان أباؤنا مخطئين، وليس من الصواب أن نصر على الخطأ ..

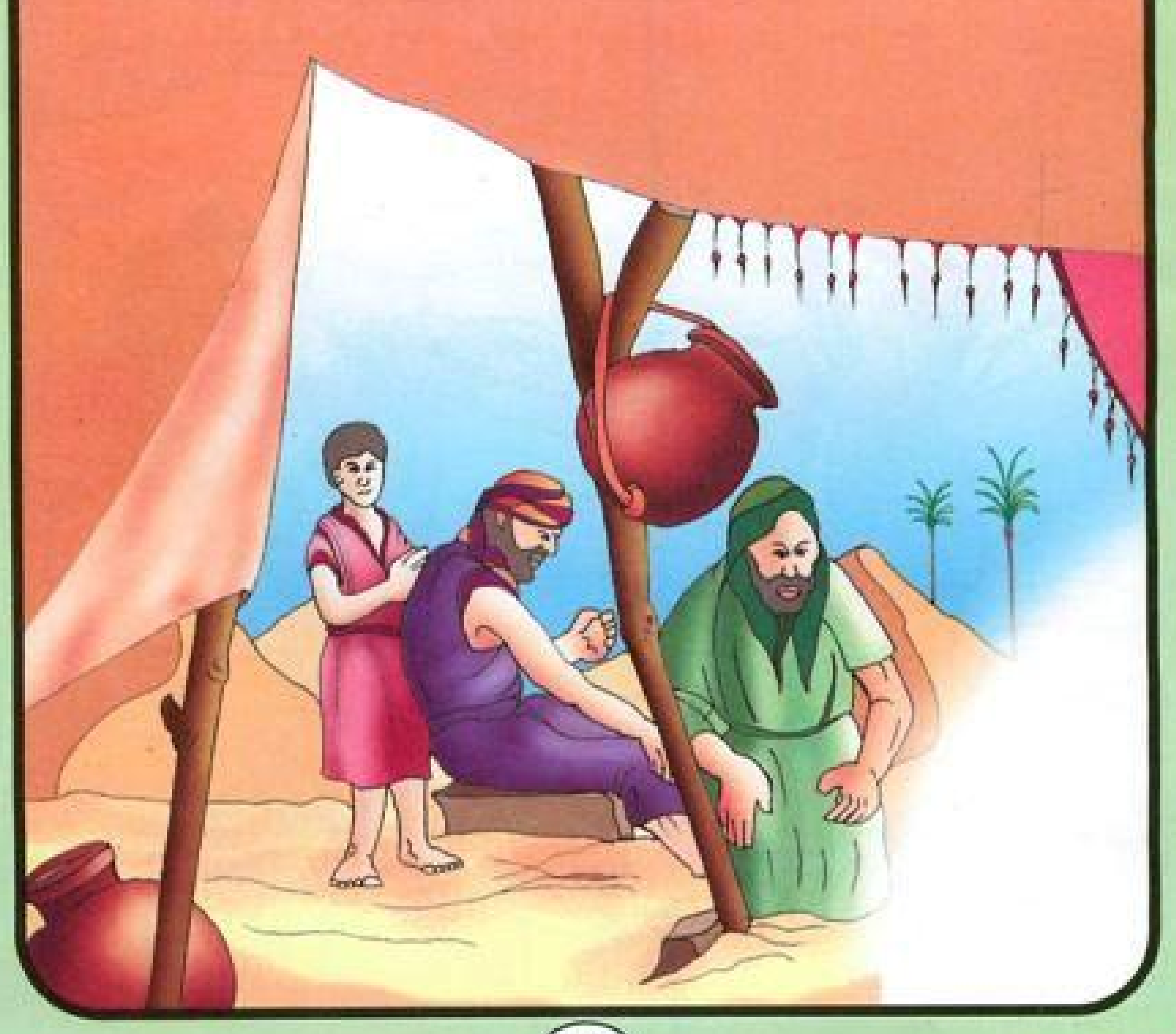


قال أحد المشركين: أليس من الغريب أن يختار الله بشراً منا لهدايتنا؟ فرد عليه أحد المومنين: إن من حكمة الله أن يختار هوداً وهو من البشر ليكون أسوة لنا وقدوة فى كل أعمالنا فنفعل مثلما يفعل. وأصر المشركون على كفرهم وقالوا: لن نؤمن بدعوتكم، فقال أحد المؤمنين: إن قصة قوم نوح ليست بعيدة عنكم فاحذروا عذاب الله. فرد المشركون فى تكبر وعناد: ليصنع هود ما يريد، فنحن أقوى البشر ولا يستطيع أحد أن يهزمنا.



ذهب المؤمنون إلى نبى الله هود عليه السلام وقصوا عليه ما سمعوه من استهزاء الكافرين وسخريتهم من نبى الله هود، ولكن نبى الله هود عليه السلام فاجأهم بأنه قد سمع ما هو أشد مما سمعوا، وأنهم اتهموه بالجنون.

وعندئذ أعلن هود عليه السلام تبرأه من الكافرين، وأظهر توكله على الله، وأخبر الكافرين والمؤمنين بأن عذاب الله واقع على الكافرين إن لم يسرعوا بالإيمان بالله.



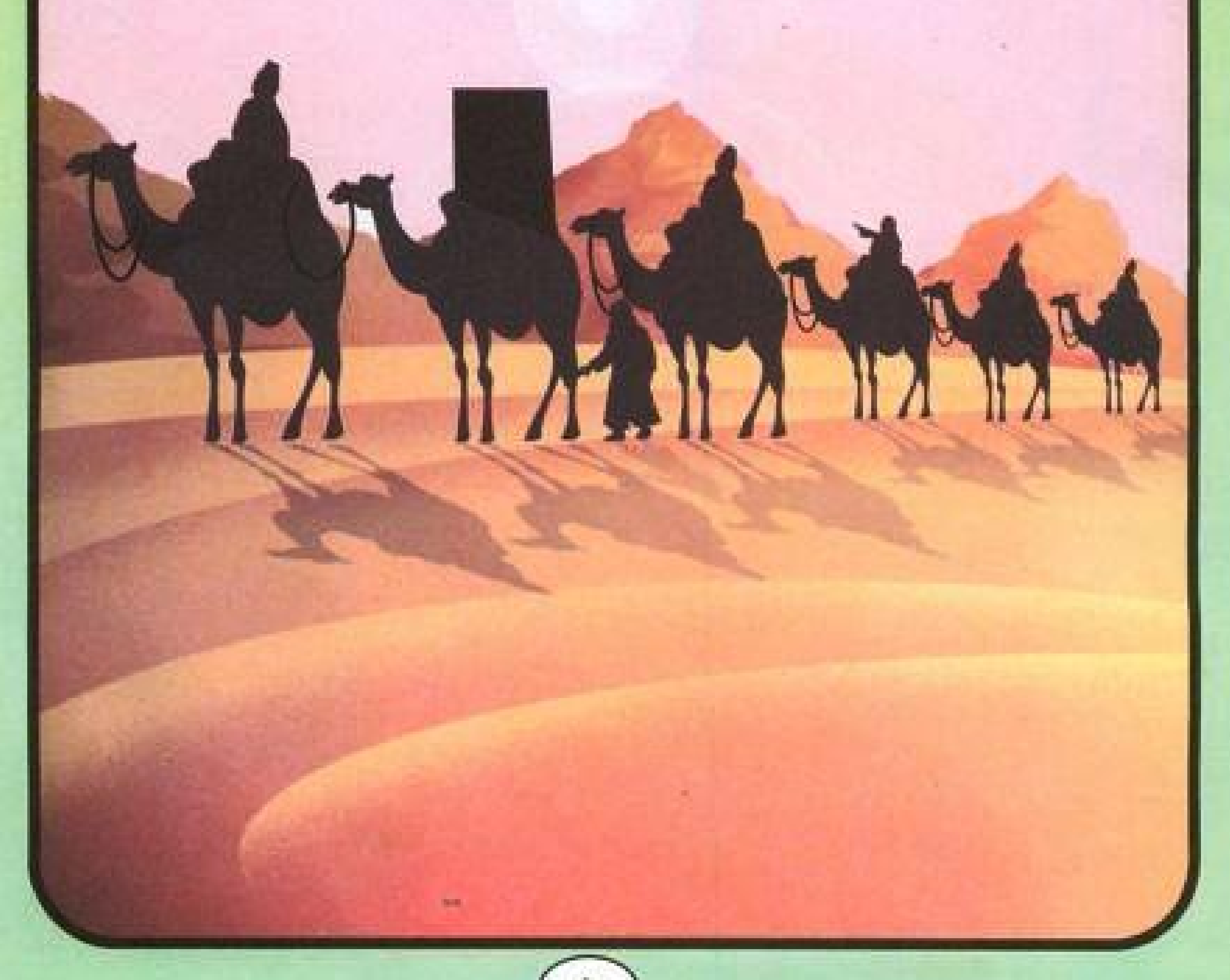
وبعد فترة جفت الأرض، ومُنعت السماء المطر بإذن الله، فلم يعد هناك زرع ولا ثمر، فأسرع الكافرون إلى هود عليه السلام، فأخبرهم أن ما حدث كان غضب من الله عليهم ولو أنهم آمنوا لأنزل عليهم المطر، ولزادهم قوة إلى قوتهم، ولكنهم سخروا منه.. ازداد الجفاف على قوم عاد، وفجأة رأى قوم هود سحابة عظيمة تملأ السماء، ففرحوا وظنوا أن المطر سينزل، فأخبرهم هود أنه سحاب العذاب.

وبدأت الريح تهب بقوة فدمرت كل شيء بأمر ربها، حتى أصبح الكافرون كأعجاز النخل الخاوية، واستمر العذاب سبعة ليال وثمانية أيام، ونجى الله هوداً والذين آمنوا معه.



لوط عليه السلام

لما أصر قوم إبراهيم على الكفر، اضطر إبراهيم عليه السلام إلى الخروج من بلده، ولم يكن معه إلا زوجته سارة، وابن أخيه لوط، فهاجر إبراهيم عليه السلام تاركًا الديار والأهل، وفى هذه الأثناء، أوحى الله تعالى إلى لوط عليه السلام، فقد أصبح نبيًا من الأنبياء، فأخبر لوط عمه إبراهيم عليهما السلام أن الله تعالى أرسله إلى قرية "سدوم"، واستأذنه أن يذهب إليهم ليؤدى رسالة الله، عسى الله أن يشرح صدورهم للإسلام.



دخل لوط عليه السلام قرية سدوم، وسكنها، وعاشر أهلها، ولأنه كان غريباً عن أهلها، فقد تزوج بامرأة منها، وأنجبت له ابنتين، وكانت امرأة لوط عليه السلام سيئة الخلق، تؤذى لوطاً، وتسعى فى الأرض فساداً كقومها.

أما ابنتاها، فكانتا آية فى الخلق الحسن، فكان لوط يصبر على زوجته، راجياً أن يصلح الله حالها، فإن لم ينصلح حالها، فهو يصبر عليها، بدلا من طلاقها فتتزوج غيره، فتؤذيه هو الآخر.



ذهب نبى الله لوط عليه السلام إلى قرية "سدوم" وكان أهل هذه القرية قد اشتهروا بسوء الخلق، حيث كانوا يقطعون الطريق، ويأخذون من القوافل أمتعتهم وأموالهم، بل يتواصون فيما بينهم أن يقطعوا الطريق، وأن يأكلوا حقوق الناس.

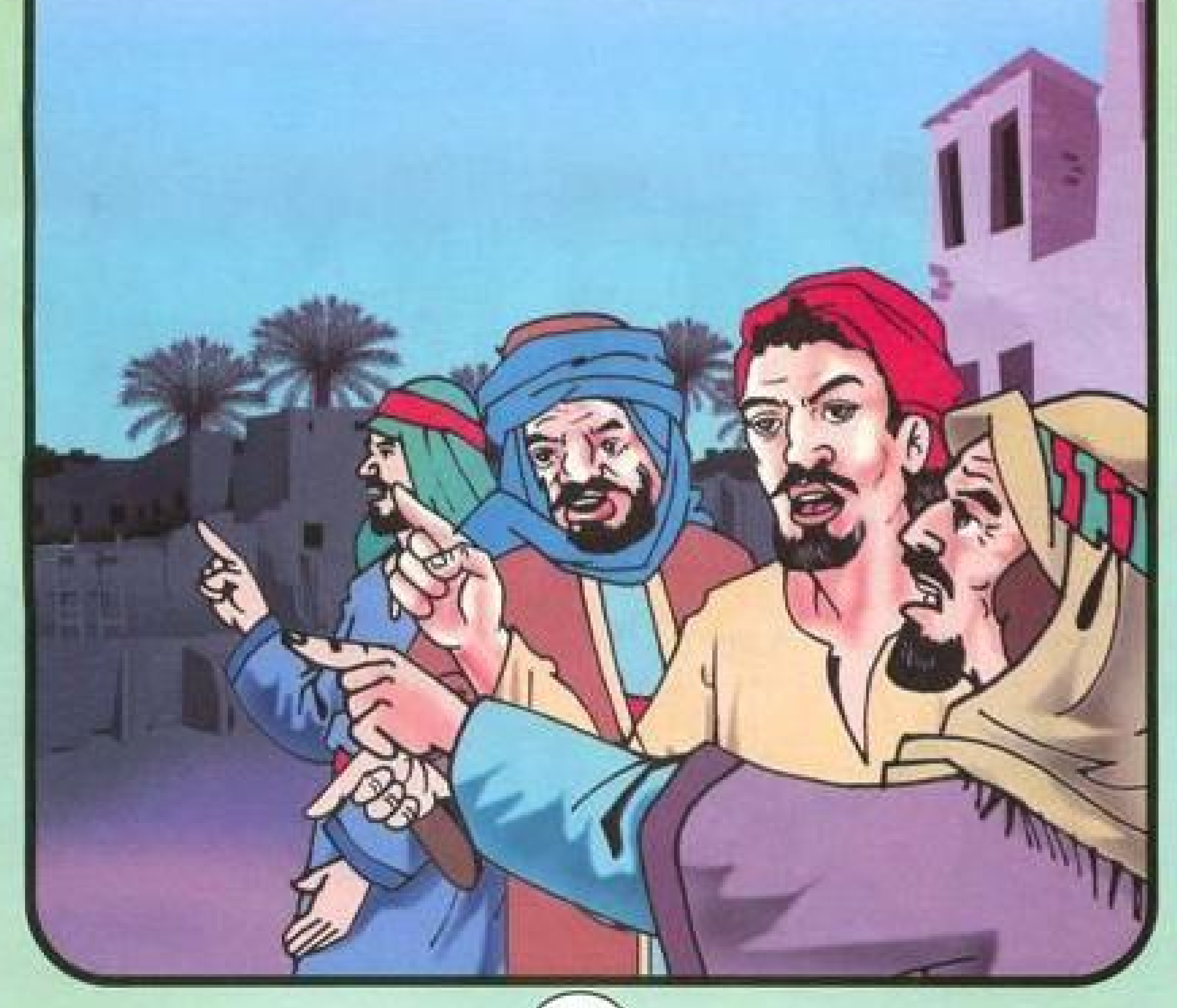
وزاد على ذلك أنهم كانوا يفعلون فاحشة لم يسبقهم إليها أحد، فقد كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى ترك هذه الرذائل، إلا أنهم كانوا يصرون عليها.



وفى يوم من الأيام، خرج لوط عليه السلام فرأى الرجال يأتون بعضهم علانية فى الشوارع، فغضب غضباً شديداً، وقال لهم يا قوم اتقوا الله، إن الله جعل النساء للزواج، لقد أتيتم فاحشة ما سبقكم بها من أحد من العاملين، فأخذوا يضحكون من كلامه، وقالوا: يا لوط، لئن لم تنته لنخرجنك وأهلك من قريتنا، فأنت غريب عنا.

فيقول لهم لوط عليه السلام: إن الله بعثنى رسولا إليكم، وأنا أحذركم عذاب الله.

ولكنهم يستهزئون به ويقولون: أرنا عذاب ربك.



ويئس لوط عليه السلام من قومه، فلم يؤمن به إلا ابنتاه، حتى امرأته كانت كافرة، فأرسل الله تعالى ثلاثة من الملائكة، كان منهم جبريل عليه السلام، ووصل الملائكة إلى قرية سدوم عصراً، وكانوا على هيئة رجال، فلما رآهم لوط عليه السلام حاول منعهم من دخول القرية، فرفضوا فدخل معهم إلى القرية ليلاً، فلم يرهم أحد من أهل القرية، ولكن زوجته رأتهم، فخرجت دون أن يشعر بها لوط عليه السلام وأسرعت إلى رجال القرية، وقالت لهم: إن عند لوط ضيوفاً ما رأيت أجمل منهم قط في حياتي، فهيا تعالوا ومارسوا معهم الفاحشة..



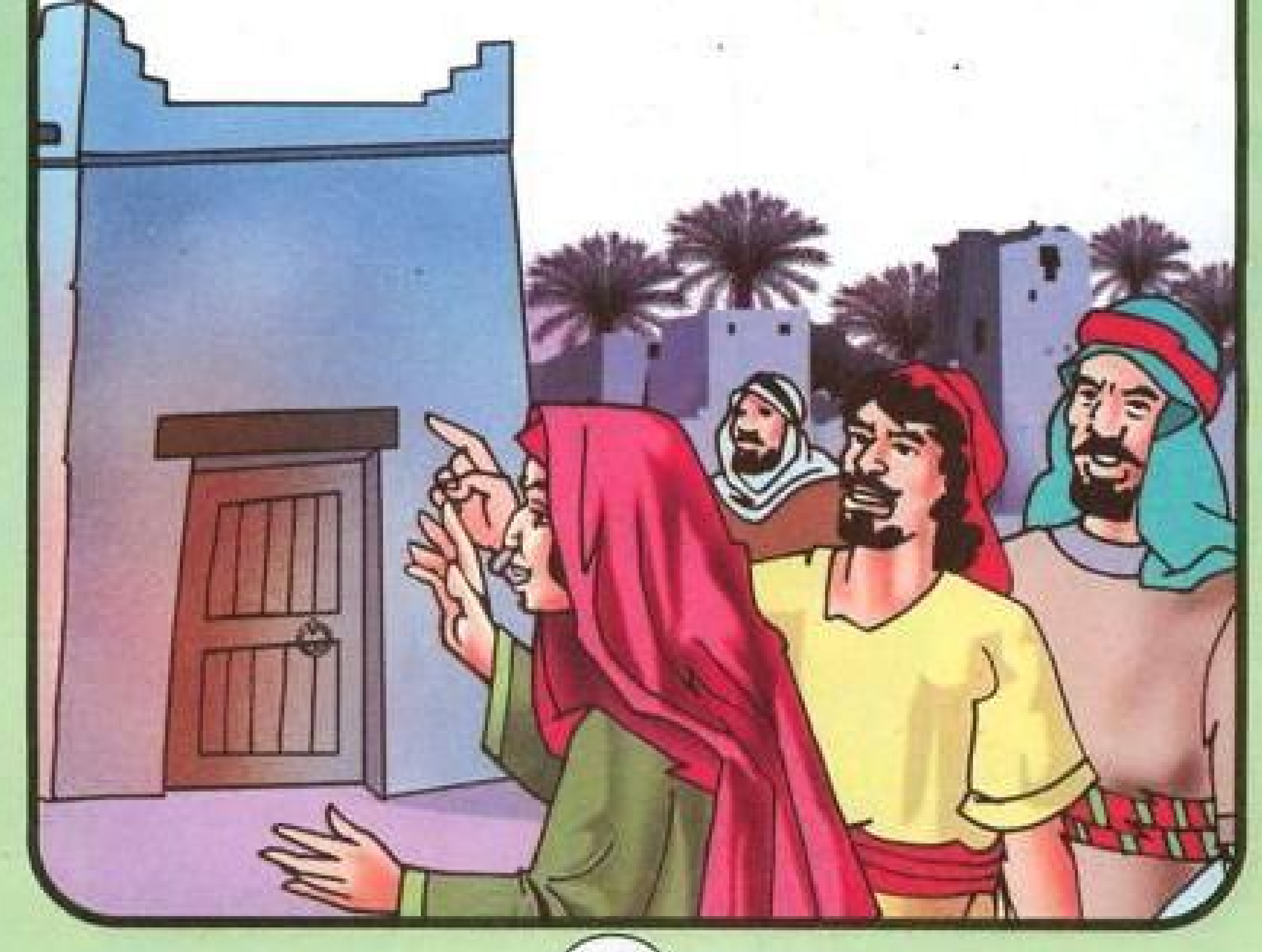
وطار الخبر فى القرية، كل يخبر غيره بأن هناك ضيوفاً غرباء عند لوط، حتى اجتمع أهل القرية أمام بيت لوط عليه السلام، فعرف لوط عليه السلام أن قومه قد علموا بمجيء الضيوف، فخرج لوط عليه السلام لهم، ووقف أمام البيت ينصحهم، حتى لا يفعلوا الفاحشة مع ضيوفه، فأخبرهم أن الله خلق لهم النساء للزواج.

فقالوا: خذ أنت النساء، واترك لنا الرجال، فيئس منهم عليه السلام، وأغلق الباب وهو حزين.



كان القوم يضحكون، فهم لن يتركوا المكان، حتى يفعلوا الفاحشة بضيوف لوط، فعاد لوط حزينًا إلى ضيوفه، وقال: لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد، يحمينى من هؤلاء الأشرار، هنا قالت الملائكة: يا لوط، إنا رسل ربك، لا تخف، لن يصلوا إليك، وإن الله تعالى أمرنا بهلاكهم، فاخرج أنت وأهلك ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، إنها ستعذب وتهلك معهم.

وأنزل الله تعالى العذاب على قوم لوط حيث اقتلع جبريل عليه السلام القرية ثم رفعها إلى السماء، ثم قلب جبريل القرية وهوى بها فى الأرض، وأسقط الله عليهم حجارة من السماء.

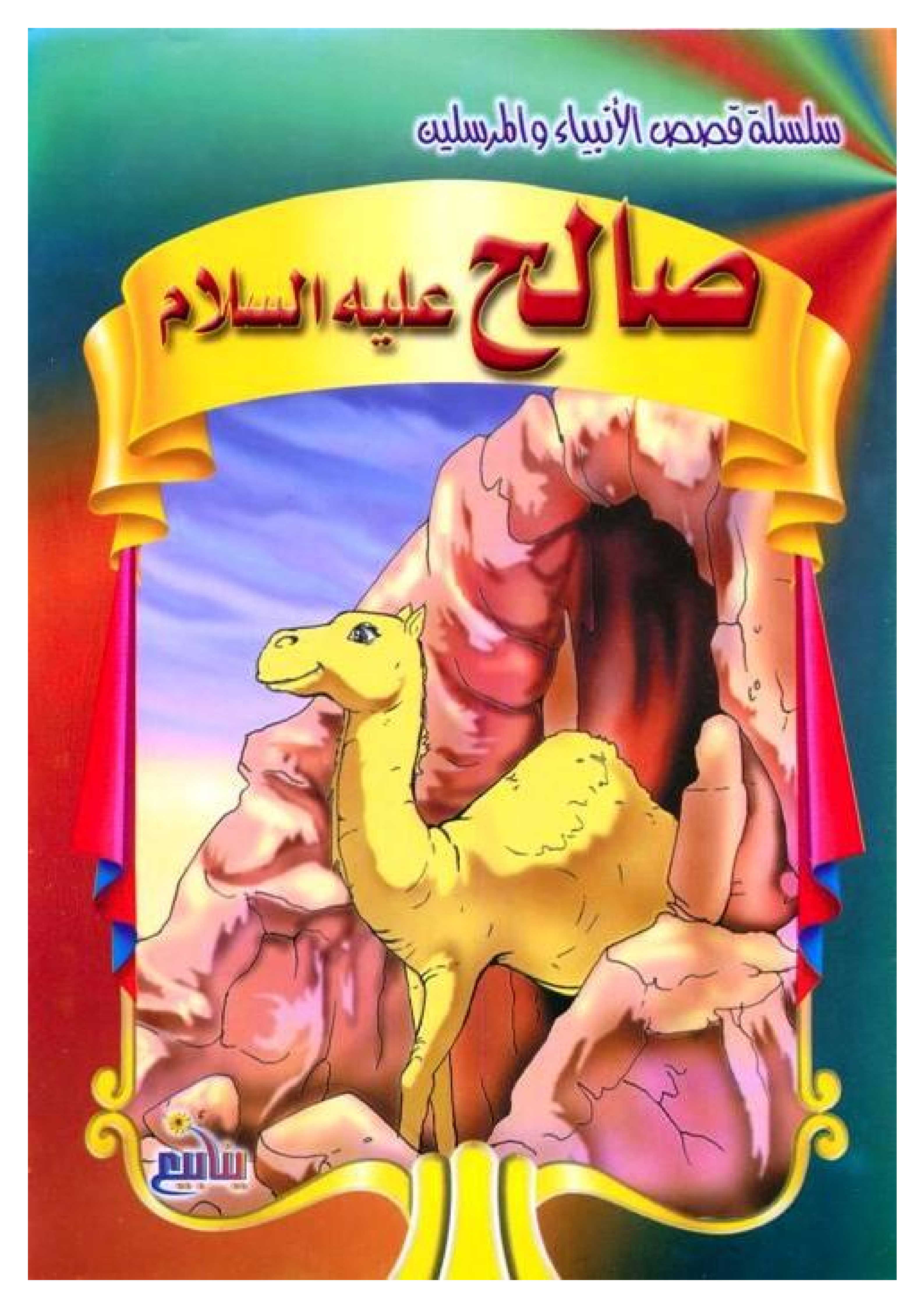


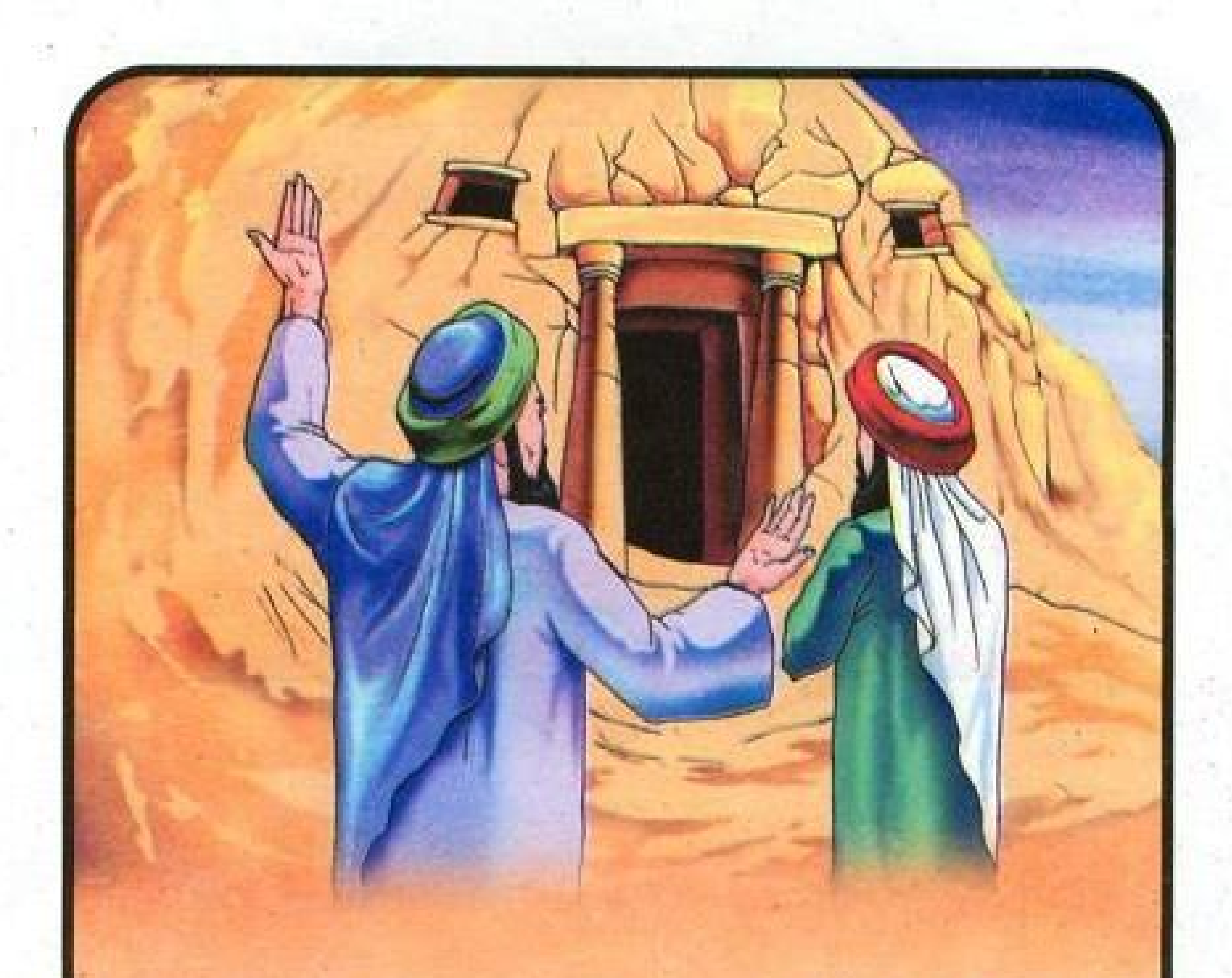
وأهلك الله قرية سدوم، ونجى لوطًا وابنتيه، لأنهما آمنتا لله معه.

وعاد لوط إلى عمه ابراهيم عليه السلام بعد هلاك القرية، وأخبره بما حدث.

وظل لوط عليه السلام يدعو إلى الله، ويتذكر ما حدث لأهل قرية سدوم، وهلاك الله لهم، فقد أصبح مكان مدنهم السبعة بحيرة ماء، هى البحر الميت، فكان ما حدث درسًا للناس جميعًا أن يطيعوا الله ولا يعصوه.




سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
صالح عليه السلام



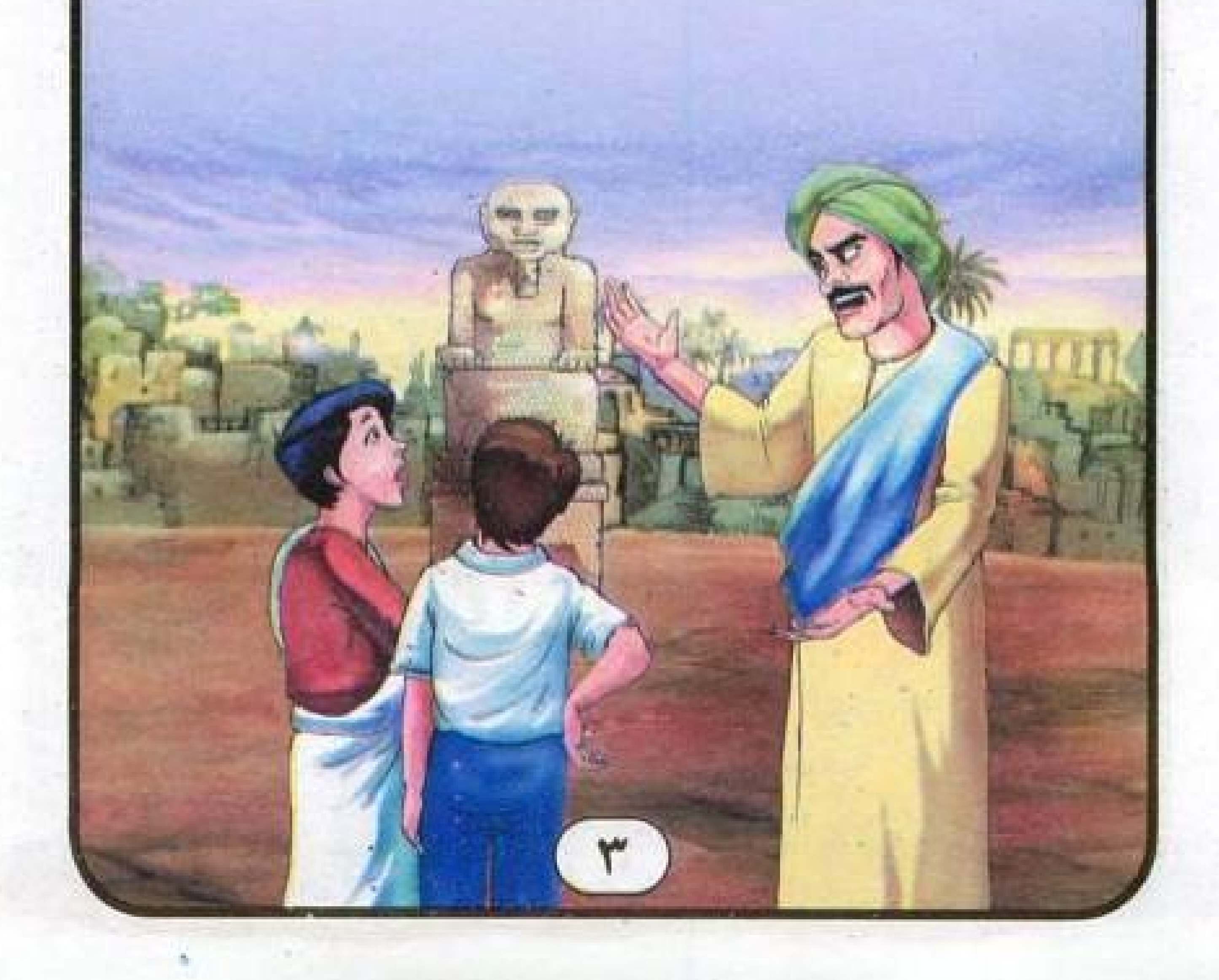
من هم قوم ثمود؟

كان قوم ثمود يعيشون في منطقة «الحِجر» التي تقع بين الحجاز والشام، وتسمى الآن بمدائن صالح وكانت قبيلة مشهورة وقد جاؤوا بعد قوم عاد وسكنوا الأرض واستعمروها ويرجع أصل هذه القبيلة إلى سام بن نوح.
وقد كانوا قوماً أقوياء فقد كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً عظيمة، ويستخدمون الصخر في البناء ويبنون القصور في السهول وكانت أعمارهم طويلة جداً حتى أن بيوتهم تبلى قبل أن يموتوا.

دين أهل ثمود

وكانت قبيلة ثمود تدين بعبادة غير الله فقد كانوا يعبدون الأصنام ويشركونها مع الله، ويقدمون لها القرابين ويذبحون لها الذبائح ويتضرعون لها ويدعونها ويفسدون في الأرض.

فأرسل الله تعالى صالحاً إليهم وكان أصلحهم وأتقاهم وأفضلهم حسباً ونسباً، وكان رجلاً كريماً تقياً محبوباً لديهم.

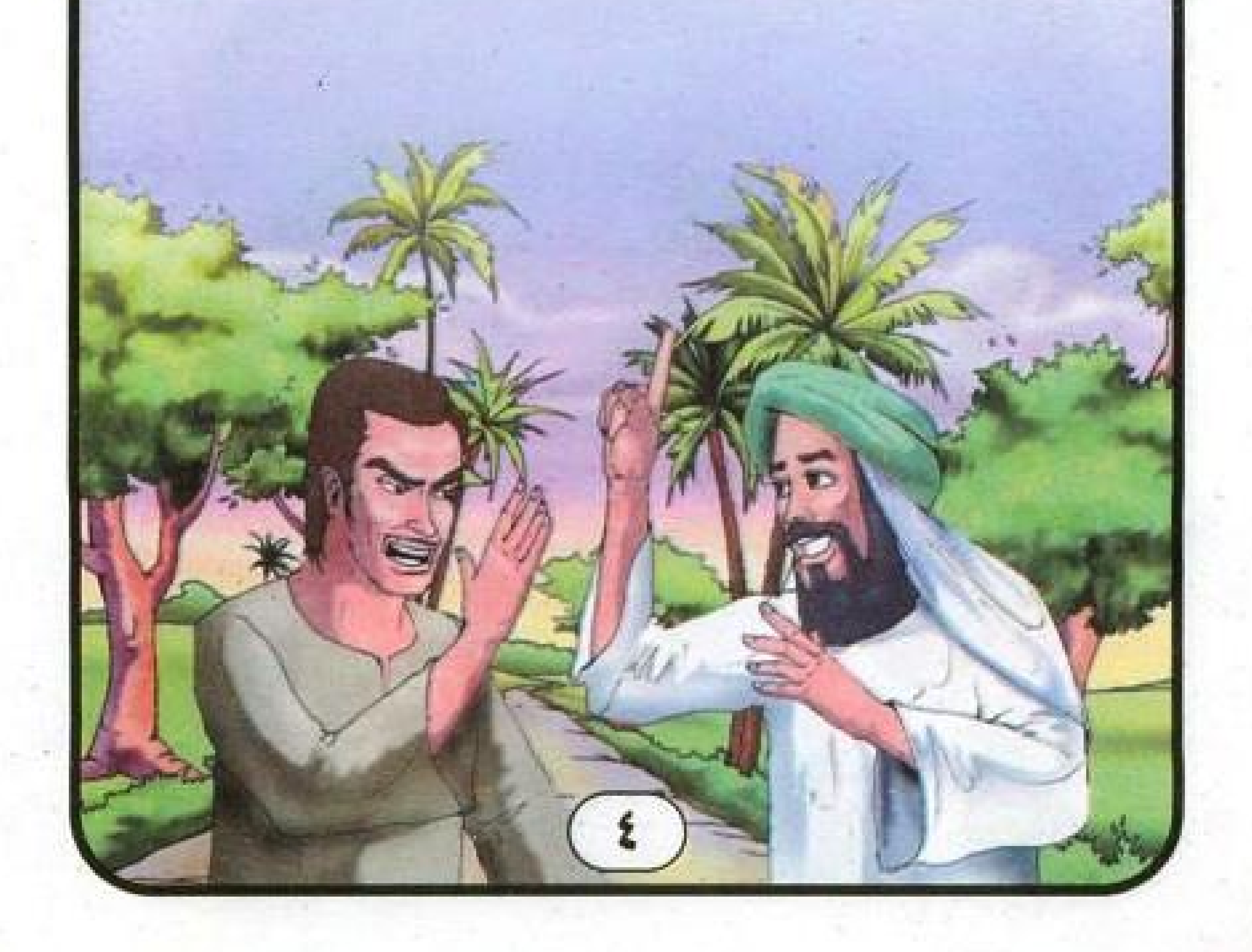


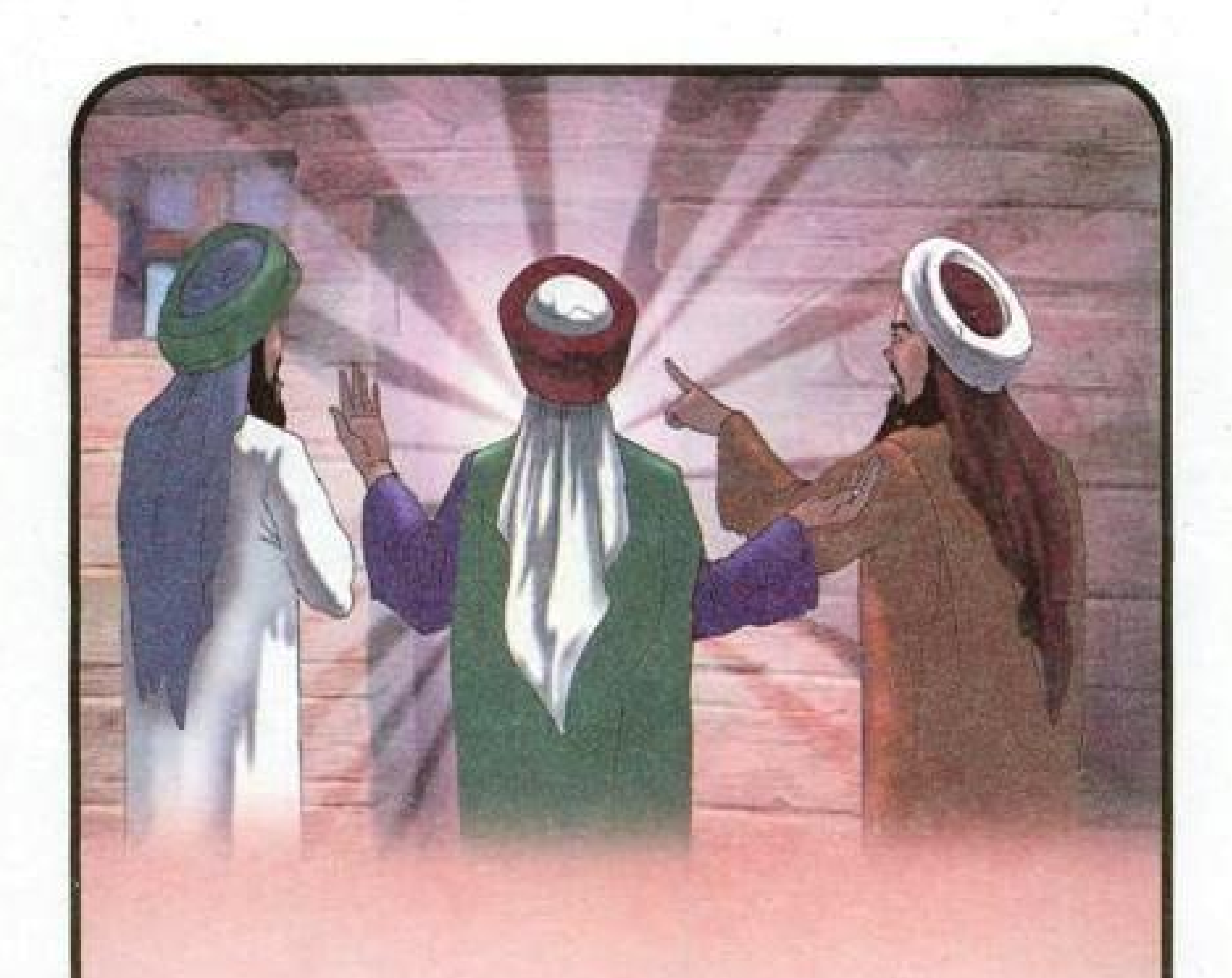
النعم التي أنعمها الله على قوم ثمود

وقد أعطى الله عز وجل قوم ثمود نعماً كثيرة لا تُعَدَّ ولا تحصى.

فأعطاهم الحدائق والنخيل والزروع والثمار والأرض الخصبة والماء العذب والعيون التي كانوا يسقون منها زروعهم وثمارهم وماشيتهم.

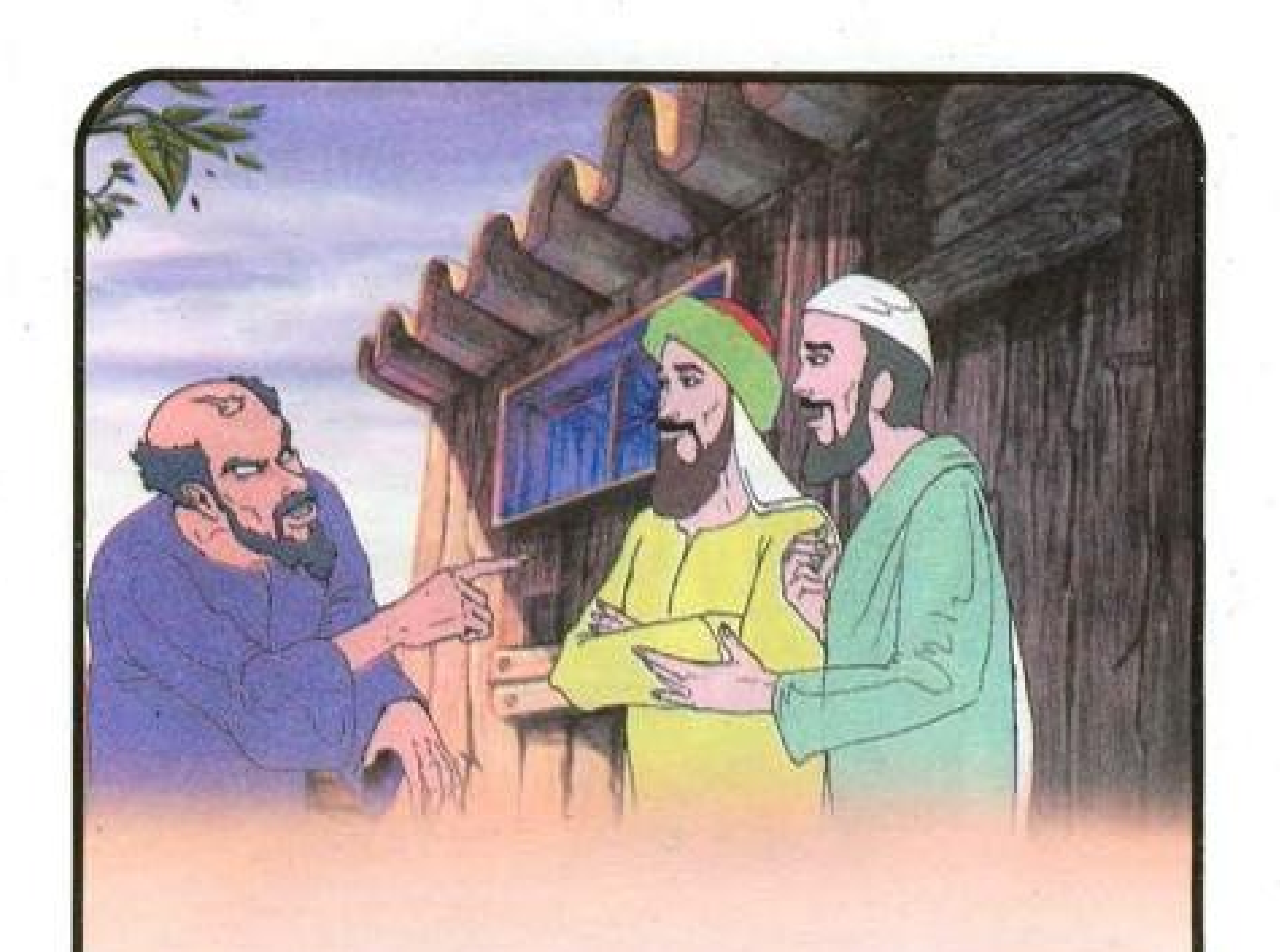
ولكنهم قابلوا نعم الله الكثيرة بالجحود وعدم الشكر لله.





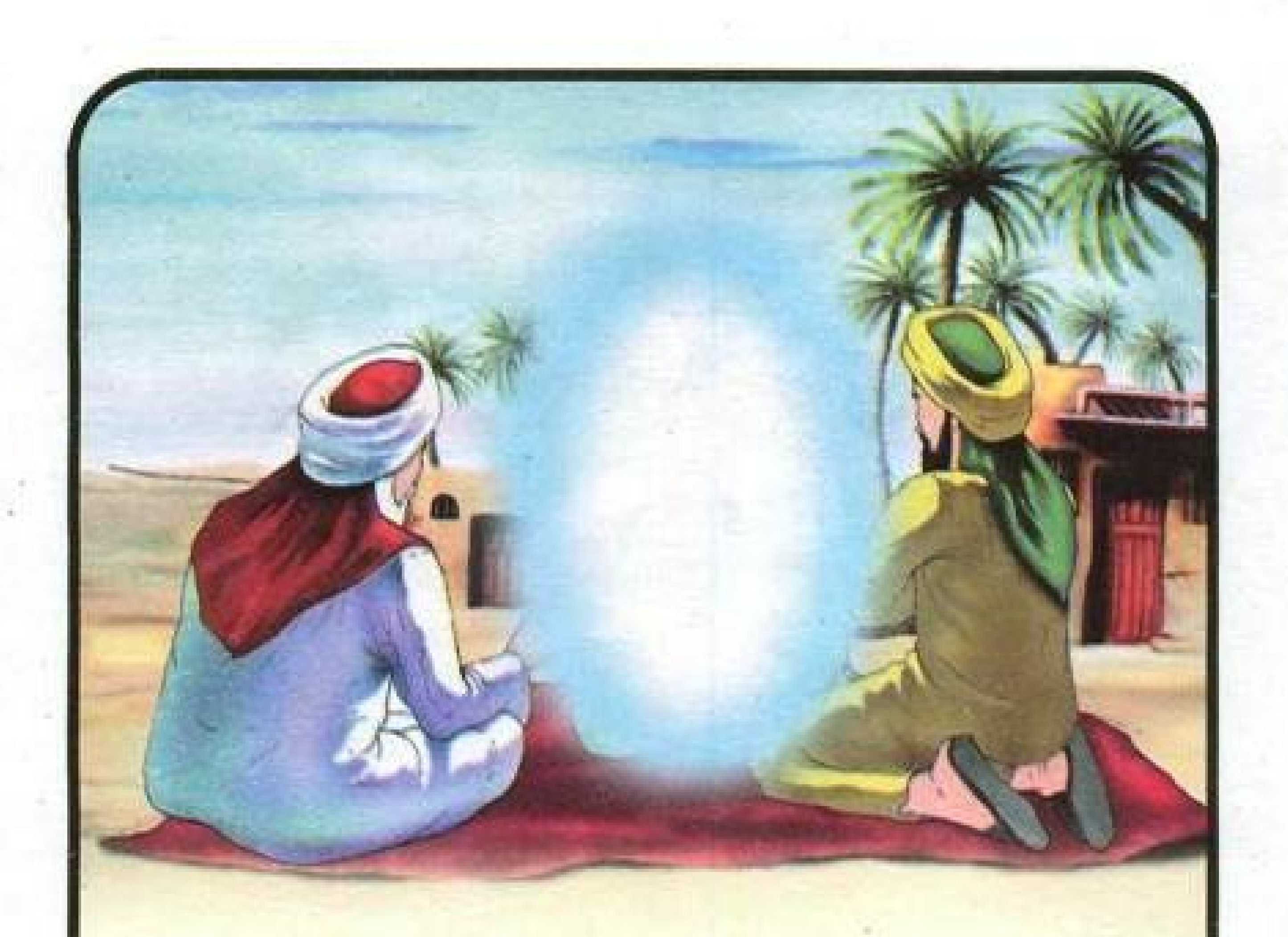
نصيحة صالح عليه السلام لقومه

وأخذ صالح عليه السلام ينصح قومه ويدعوهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام وترك الفساد وأنه لا يسألهم أجراً على دعوته وإنما يطلب أجره من الله ويبين لهم الأدلة على وجود الله ويقدم لهم البراهين والحجج على ضلالهم في عبادتهم لغير الله وأن الله هو الذي يجب أن يعبد دون سواه.



رد قوم صالح عليه السلام

ولما نصح صالح قومه بالإيمان بالله، آمن به المستضعفون من القوم أما كبراء القوم ورؤساؤهم فلم يؤمنوا به وكذبوه، وقال المستكبرون من قومه: أنزل عليه الذكر من بيننا؟ إستبعاداً أن ينال الخير أحد سواهم واستكباراً عن اتباعهم لرجل منهم لا يمتاز عنهم بالغنى والثراء والرياسة.

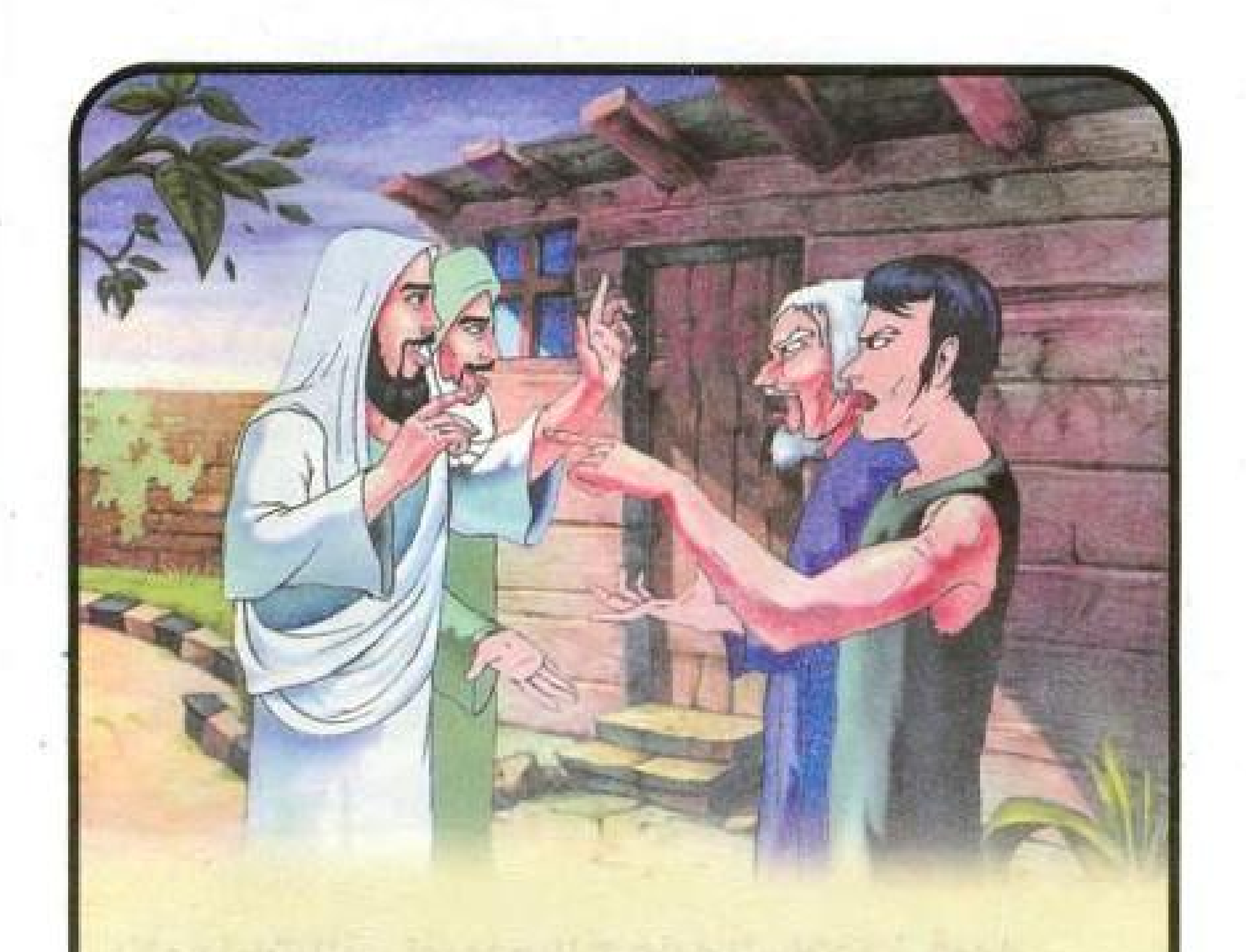


الادعاءات التي لقيها صالح عليه السلام من قومه

وبدلاً من أن يتبع المشركون صالحًا عليه السلام ويؤمنوا به أخذوا يسيئون إليه.

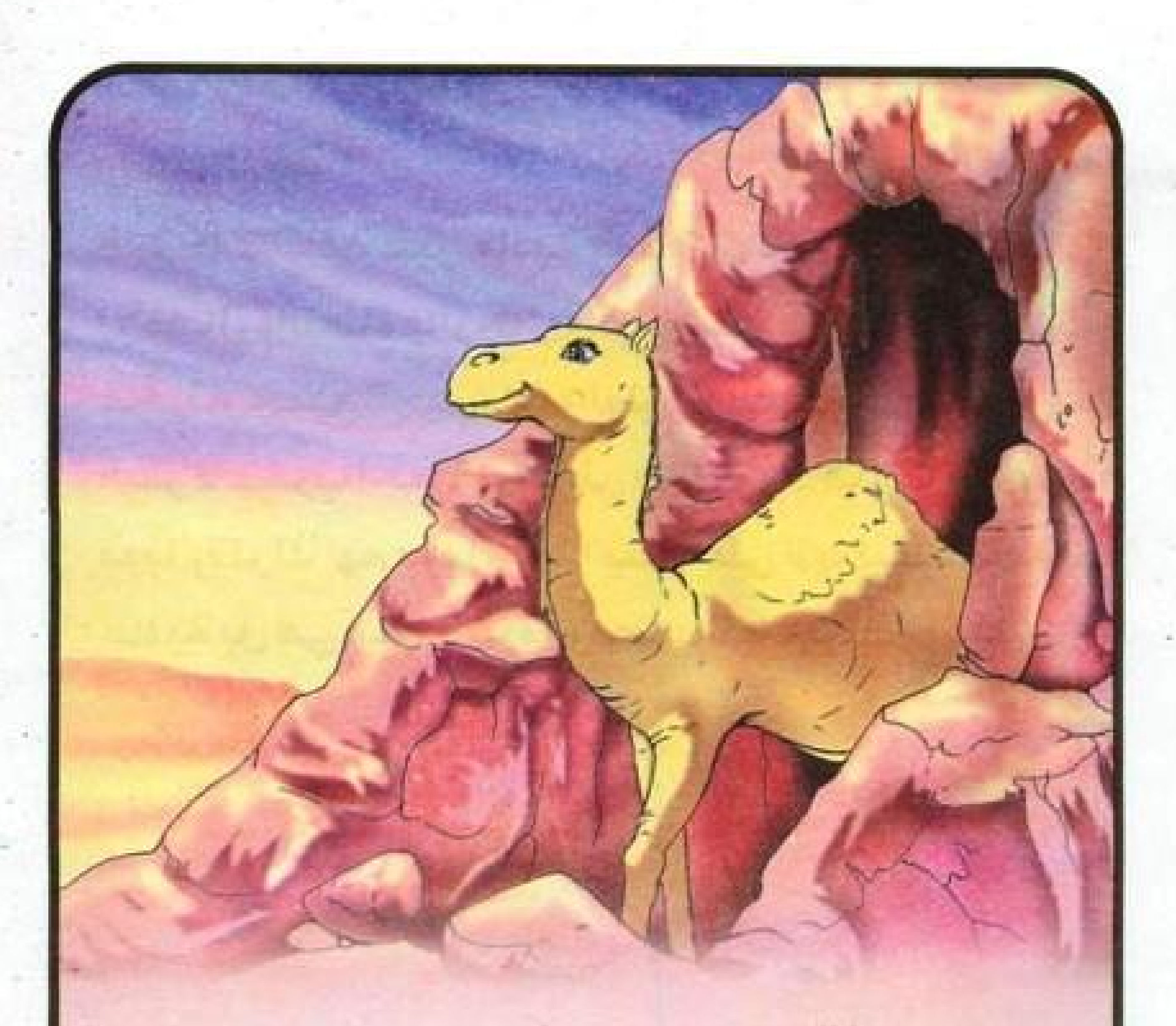
فقال أحدهم: لقد كنت فينا رجلاً كريماً محبوباً لدينا، ونستشيرك في جميع أمورنا لعلمك ورجاحة عقلك وصدقك. فماذا حدث لك؟!!

وقال آخر: ما الذي دعاك لأن تأمرنا بترك ديننا ودين آباءنا؟! وتبجح آخرون وقالوا: لقد خاب رأينا فيك والآن صرت مختل التفكير.



الخطاب الذي دار بين الفئة الكافرة والفئة المؤمنة

وذات يوم جاءت الفئة الكافرة تشكك وتخوف الفئة المؤمنة وتقول لها: أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه. فردت الفئة المؤمنة دون خوف لأنها أصبحت قوية الإيمان ولديها ثقة في نفسها بما اتبعته من هذا الدين، نعم، إنا بما أرسل به مؤمنون. لكن الفئة الكافرة أصرت على ضلالها وقالوا معلنين: إنا بالذي آمنتم به كافرون.

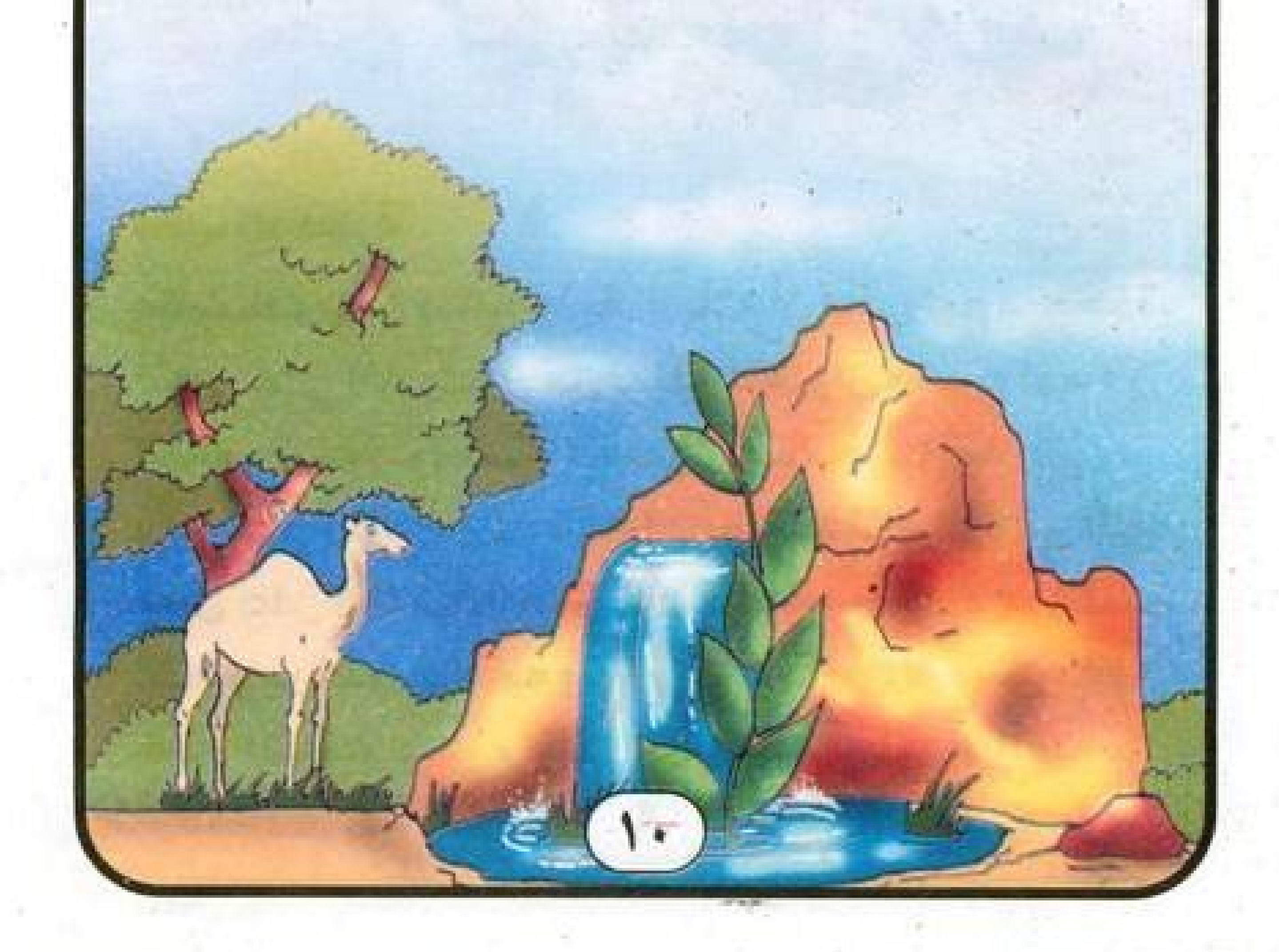


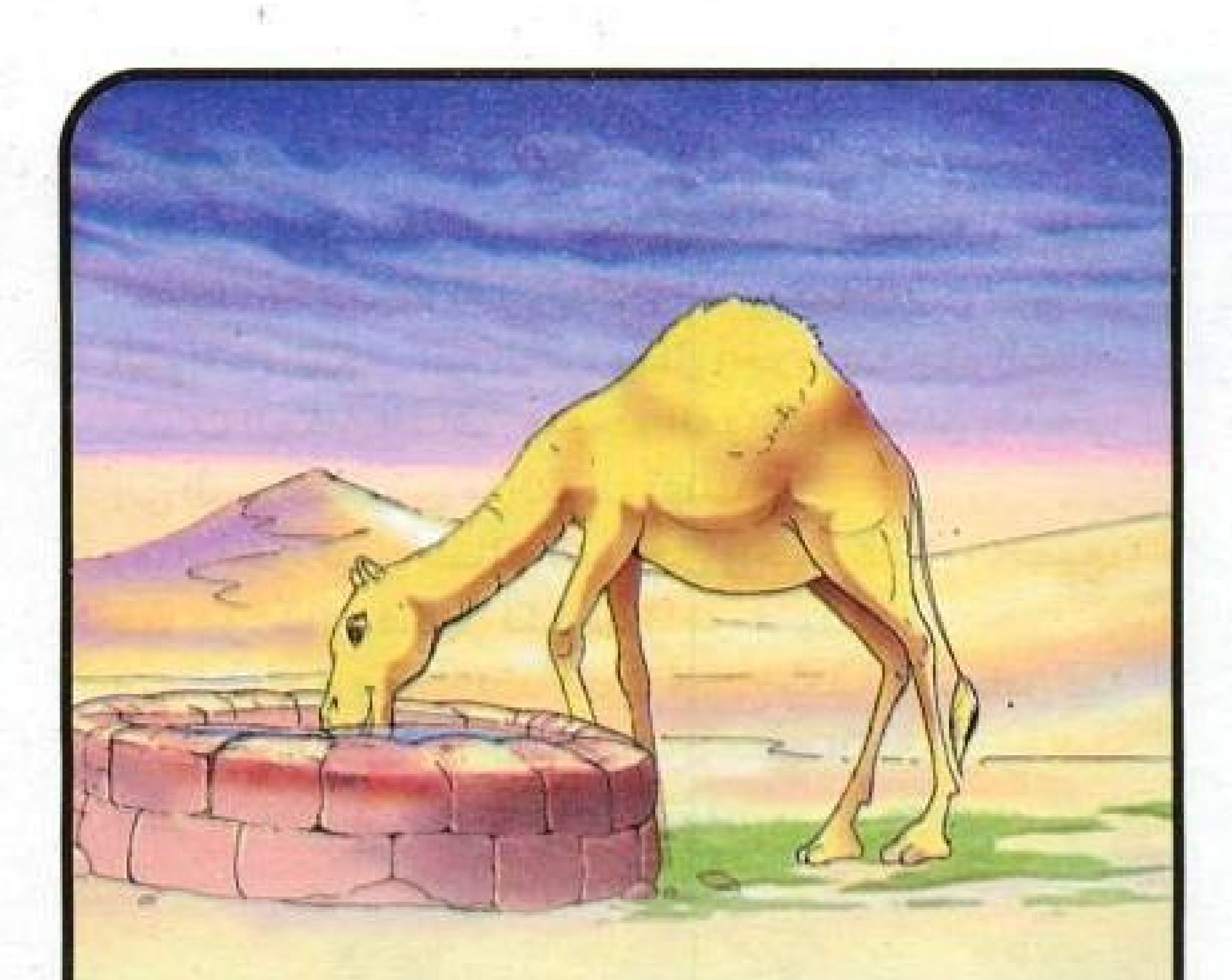
طلب المعجزة

طلب القوم من صالح عليه السلام أن يأتي لهم بمعجزة لتدل على أنه رسول من عند الله، وأن يخرج لهم من الصخرة ناقة، وشاءت الأقدار أن يستجيب الله طلبهم.
وقال لهم صالح: هذه ناقة الله وإضافة الناقة إلى الله يدل على أنها ناقة غير عادية وأنها معجزة من عند الله. وأمر الله سبحانه وتعالى صالحاً بأن لا يمس القوم هذه الناقة بسوء وإلا أنزلِ الله عليهم العذاب.

وصف الناقة

فقد كانت ناقة غير عادية فقد كان لبنها يكفي آلاف الأطفال والنساء والرجال وإذا نامت أو وقفت في مكان هجرته جميع الحيوانات والطيور. وعندما تشرب من البئر لا يشرب أحد غيرها في هذا اليوم، فكانت تشرب يوماً وتترك لهم يوماً. وهذا يدل على أنها ليست ناقة عادية بل هي آية معجزة من عند الله سبحانه وتعالى.





وقوع الكراهية في قلب الكافرين

وعاشت الناقة بين القوم فترة من الزمن دون أن يمسها أحداً بسوء لكن الفئة الكافرة أخذ الكره يدب في قلبها فبعد أن كانت تكره صالحاً ودعوته أصبحت الكراهية متجهة إلى الناقة.

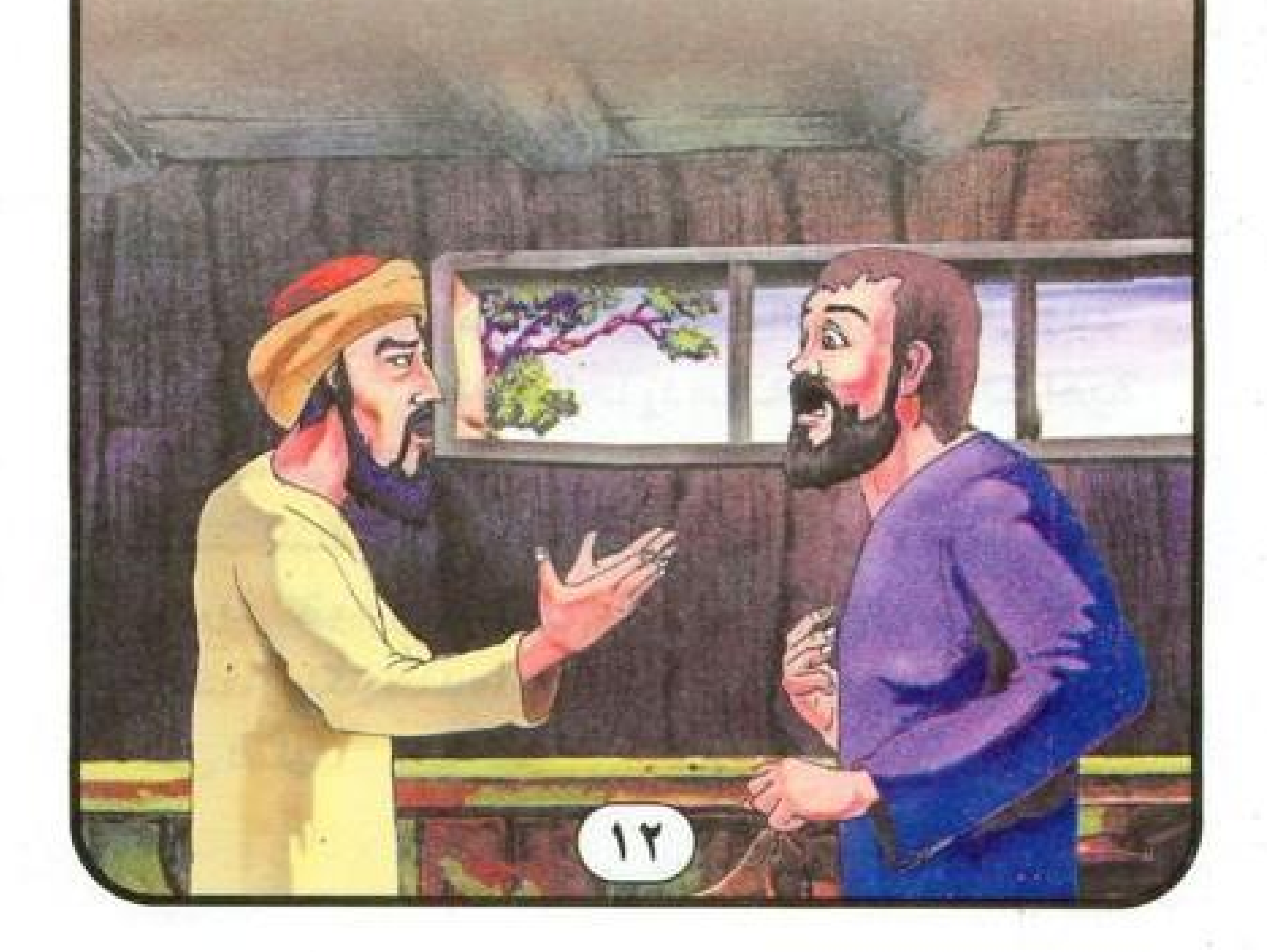
وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه من البئر لا يشرب القوم ويشربون لبنها ويكفيهم جميعاً الكبار والصغار ولكن عندما دب الكره في قلوبهم للناقة تآمروا على قتلها.

المؤامرة

وعندما اجتمعت الفئة الكافرة قال أحدهم: إذا جاء الصيف أخذت الناقة المكان الذي فيه الظل فتهجر المواشي المكان إلى الحر. وقال آخر: وإذا جاء الشتاء أخذت المكان الدافئ فتهجر المواشي المكان وتذهب إلى البرد فتمرض مواشينا وتهلك.

وقال آخر: ليس هناك غير حل واحد. فقال الجميع: فما هو؟ قال: قتلها، لكي نتخلص منها.

فرد أحدهم وقال: لقد أمرنا صالح بعدم المساس بها وإلا أنزل الله علينا العذاب. فرد عليه الكافرون وقالوا: نحن لا نصدق صالحاً فيما يقول.





وقوع الجريمة

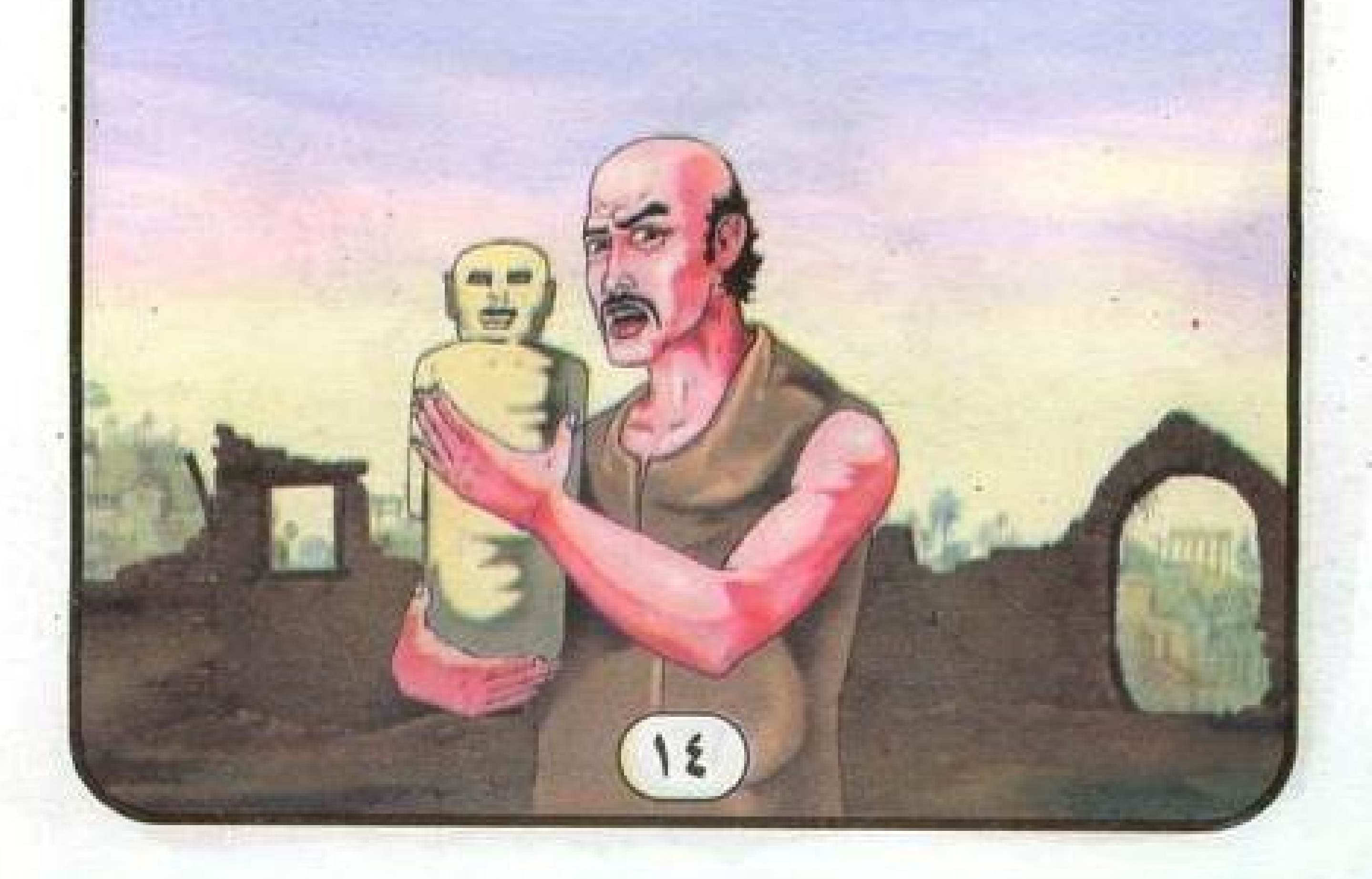
وبعد التفكير في قتل الناقة اختاروا تسعة رجال من أشدهم قسوة وكفراً وعناداً، ليتولوا أمر قتل الناقة، واتفقوا على موعد الجريمة والمكان.

ولما جاء الليل أخذوا يتسللون ويوجهون إليها السهام، فقامت الناقة من نومها مفزوعة والدم ينسال منها.

النبي صالح عليه السلام يغضب من قومه

وعندما علم صالح عليه السلام بما حدث للناقة غضب غضباً شديداً. وقال لقومه: ألم أحذركم من قتل الناقة؟ فردِ عليه الكافرون: قتلناها فآتنا بالعذاب الذي تعدنا به.

وأوحى الله سبحانه وتعالى أن العذاب سوف ينزل عليهم بعد ثلاثة أيام. ولكن القوم كذبوه واستهزؤوا به واستمروا في كفرهم واستهزائهم وسخريتهم من صالح عليه السلام.

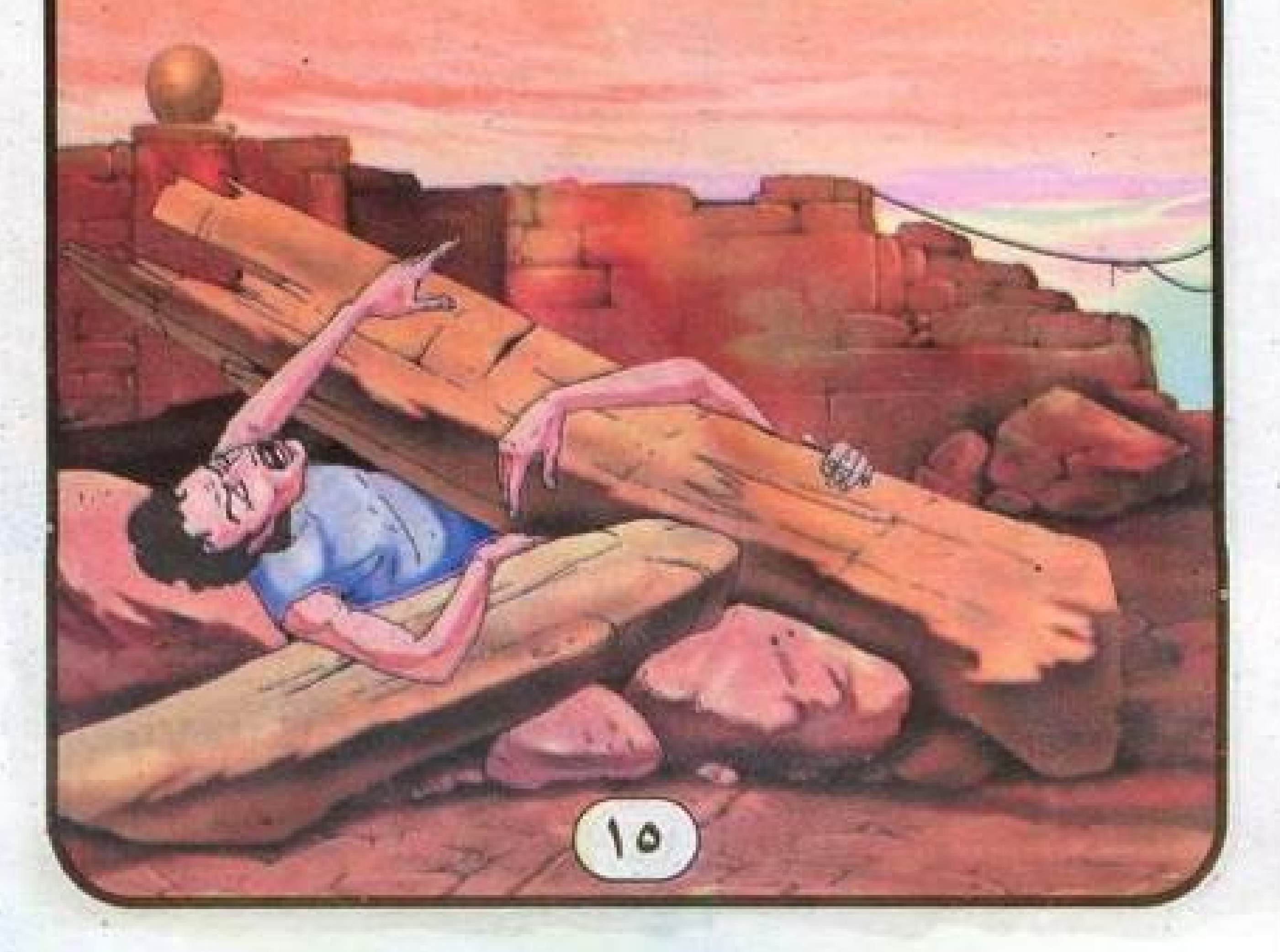


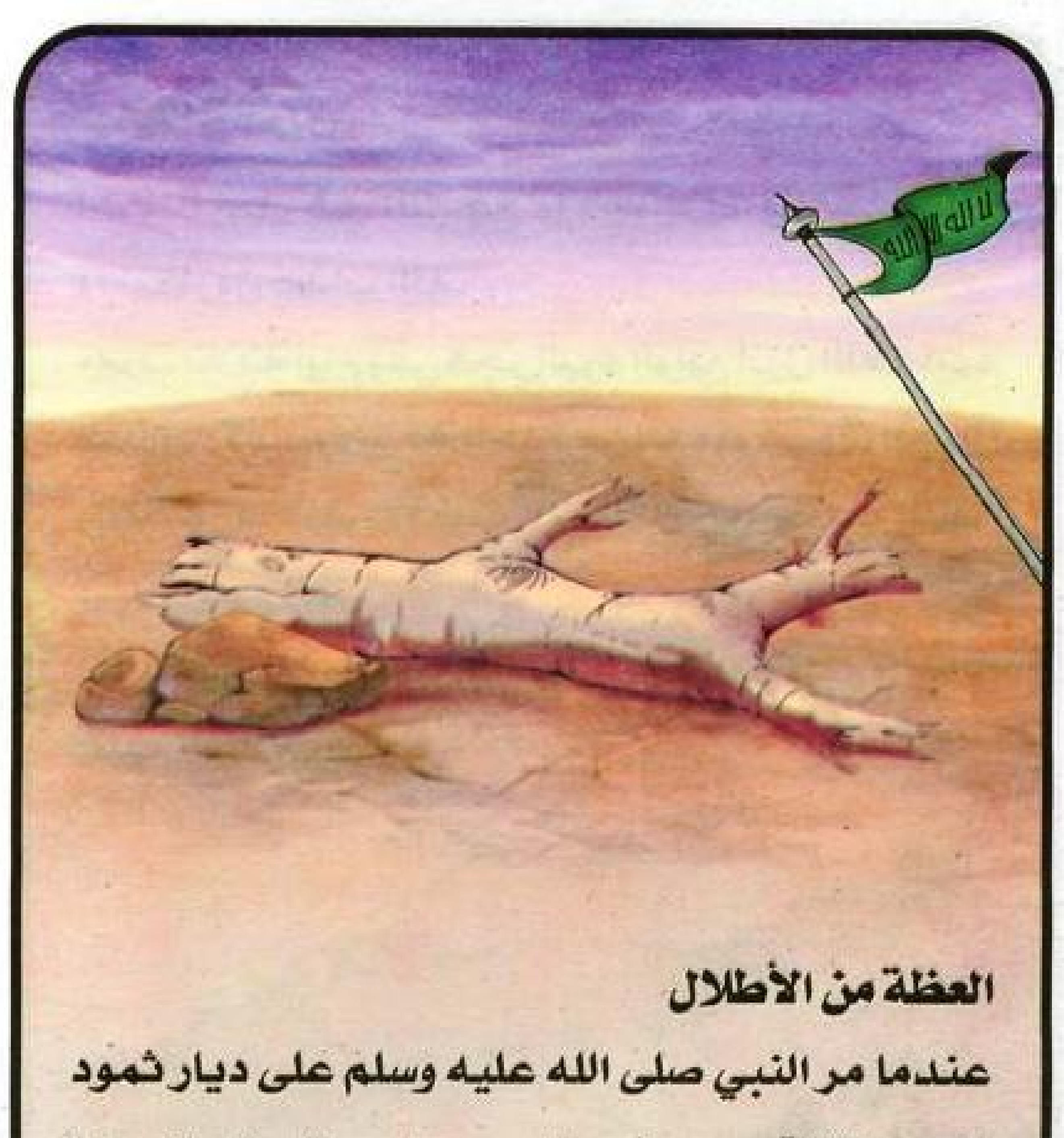
نهاية الكافرين

أخذ الكفار في التبجح والاستهزاء بالنبي صالح وينتظرون عذاب الله.

ومرت ثلاثة أيام وفي فجر اليوم الرابع أنزل الله عليهم العذاب وكانت بصيحة واحدة من السماء فسوت الجبال والقصور بالأرض وقضت على الكافرين جميعاً الذين عبدوا غير الله.

أما الذين آمنوا فقد غادروا المكان مع نبيهم صالح عليه السلام ونجوا.

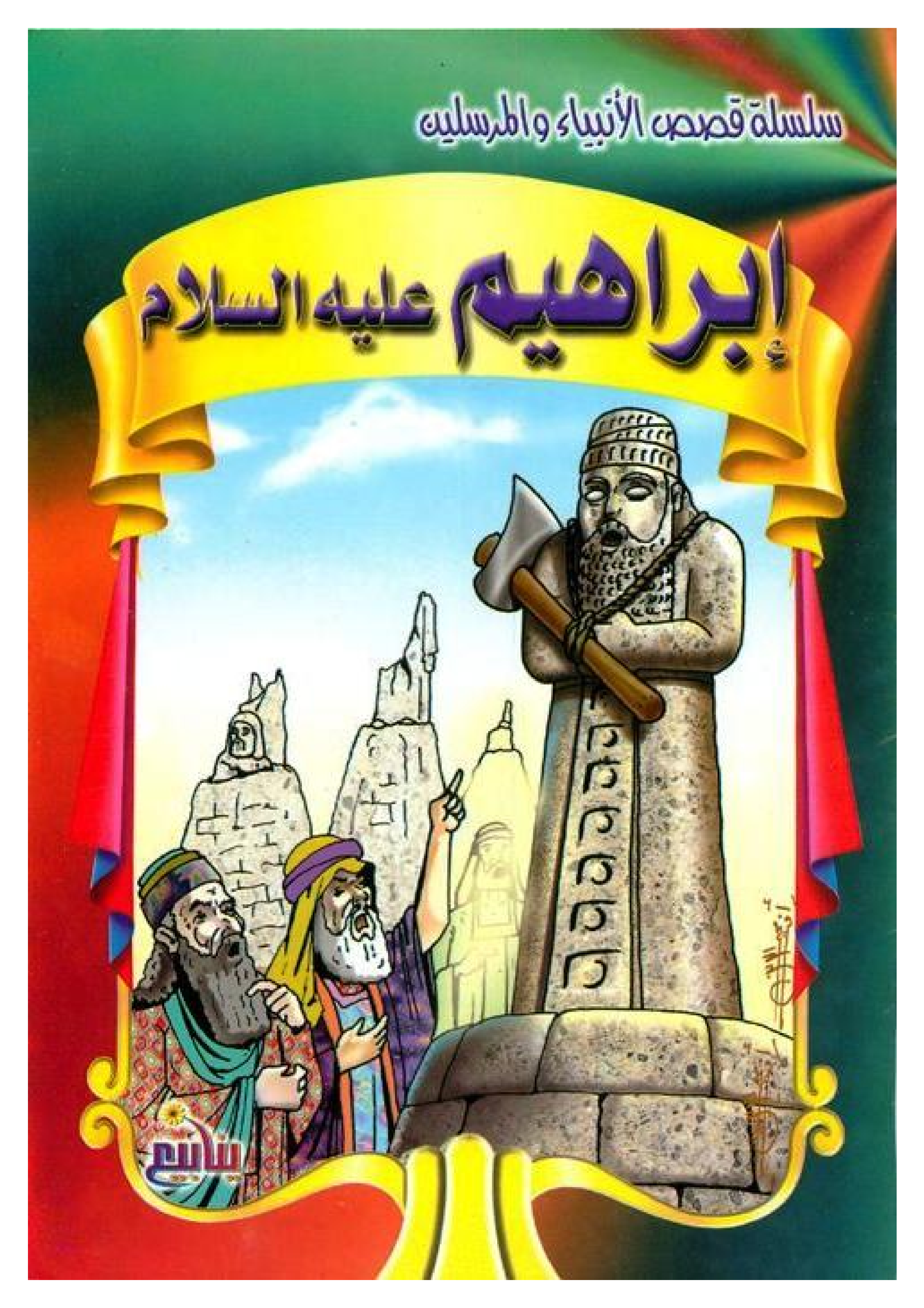


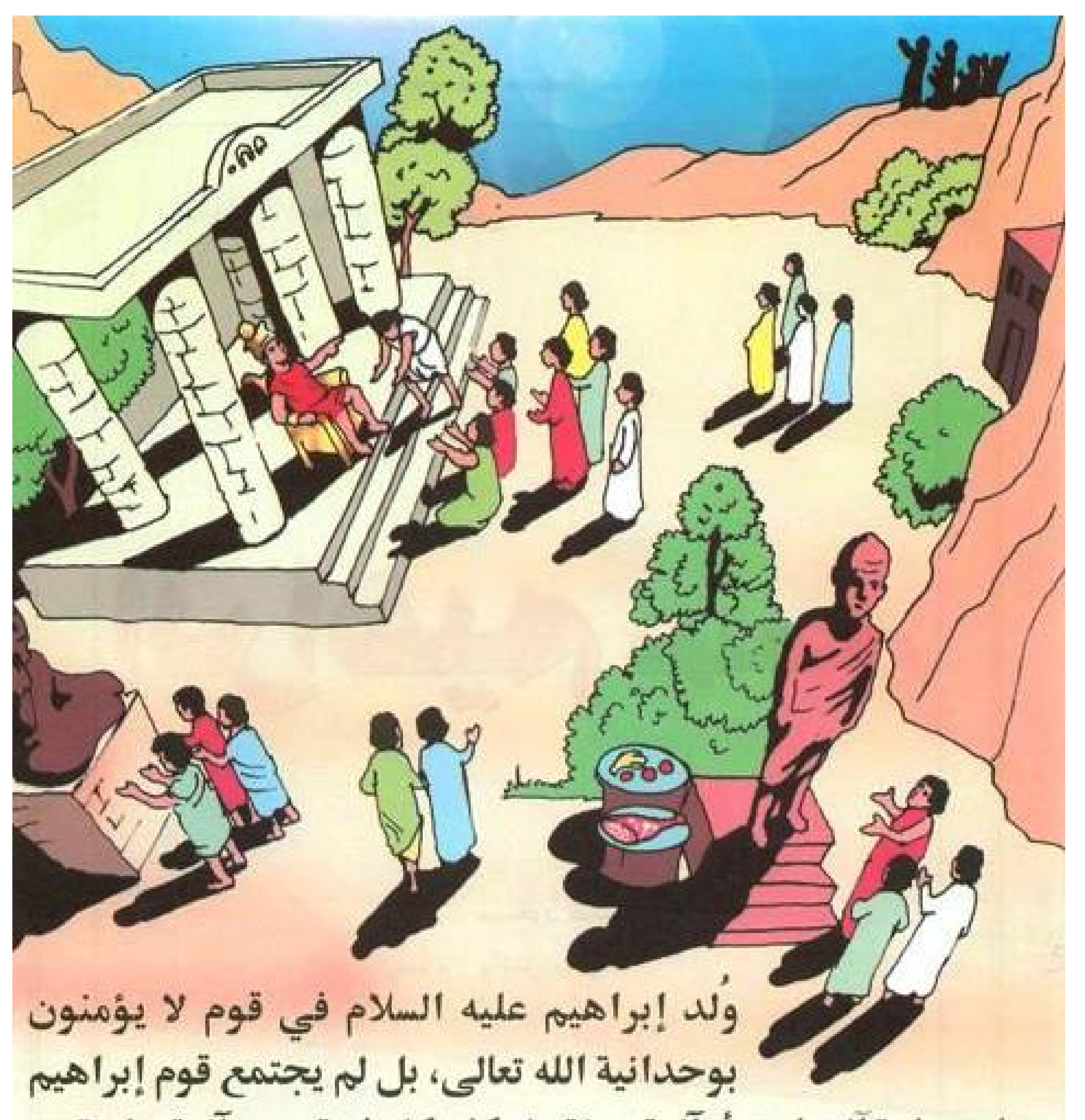


العظة من الأطلال

عندما مر النبي صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود المعروفة الآن بمدائن صالح وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع من الهجرة، أمر أصحابه أن يدخلوها خاشعين خائفين لئلا يصيبهم ما أصاب قومها.

وألا يدخلوا القرية الظالم أهلها وعدم الشرب من مائها.


سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
إبراهيم عليه السلام
سابع

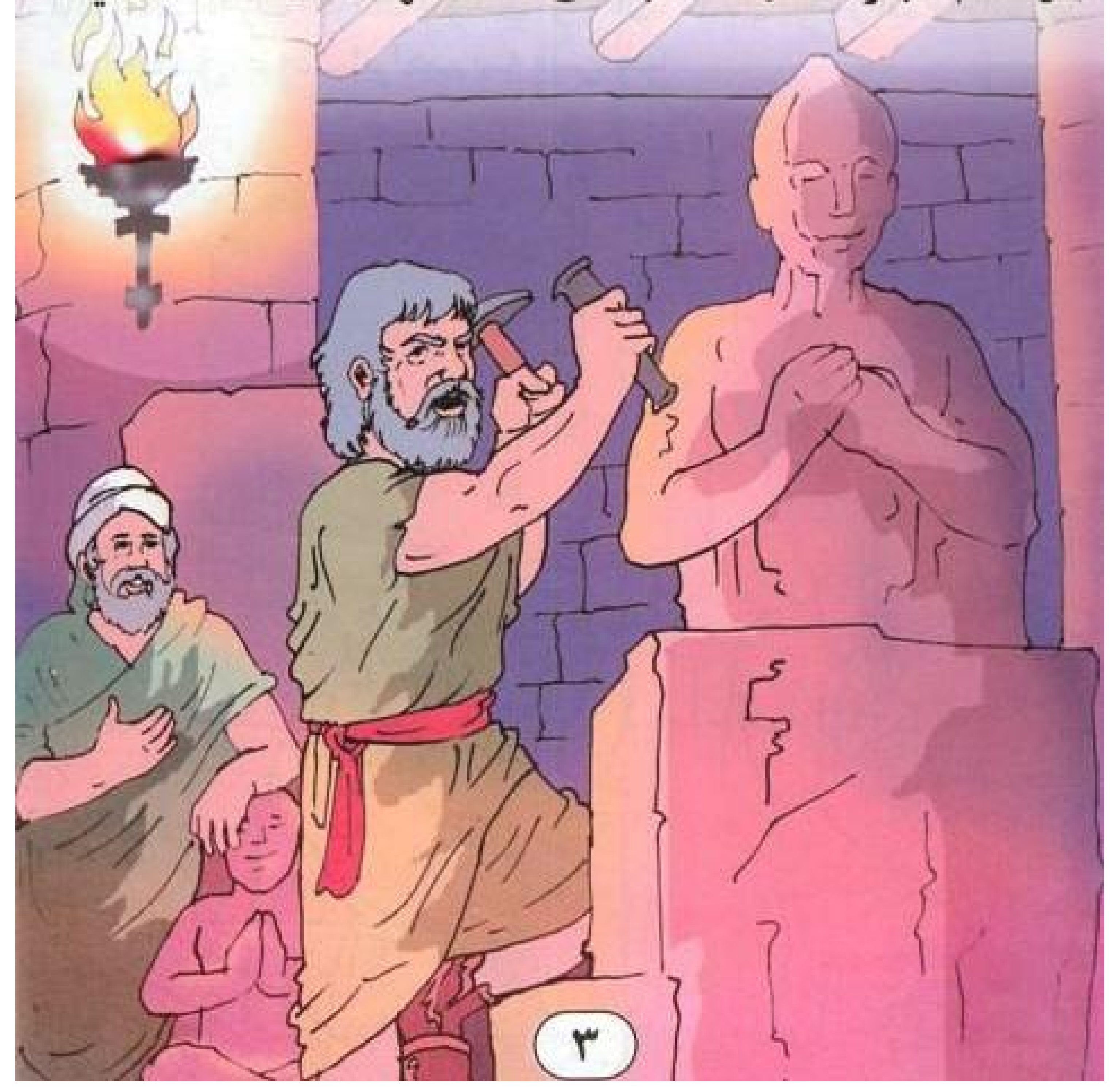


وُلد إبراهيم عليه السلام في قوم لا يؤمنون بوحدانية الله تعالى، بل لم يجتمع قوم إبراهيم على عبادة إله واحد أو آلهة معينة، بل كان كل فريق يعبد آلهة خاصة به، تختلف عن الأخرى.

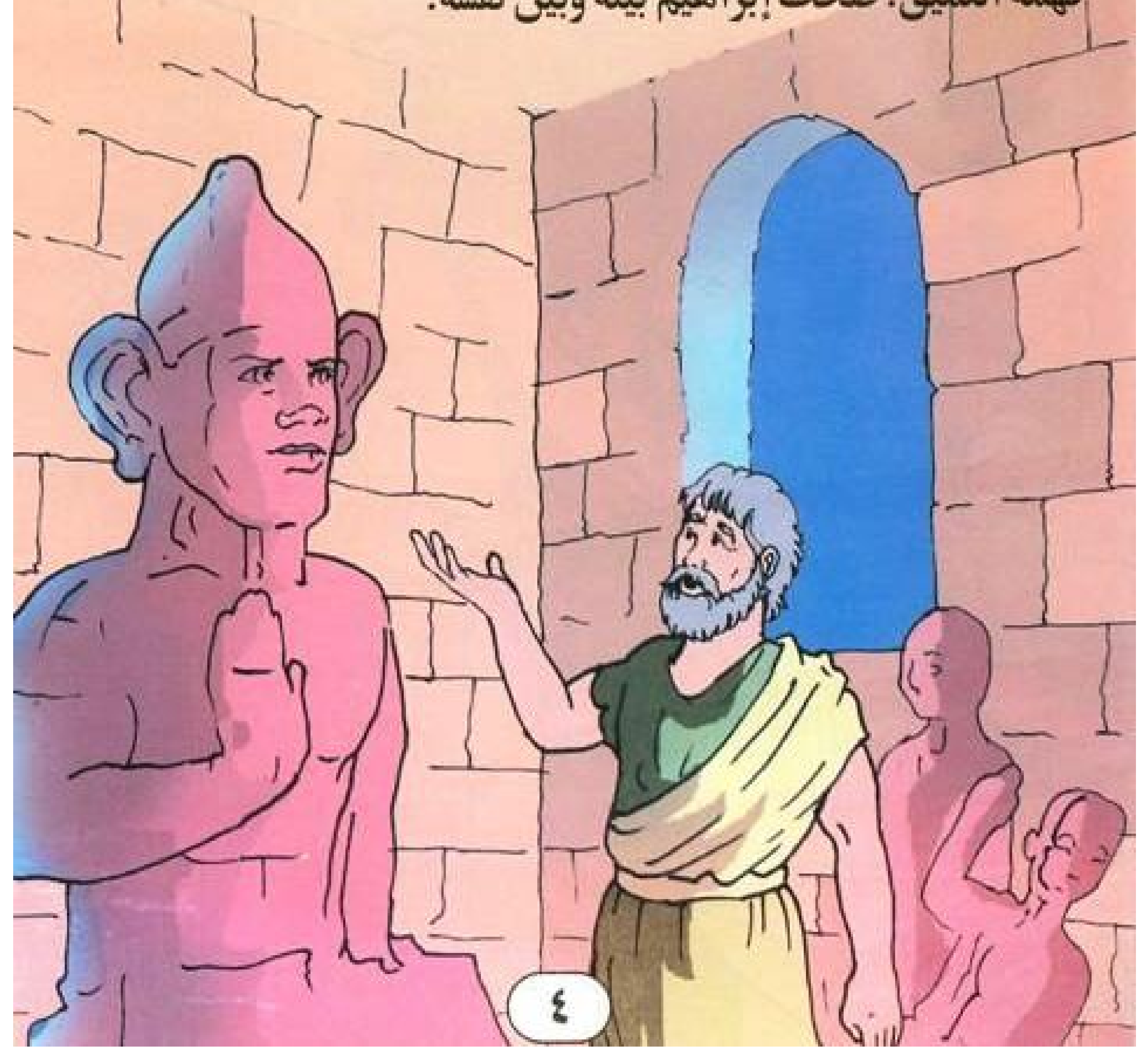
فهناك من الناس من يعبد الأصنام والتماثيل المصنوعة من الخشب والحجر. وطائفة من الناس تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر. وجماعة ثالثة تعبد الملوك والحكام، فيسجدون لهم، ويعبدونهم من دون الله.

في هذا المجتمع وُلد إبراهيم عليه السلام، لقد وُلد في بيت يصنع صاحبه الأصنام والتماثيل، ويبيعها للناس.

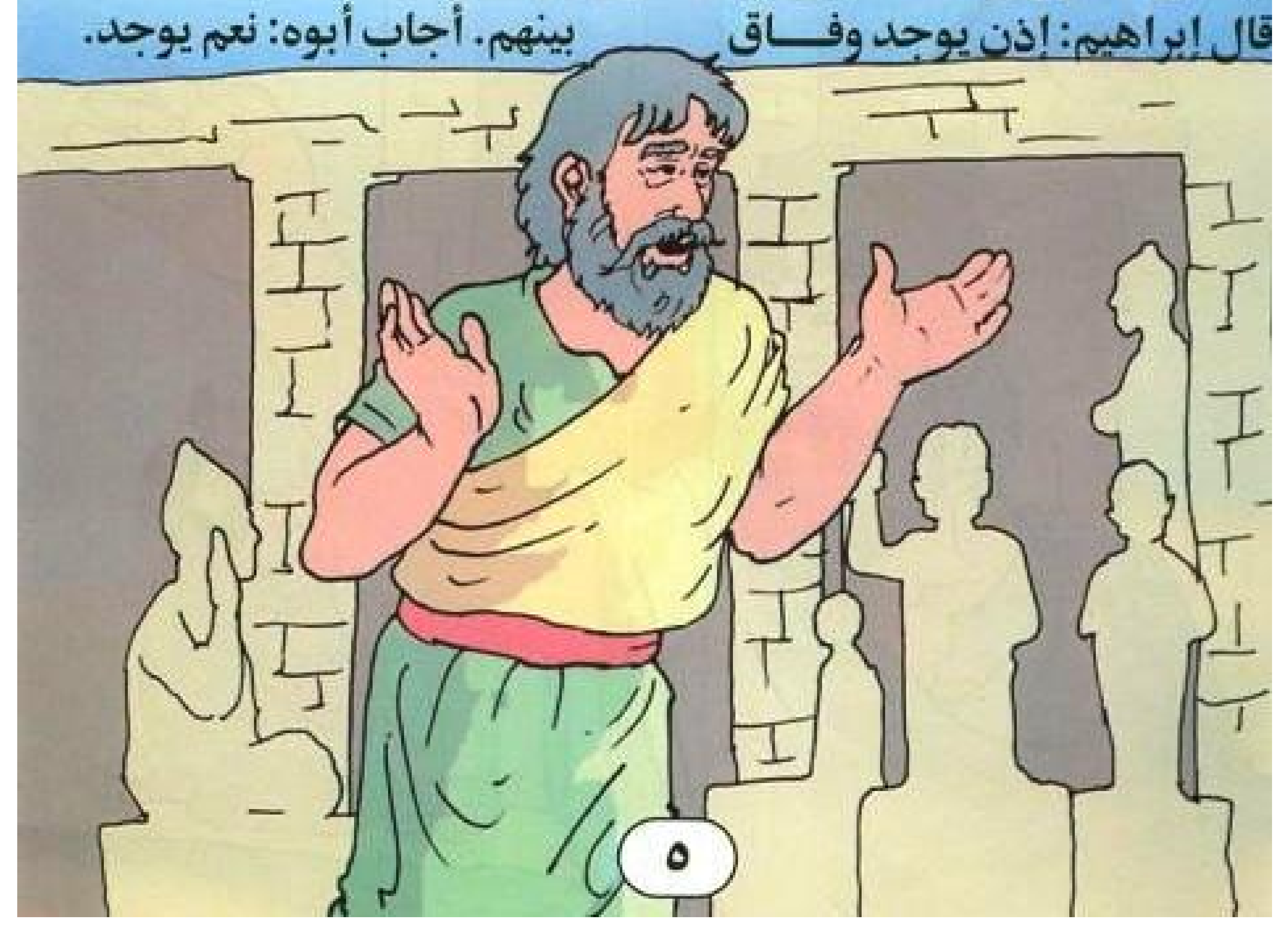
وكان والد إبراهيم أشهر صانع للأصنام والتماثيل. وكان هذا الأمر يعطي لصاحبه مكانة خاصة، وكم كان يتمنى أبوه أن يكبر إبراهيم ليكون كاهناً كبيراً بين الناس، وكان كلما زاره أحد من الناسٍ يصرح لهم بأمنيته، ويقول لهم: كم أتمنى أن يكون إبراهيم كبيرا للكهنة، لابد أن أعده لهذه المكانة العالية.



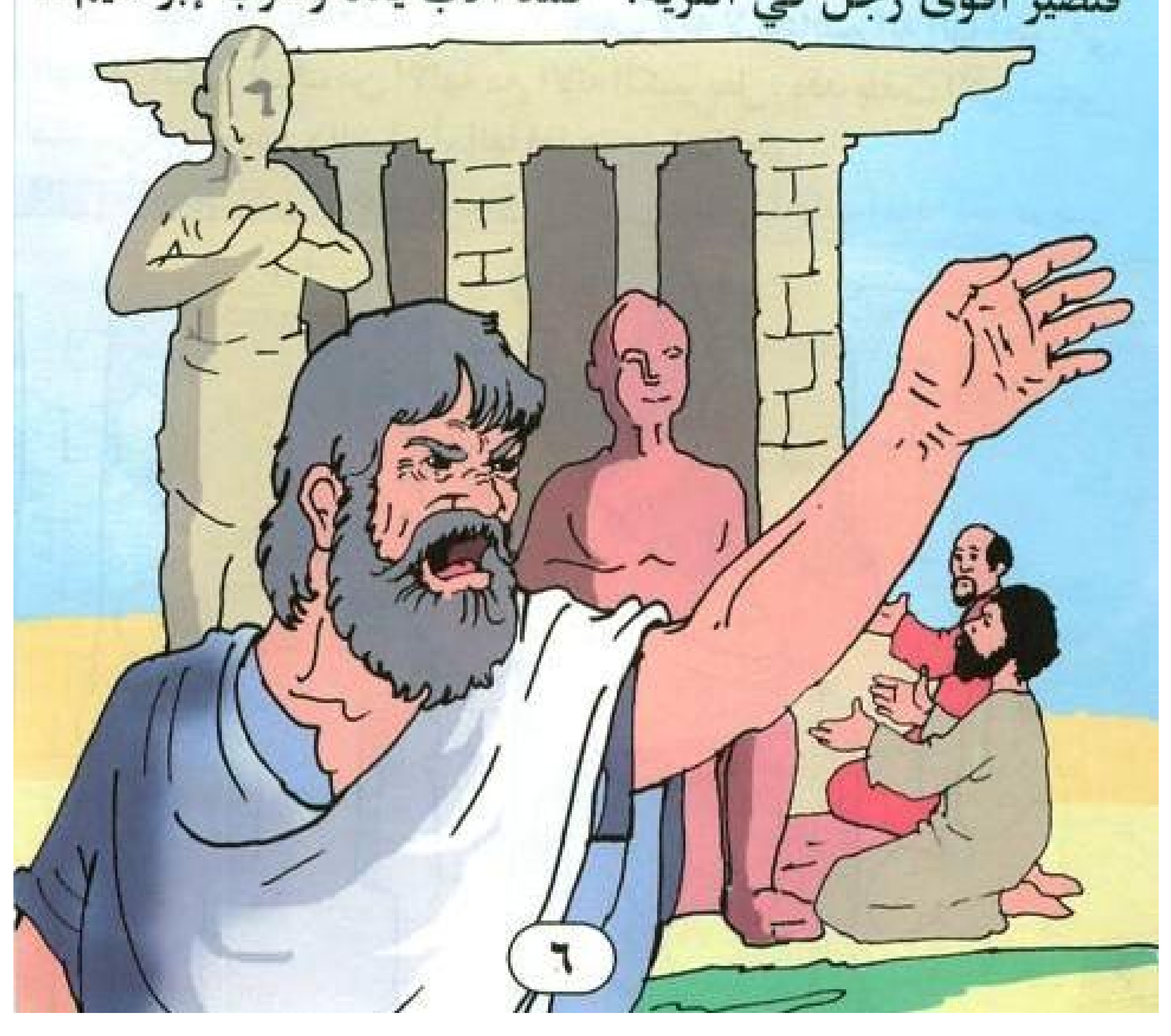
كان إبراهيم يرى أباه يصنع التماثيل، فيسأله وهو يندهش، ما هذه يا أبت؟
فيقول: إن آلهة التماثيل يا بني ولكن إبراهيم لم يصدق مثل هذا الكلام.
ولما كان إبراهيم في السابعة من عمره، فكان يلعب وهو طفل بهذه التماثيل
ويمتطي ظهورها مثلما يمتطي الناس ظهور الخيل والحمير والبغال.
وشاهده أبوه يوماً يركب ظهر أحد التماثيل، وغضب الأب وأمر ابنه ألا
يلعب بهذا التمثال مرة ثانية.
فسأله إبراهيم: أي تمثال هذا يا أبي...؟ إن أذنيه كبيرتان .. أكبر من آذاننا.
قال أبوه: إنه رب الأرباب يا ولدي، وهاتان الأذنان الكبيرتان ترمزان إلى
فهمه العميق. ضحك إبراهيم بينه وبين نفسه.

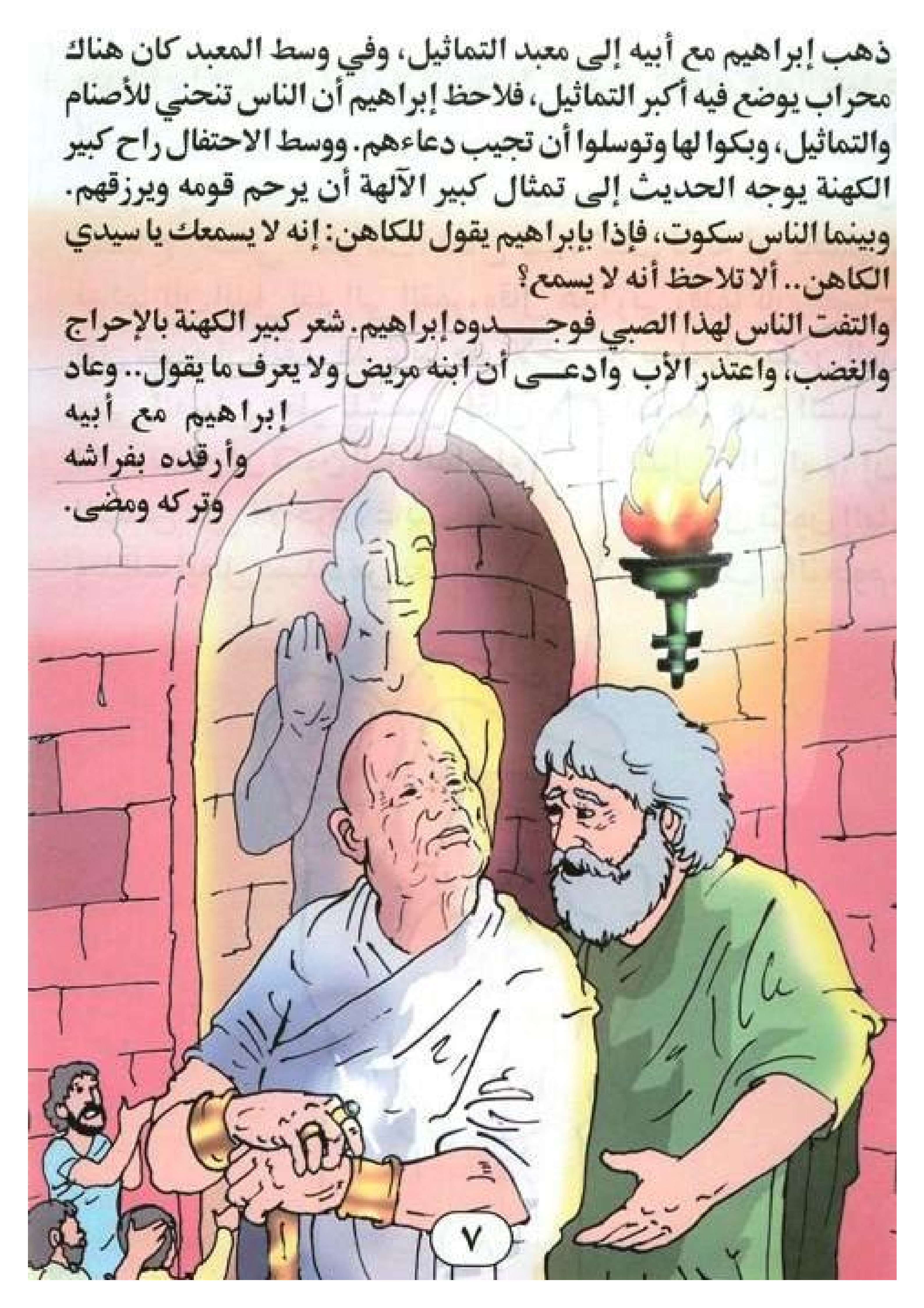


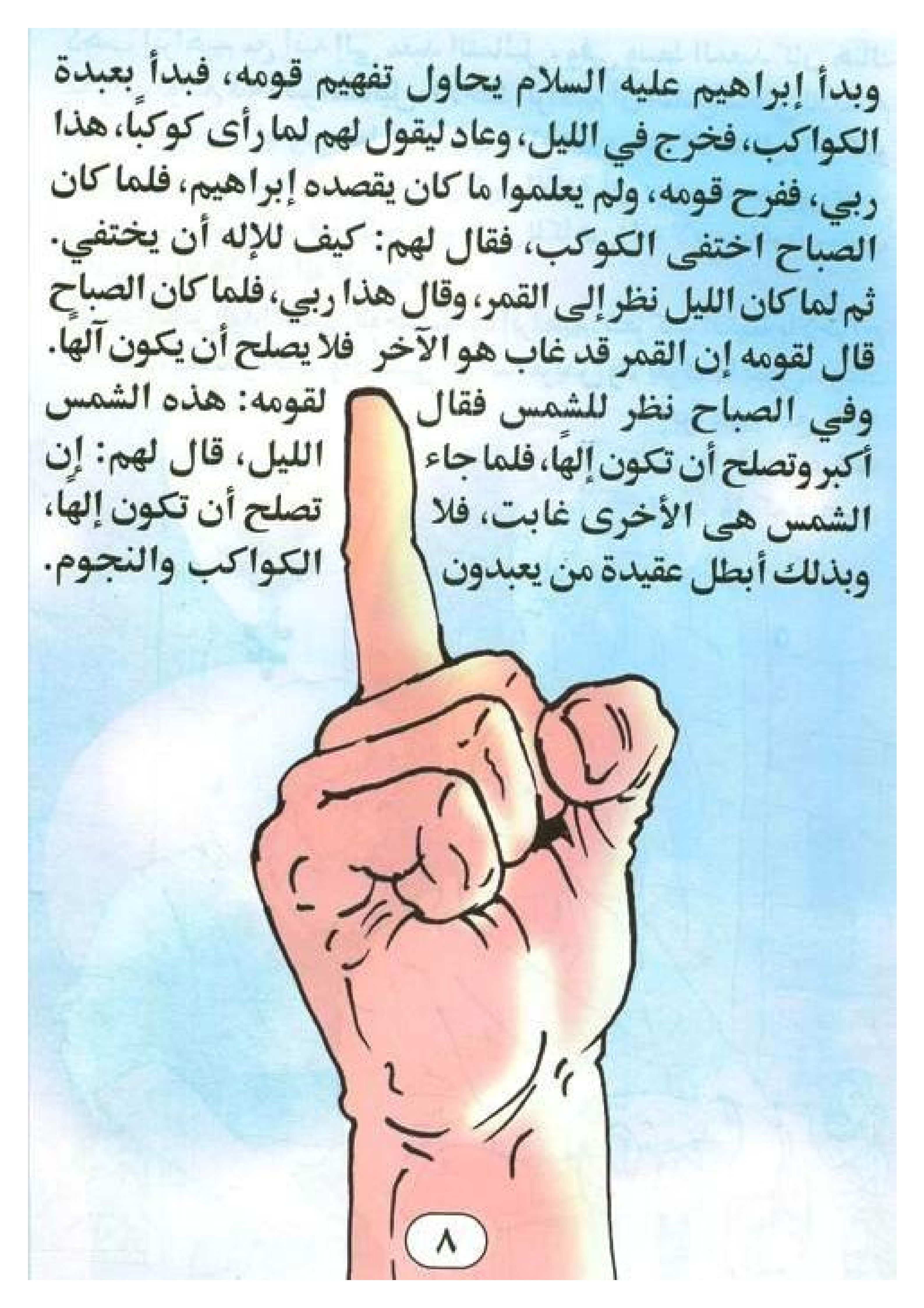
وفي يوم من الأيام سأل إبراهيم والده: من صنع الإنسان يا أبي؟
فأجابه الأب: الإنسان، لأني أنا صنعتك وأبي صنعني.
فقال إبراهيم: ليس الأمر كذلك يا أبي. لأني سمعت شيخاً ينتحب ويقول: يا إلهي.. لماذا لم تعطني أولاداً؟
قال الأب: حقاً يا بني .. الله يساعد الإنسان ليصنع إنساناً، ولكنه لا يضع يده فيه.
فقال إبراهيم: كم إلهاً هناك يا أبي؟ أجاب أبوه: لا عدد لهم يا بني. قال إبراهيم: ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلهاً وأراد بي الآخر شرا لأني لم أخدمه؟ ماذا لو وقع شقاق وخصام بين الآلهة؟ ماذا لو قتل الإله الذي يريد بي شرا؟ ماذا أفعل..؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً.
أجاب أبوه وهو يضحك: يا بني لا تخف لأنه لا يخاصم إله إلهاً آخر. في الهيكل الكبير ألوف من الآلهة مع الإله الكبير بعل، وقد بلغت الآن سبعين سنة من العمر ومع ذلك لم أر إلهاً قط ضرب إلهاً آخر.
قال إبراهيم: إذن يوجد وفاق بينهم. أجاب أبوه: نعم يوجد.



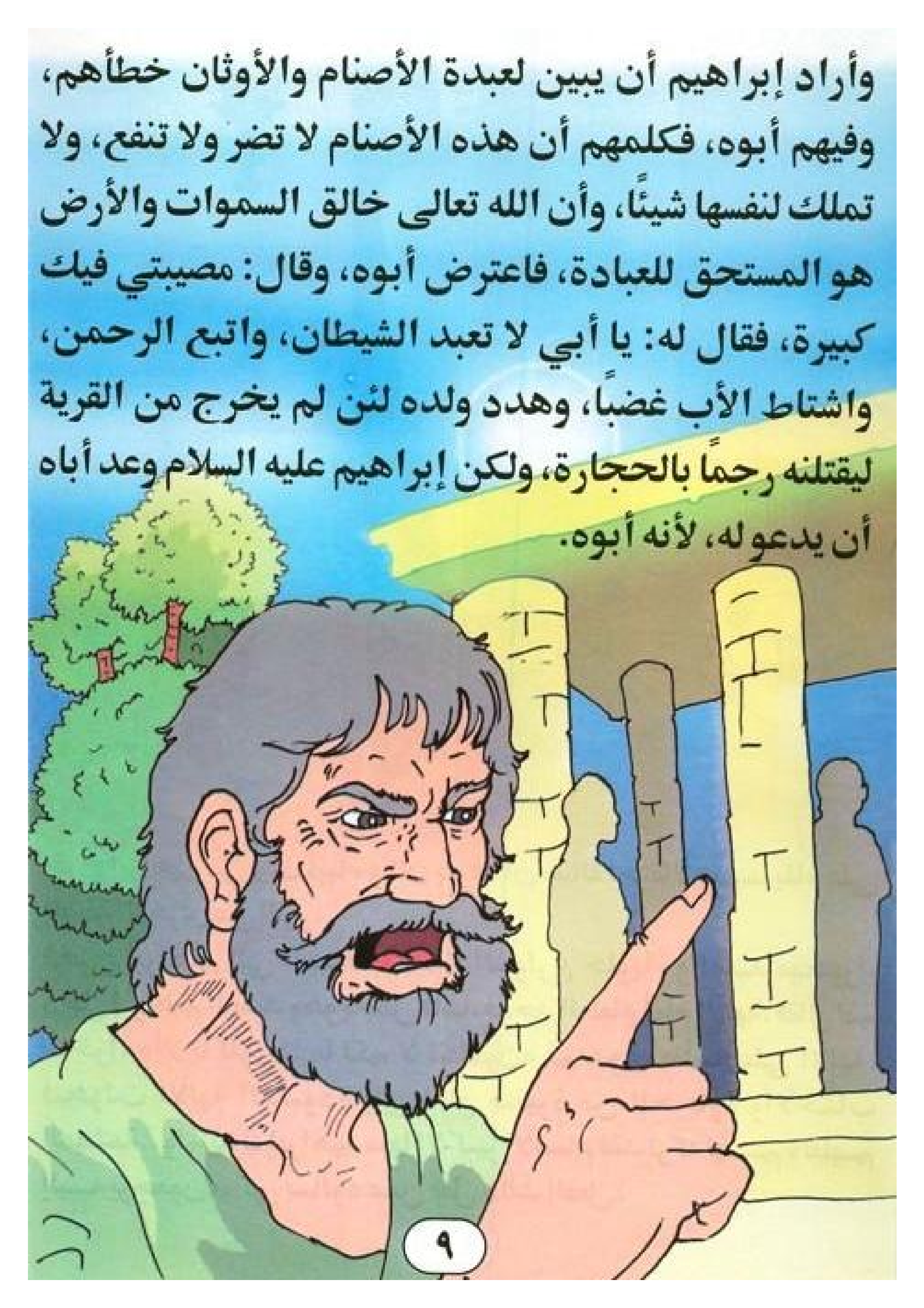
قال إبراهيم: من أي شيء تصنع الآلهة؟ قال الشيخ: من خشب النخل، ومن الزيتون، ومن العاج. انظر ما أجمله.. حقًا لا ينقصه إلا التنفس. قال إبراهيم: إذا لم يكن للآلهة نفس فكيف يهبون الأنفاس؟ وإذا لم تكن لهم حياة فكيف يعطون الحياة؟ من المؤكد يا أبي أن هؤلاء ليسوا هم الله! فغضب والده، وقال له: لو كنت كبيرًا لضربت رأسك بالفأس. قال إبراهيم: يا أبي .. إن كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يصنع الإنسان آلهة؟ إذا كانت الآلهة مصنوعة من الخشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى. ولكن قل لي يا أبت.. كيف وأنت تساعد الآلهة وتصنع منها أعدادًا هائلة.. كيف لم تساعدك الآلهة لتصنع أولادًا كثيرين فتصير أقوى رجل في القرية؟ فمد الأب يده وضرب إبراهيم...



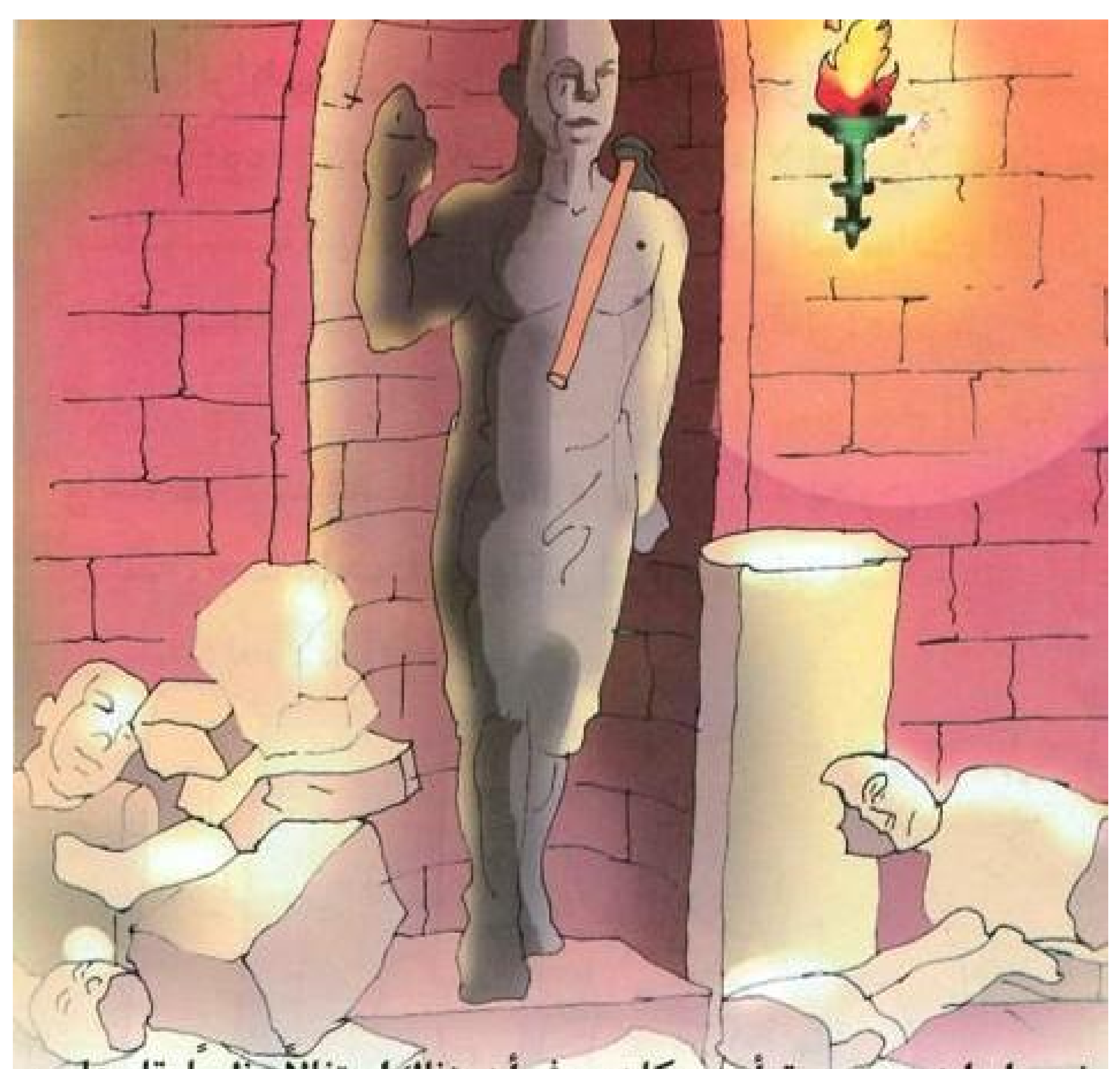

ذهب إبراهيم مع أبيه إلى معبد التماثيل، وفي وسط المعبد كان هناك
محراب يوضع فيه أكبر التماثيل، فلاحظ إبراهيم أن الناس تنحني للأصنام
والتماثيل، وبكوا لها وتوسلوا أن تجيب دعاءهم. ووسط الاحتفال راح كبير
الكهنة يوجه الحديث إلى تمثال كبير الآلهة أن يرحم قومه ويرزقهم.
وبينما الناس سكوت، فإذا بإبراهيم يقول للكاهن: إنه لا يسمعك يا سيدي
الكاهن.. ألا تلاحظ أنه لا يسمع؟
والتفت الناس لهذا الصبي فوجدوه إبراهيم. شعر كبير الكهنة بالإحراج
والغضب، واعتذر الأب وادعى أن ابنه مريض ولا يعرف ما يقول.. وعاد
إبراهيم مع أبيه
وأرقده بفراشه
وتركه ومضى.



وبدأ إبراهيم عليه السلام يحاول تفهيم قومه، فبدأ بعبدة الكواكب، فخرج في الليل، وعاد ليقول لهم لما رأى كوكبًا، هذا ربي، ففرح قومه، ولم يعلموا ما كان يقصده إبراهيم، فلما كان الصباح اختفى الكوكب، فقال لهم: كيف للإله أن يختفي.
ثم لما كان الليل نظر إلى القمر، وقال هذا ربي، فلما كان الصباح قال لقومه إن القمر قد غاب هو الآخر فلا يصلح أن يكون آلها.
وفي الصباح نظر للشمس فقال لقومه: هذه الشمس أكبر وتصلح أن تكون إلهًا، فلما جاء الليل، قال لهم: إن الشمس هى الأخرى غابت، فلا تصلح أن تكون إلها، وبذلك أبطل عقيدة من يعبدون الكواكب والنجوم.



وأراد إبراهيم أن يبين لعبدة الأصنام والأوثان خطأهم، وفيهم أبوه، فكلمهم أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تملك لنفسها شيئًا، وأن الله تعالى خالق السموات والأرض هو المستحق للعبادة، فاعترض أبوه، وقال: مصيبتي فيك كبيرة، فقال له: يا أبي لا تعبد الشيطان، واتبع الرحمن، واشتاط الأب غضبًا، وهدد ولده لئن لم يخرج من القرية ليقتلنه رجمًا بالحجارة، ولكن إبراهيم عليه السلام وعد أباه أن يدعو له، لأنه أبوه.

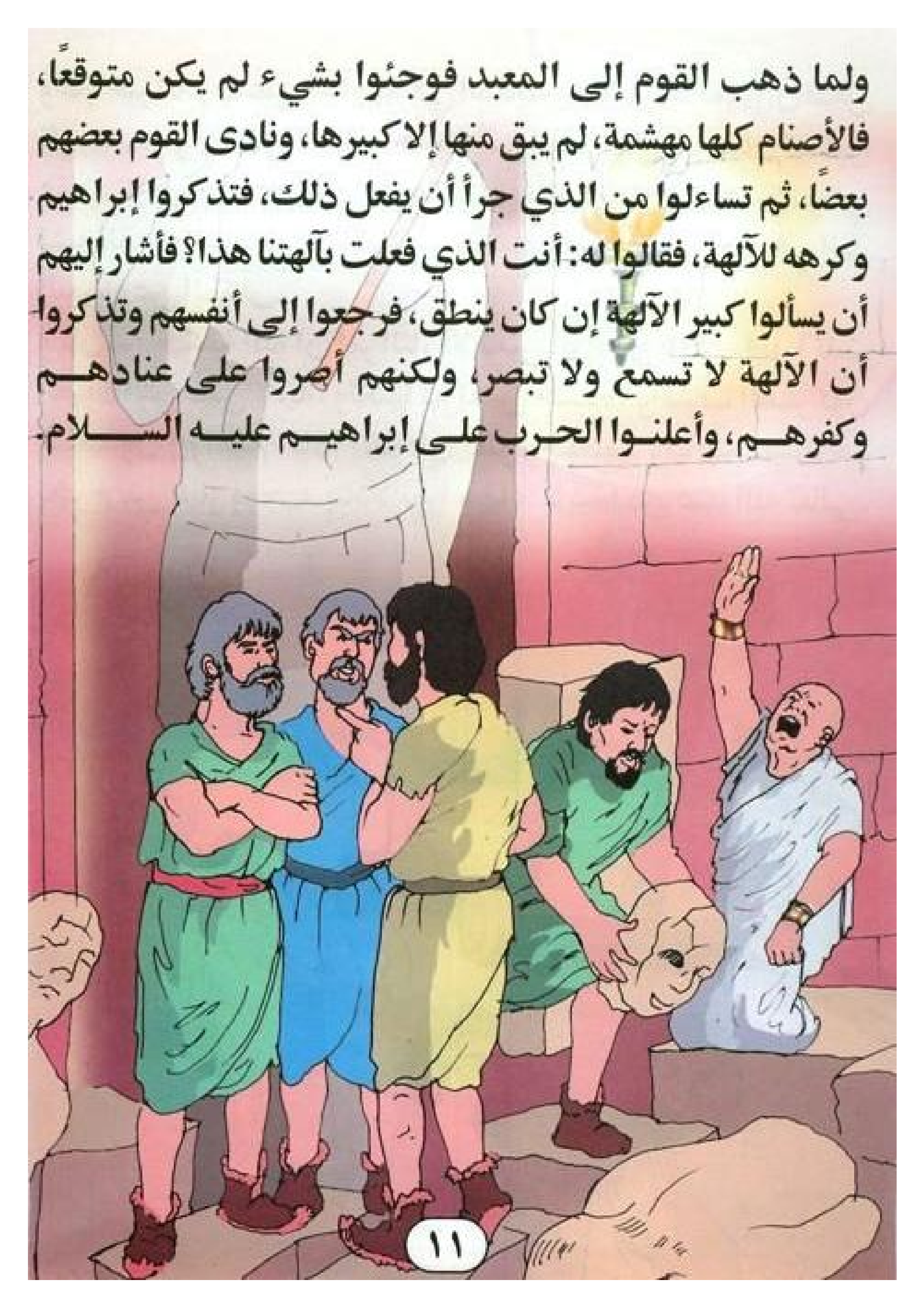


خرج إبراهيم من بيت أبيه، وكان يعرف أن هناك احتفالاً عظيماً يقام على الضفة الأخرى من النهر.

فخرج إبراهيم إلى المعبد، فكانتِ الشوارع خاوية، والمعبد مهجورا.

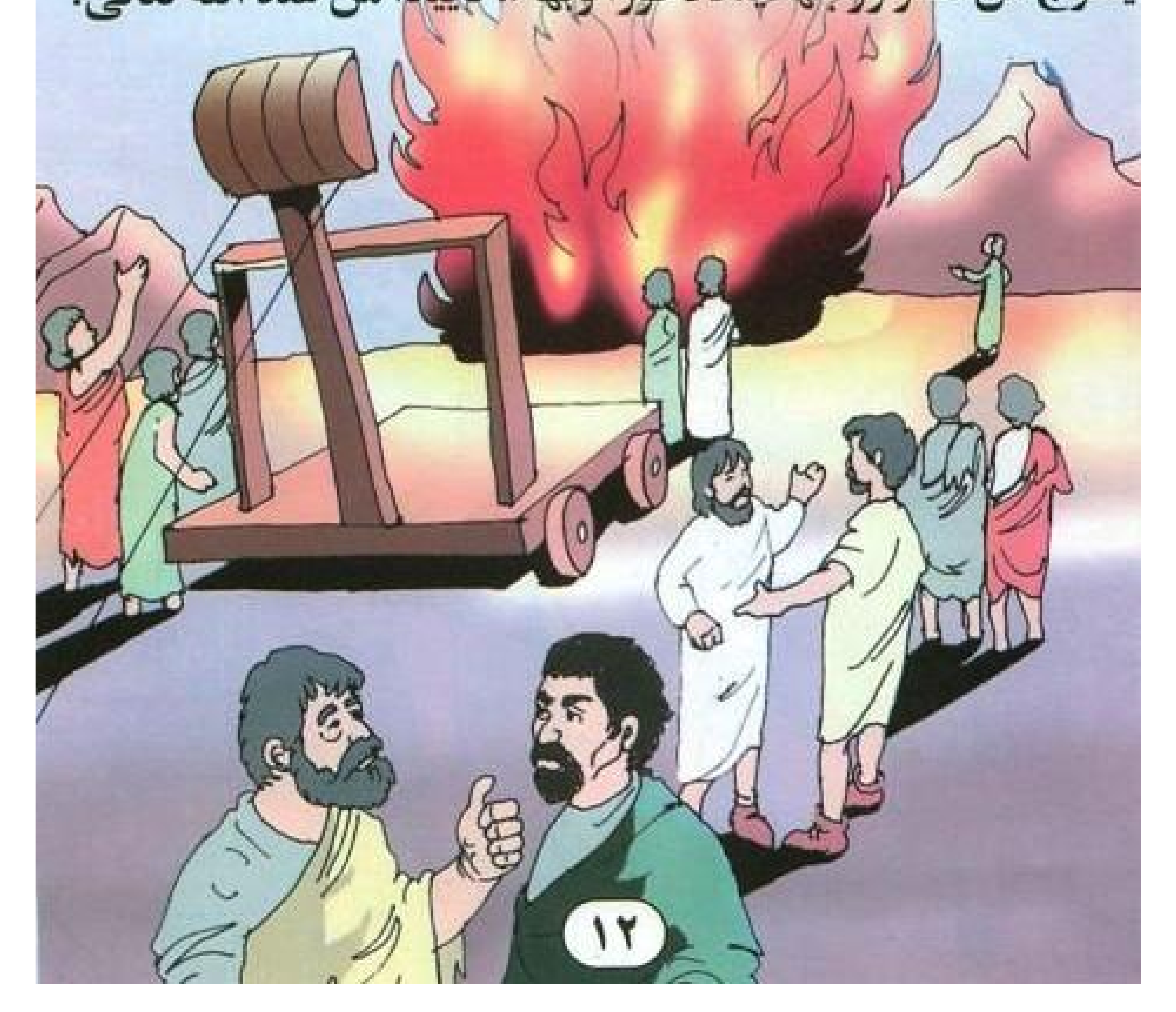
دخل إبراهيم المعبد وهو يحمل فأساً، فوجد الطعام أمام الآلهة. فقال لهم ساخرا: «ألا تأكلون؟! ما لكم لا تنطقون» ثم هوى بفأسه على الآلهة، فتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة.. ولم يترك إبراهيم منها إلا كبير الأصنام فقد تركه لهم «لعلهم إليه يرجعون». كي يسألوه عمن فعل ذلك الفعل؟

ولما ذهب القوم إلى المعبد فوجئوا بشيء لم يكن متوقعاً، فالأصنام كلها مهشمة، لم يبق منها إلا كبيرها، ونادى القوم بعضهم بعضاً، ثم تساءلوا من الذي جرأ أن يفعل ذلك، فتذكروا إبراهيم وكرهه للآلهة، فقالوا له: أنت الذي فعلت بآلهتنا هذا؟ فأشار إليهم أن يسألوا كبير الآلهة إن كان ينطق، فرجعوا إلى أنفسهم وتذكروا أن الآلهة لا تسمع ولا تبصر، ولكنهم أصروا على عنادهم وكفرهم، وأعلنوا الحرب على إبراهيم عليه السلام.



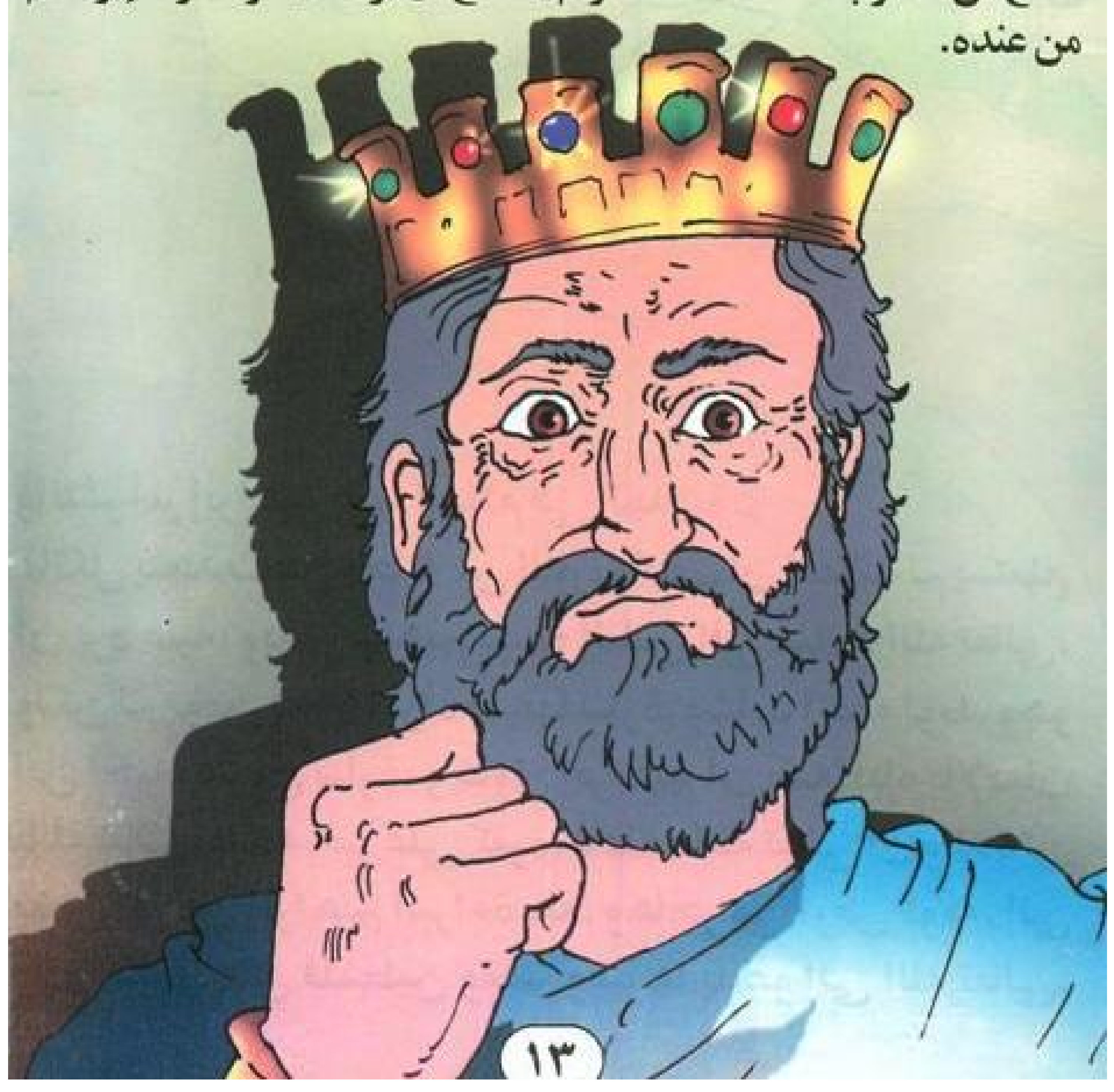
وطار خبر الحرب على إبراهيم في المدينة، لقد أمر حاكمهم أن تشعل نار عظيمة، وأن يلقى فيها إبراهيم، وأتِي الناس من كل مكان لينظروا عقاب الذي سب الآلهة وكسرها، وأتِي بآلة تسمى المنجنيق، وهي تشبه المدفع، فوضعوا فيها إبراهيم، وأعملوها فألقت إبراهيم في النار البعيدة عن المكان.

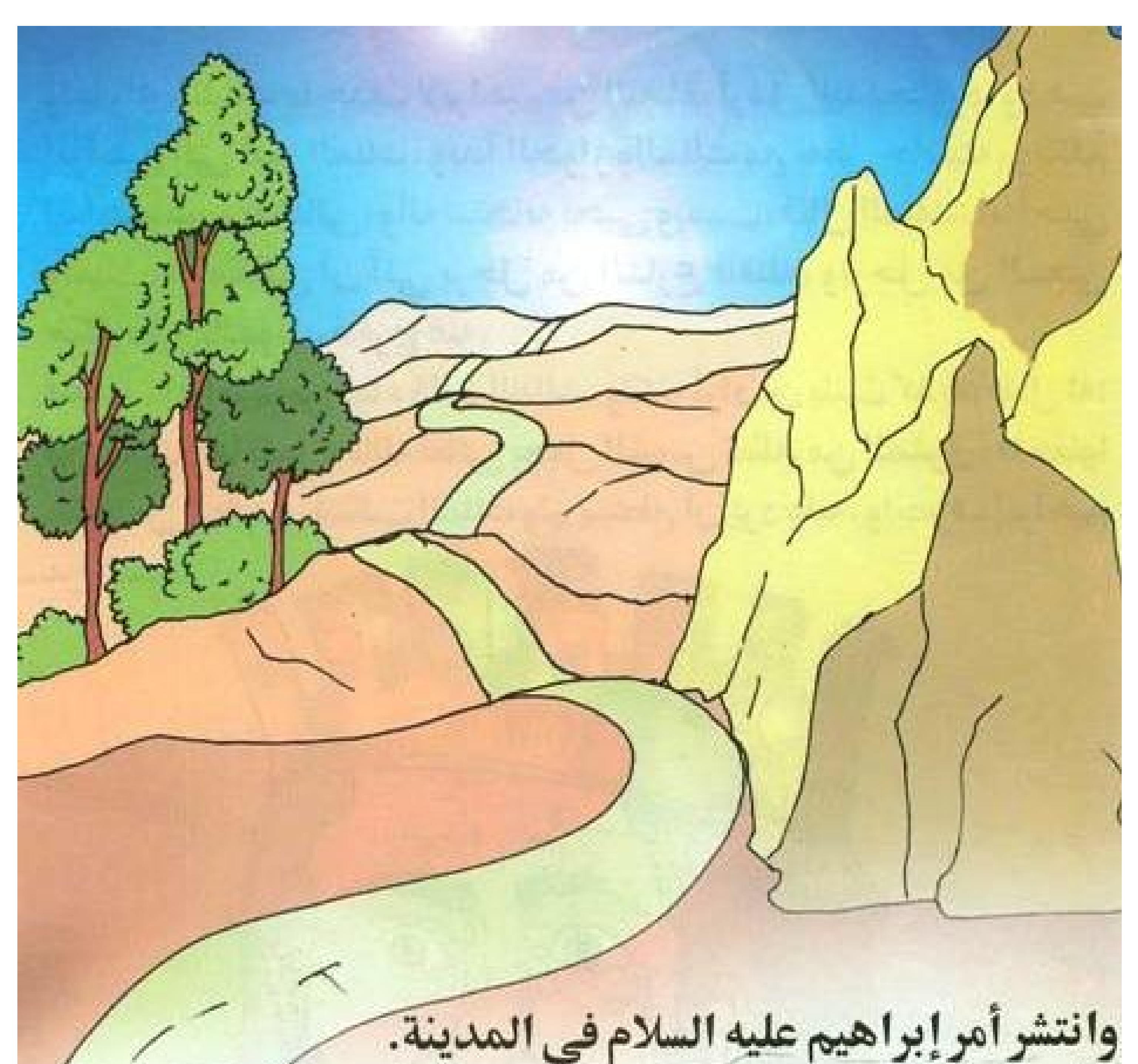
وكان من حكمة الله أنْ أمر النار ألا تمسَّ إبراهيم بأذى، فقد أكلت القيود التي على يديه، ولكنها لم تمس جسده، واقترب المشركون يشاهدون إبراهيم، فإذا الدخانٍ يعلو وجوههم وثيابهم، بينما هو يخرج من النار ووجهه يتلألأ نورا وبهاء، تأييدا من عند الله تعالى.



ولما رأى الملك ما حدث لإبراهيم من النجاة، أرسل إليه ليحاوره، وذهب إبراهيم إلى قصر الملك، وبدأ الحوار والملك مع بعض حاشيته، وتكلم إبراهيم عن ربه تعالى، وأنه سبحانه يحيي ويميت، فقال الملك: أنا أُحيي وأُميتِ، فبإمكاني أن آتي برجل من الشارع فأقتله، وبرجل من السجن حُكِمَ عليه بالموت، فأفرج عنه.

فتعجب إبراهيم من غباء ذلك الملك، ولكنه أراد أن يثبت كذبه، فقال له: فإن كنت كما تقول، فالله تعالى يجعل الشمس تطلع من المشرق، فاجعلها تطلع من المغرب. فسكت الملك ولم يستطع أن يرد عليه، وانصرف إبراهيم من عنده.

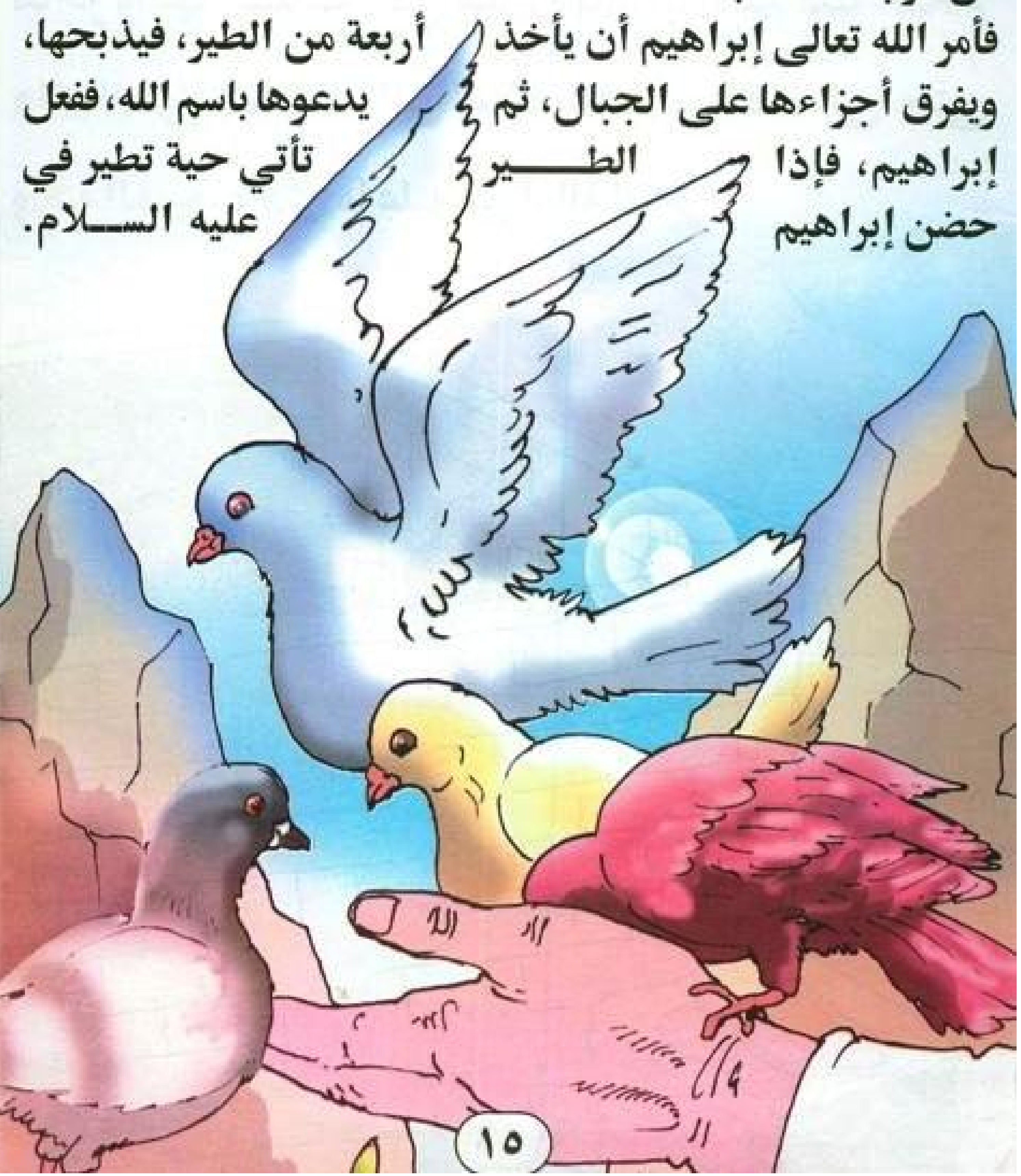




وانتشر أمر إبراهيم عليه السلام في المدينة.
فالكل يتحدث عن نجاته من النار، وكيف أن الملك لم يستطع أن يرد عليه، وبدأ إبراهيم يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، ولكن لم يؤمن به إلا امرأة اسمها سارة، وشاب اسمه لوط، وهو ابن أخيه، فتزوج سارة، وحاول إبراهيم أن يقنع أباه بالإيمان بالله تعالى، ولكنه أصر على كفره، فأعلمه الله تعالى أن والده لن يؤمن، فأعلن إبراهيم البراءة منه، وهاجر من أرض قومه، إلى بلاد كثيرة، مثل فلسطين ومصر وغيرها يدعو إلى الله تعالى.

وفي يوم من الأيام طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فسأله الله تعالى هل هذا عن شك في الإيمان؟ فأجاب إبراهيم ربه: أنه مؤمن أشد الإيمان، ولكن ليطمئن قلبه، فهي درجة من درجات الحب.

فأمر الله تعالى إبراهيم أن يأخذ أربعة من الطير، فيذبحها، ويفرق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها باسم الله، ففعل إبراهيم، فإذا الطـــــير تأتي حية تطير في حضن إبراهيم عليه الســـلام.



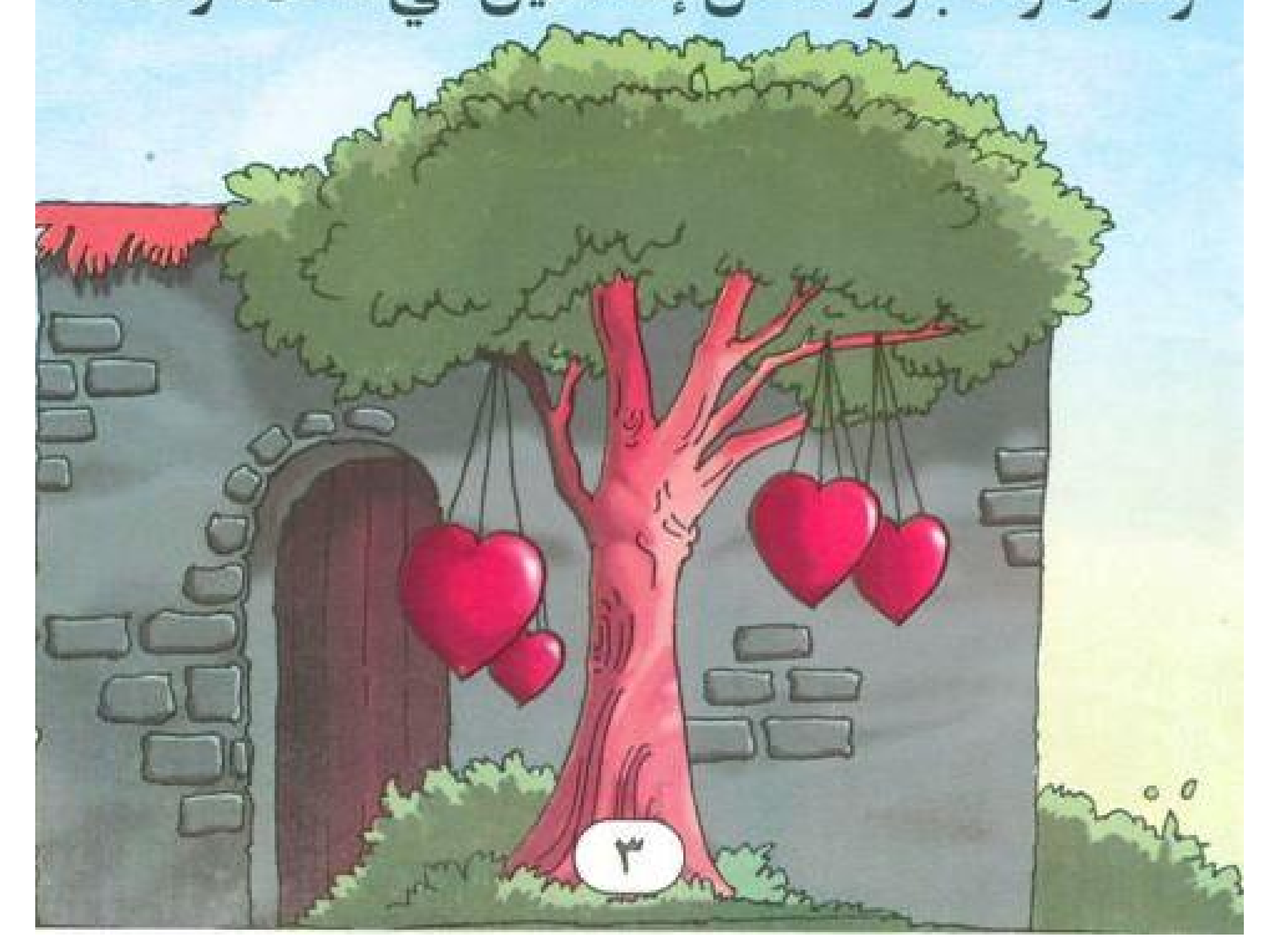
وظل إبراهيم عليه السلام يدعو إلى الله تعالى، وقد رزقه الله تعالى من هاجر إسماعيل، ورزقه من سارة إسحاق، وعاشت هاجر وابنها إسماعيل في مكة، وكان إبراهيم عليه السلام دائم الطواف والرحلة إلى البلاد يدعو إلى الله تعالى، حتى وافته المنية، وأدى ما عليه من أمانة الله.


سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
إسماعيل عليه السلام
ينابيع

جلس إبراهيم -عليه السلام- ينظر إلى هذا الكون الفسيح، ويرى الطيور والأشجار والأزهار، ويفكر في أهله وزوجته التي لم تنجب، وهو وحيد، يريد من يقف بجواره في دعوته إلى الله، وتمنى إبراهيم -عليه السلام- أن يكون له ولد، فقد كان يرى الآباء مع أبنائهم فتحركت مشاعر الأبوة في نفسه، فأخذ يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً صالحاً، يحمل معه دعوة الله.



عاش إبراهيم عليه السلام بعيداً عن أهله الذين رفضوا الإيمان بالله تعالى مع زوجته سارة، والخادمة هاجر، وكانت سارة لا تلد، وقد فكرت سارة كيف تسعد زوجها وتأتي له بالولد، فرأت في خادمتها هاجر فتاة صالحة، فعرضت على إبراهيم أن يتزوج من هاجر، كي يرزقه الله الولد، وتزوج إبراهيم من هاجر، فأنجبت له ابنه إسماعيل عليه السلام، وعاش إبراهيم وسارة وهاجر والطفل إسماعيل في سعادة وهناء.



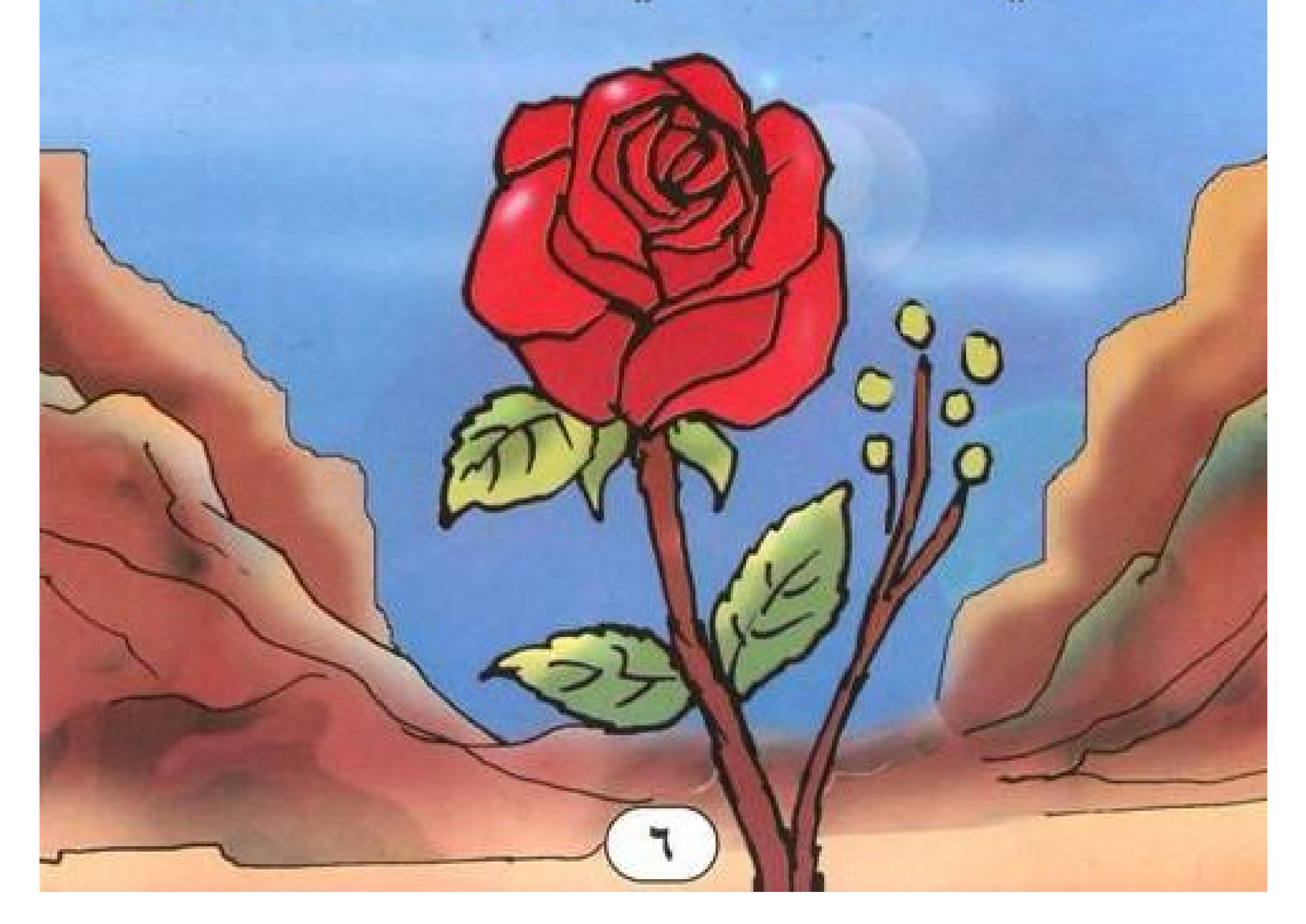
وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يرحل بهاجر وإسماعيل إلى مكة المكرمة، حيث هي مكان لا زرع به ولا ماء، وخرج إبراهيم بزوجته وولده الوحيد حتى وصلوا إلى مكة المكرمة، فقالت هاجر: أتتركنا لمن هنا يا إبراهيم؟ إنه مكان لا أحد فيه! ولكن إبراهيم سكت، فقالت له: هل هو أمر من الله؟ فقال: نعم. فقالت: إذن لا يضيعنا الله.



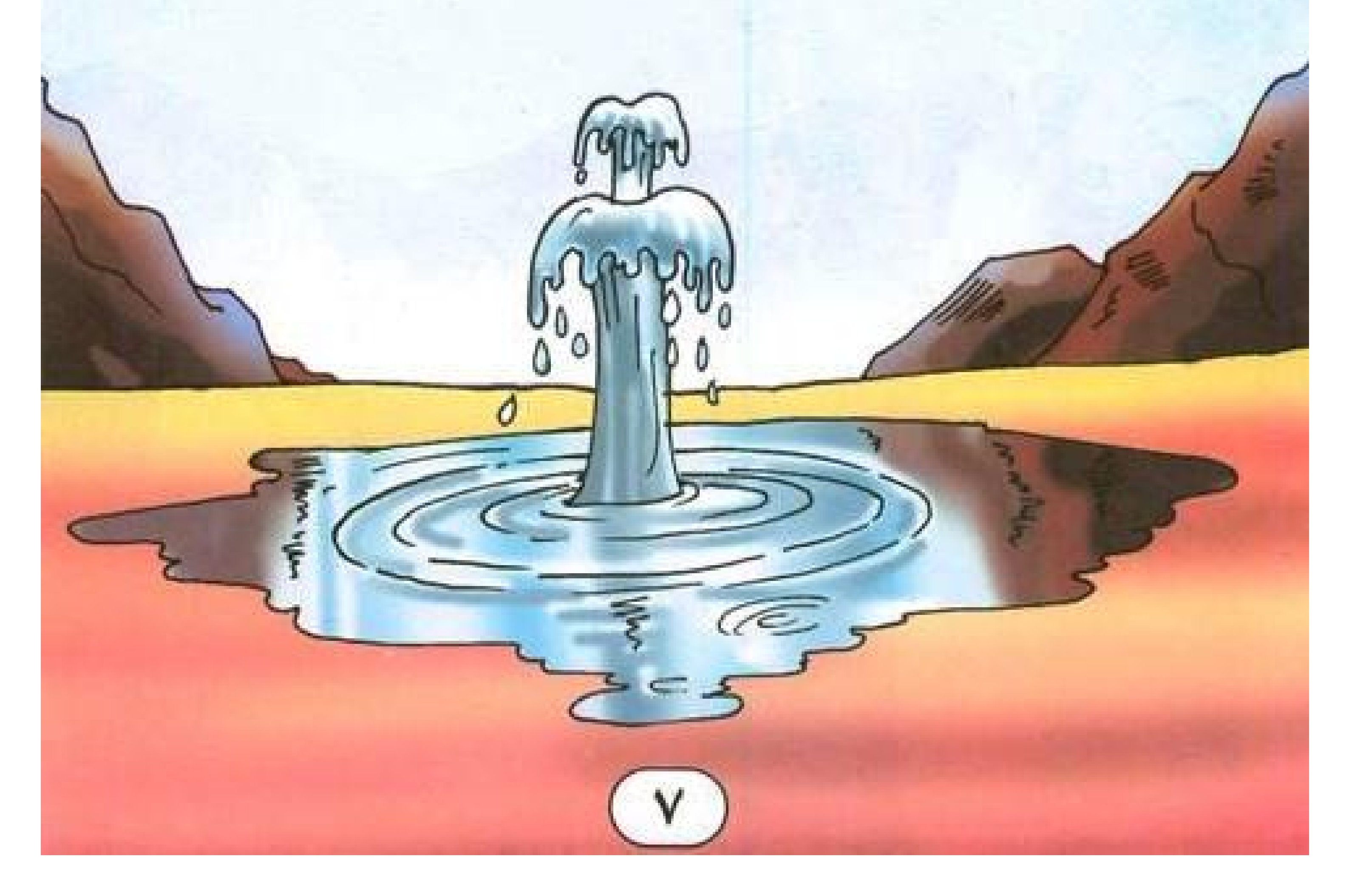
ووجدت هاجر نفسها مع ولدها الرضيع في مكان صحراوي، ولم يترك لهما إبراهيم -عليه السلام- إلا بعض التمرات في جراب، وبعض الماء، فلجأت إلى الله تعالى أن يحفظها وولدها من كل شر، ولم تمر بضعة أيام حتى نفد الماء والتمرات القليلة، وبدأ إسماعيل في البكاء، إنه يريد الرضاعة، وأمه لم تأكل ولم تشرب، فكيف ترضعه؟!



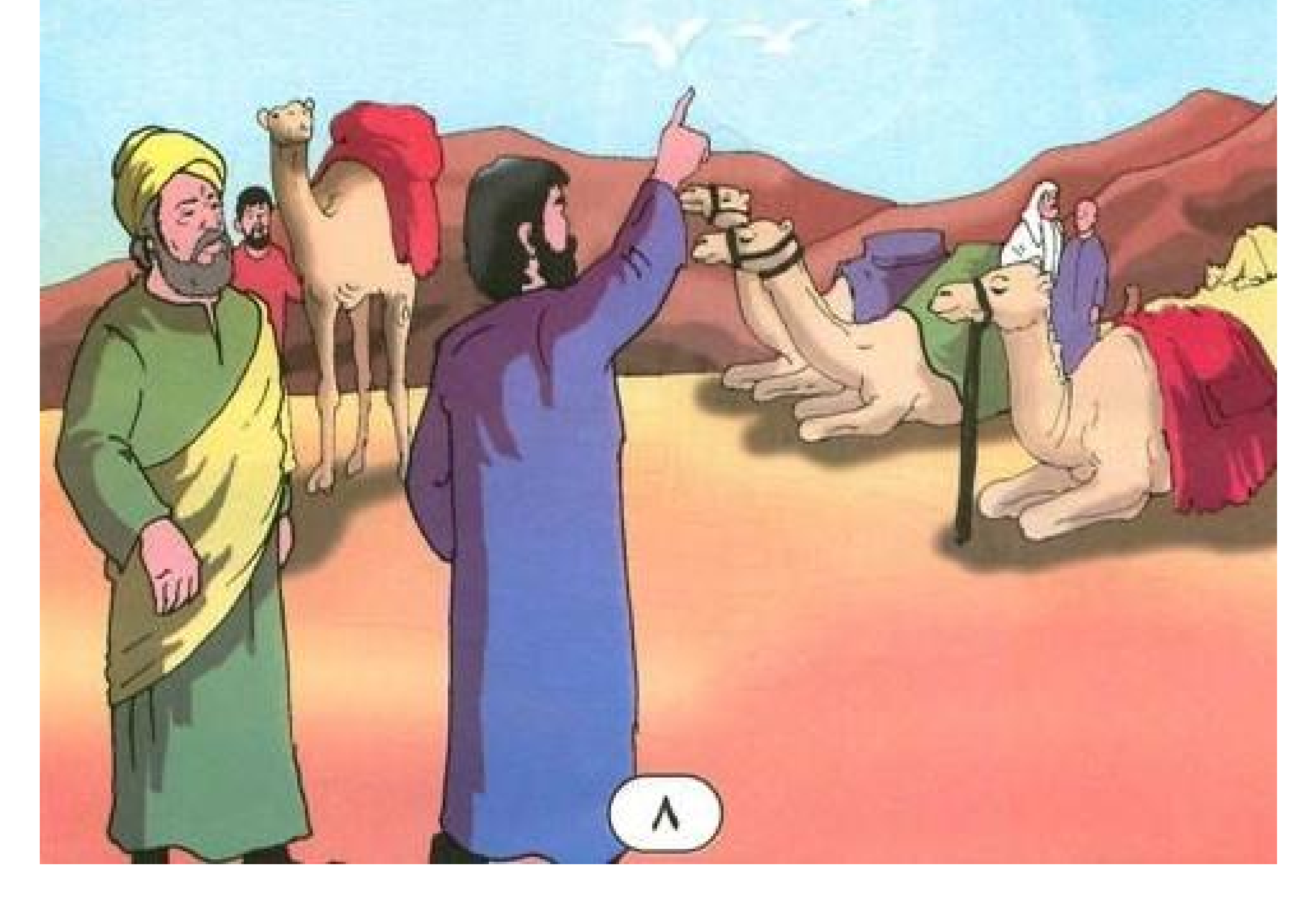
تحركت مشاعر الأمومة في نفس هاجر، وقامت تبحث عن ماء أو طعام أو تجد إنسانًا يساعدها، فإسماعيل يصرخ من شدة الجوع، فقامت مسرعة، فاتجهت نحو جبل الصفا فصعدته فلم تجد أحداً، فهرولت مسرعة ونزلت واتجهت ناحية جبل الصفا فصعدته فلم تجد أحداً، ومازالت تسعى بين الصفا والمروة سبع مرات، ولكن لم تجد شيئا. وهذا ما يعرف في الحج بالسعي بين الصفا والمروة.



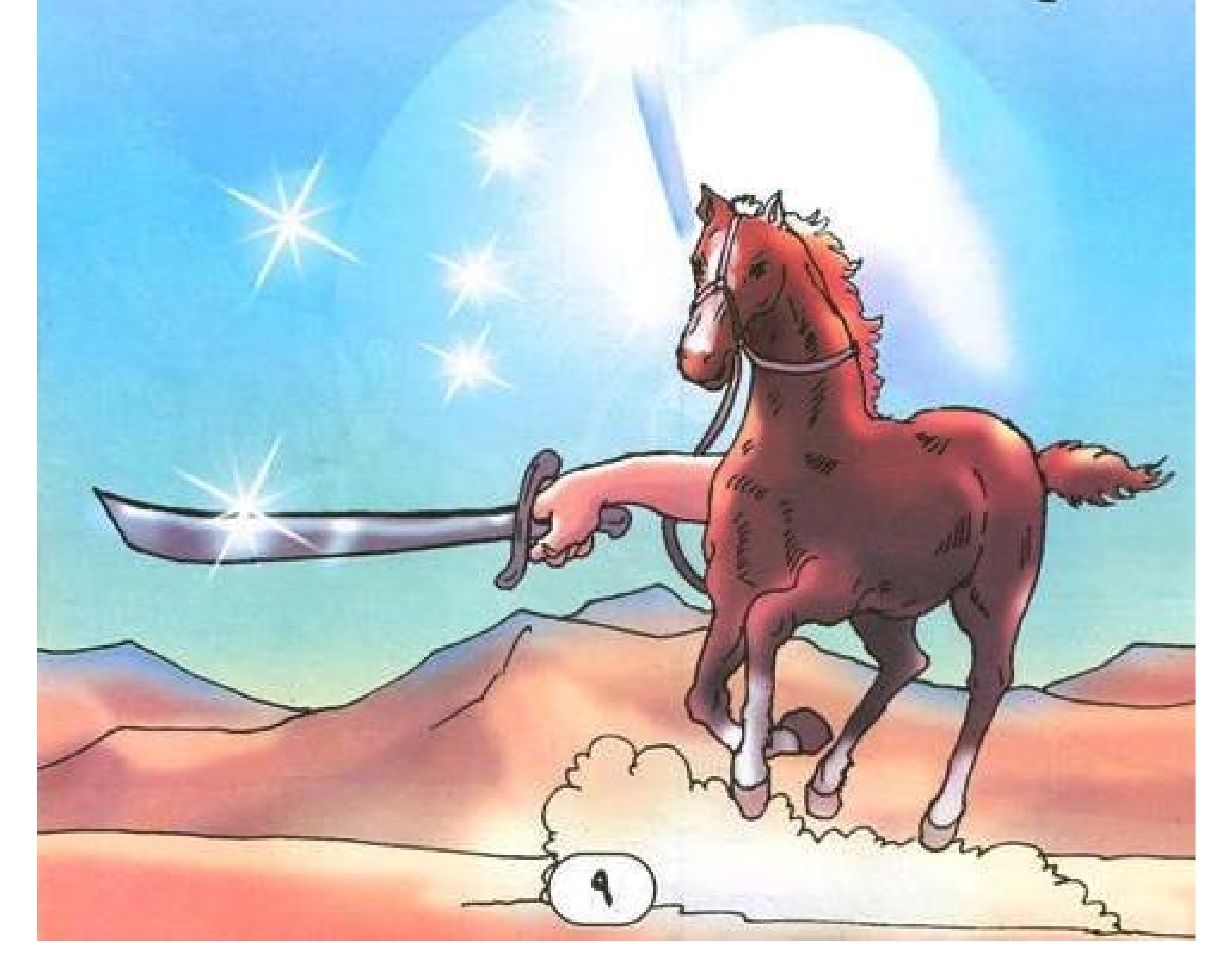
فعادت هاجر بعد جهد وعناء إلى ولدها، فوجدته يصرخ ويبكي من شدة الجوع وهي لا تجد شيئًا، ولا تملك أن تفعل لولدها شيئًا، وبينما هي تتوجه إلى الله بالدعاء، فإذا بإسماعيل يصرخ ويحرك قدميه ويضرب بهما الأرض، ففجر الله تعالى عين ماء في هذا المكان، وهي ما تعرف ببئر زمزم.



فشربت هاجر، وبدأ اللبن يظهر فيها، فكانت ترضع ولدها إسماعيل، ولاحظت بعض القبائل التي كانت تمر بالتجارة أن هناك طيراً على بُعد منهم، وهم يعلمون أن وجود الطير يعني وجود الماء، فتوجهوا إلى المكان، فوجدوا هاجر وولدها، وطلبوا منها أن يعيشوا في هذه المنطقة، فوافقت على أن يكون لها الحق في عين الماء، ولا تمنعهم منها.



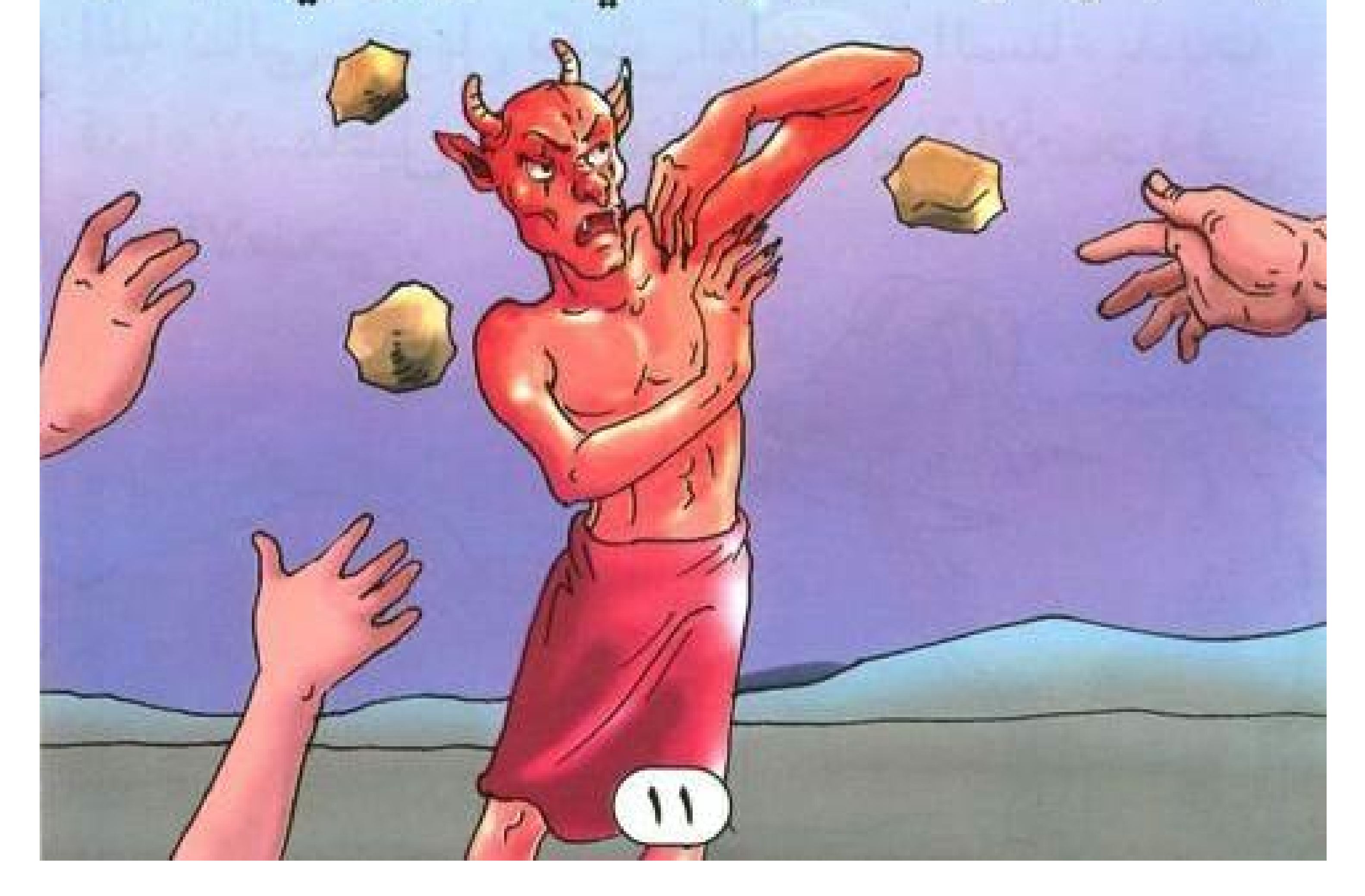
وعاش إسماعيل مع قبيلة جُرْهم العربية، فنشأ في باديتهم، وتعلم اللغة العربية منهم، وبدأ إسماعيل يتعلم ركوب الخيل والفروسية والتدرب على فنون القتال والسلاح كشأن العرب آنذاك، وكان إبراهيم عليه السلام يزور ولده من وقت لآخر.



ولما بلغ إسماعيل مبلغ الشباب، كان إبراهيم عليه السلام يرى في منامه رؤيا تتكرر، لقد كان إبراهيم يرى أنه يذبح ولده، فيقوم قلق النفس، فهو يعلم أنها رؤيا من الله، ومجرد الرؤيا تكفي لتنفيذ أمر الله، فهو نبي، ولكن كيف يخبر ولده بذلك الأمر؟! هل يأخذه على غرة ويقتله؟ لقد فكر إبراهيم في هذا، ولكنه آثر أن يشرك ولده معه في اختبار الله.



وذهب إبراهيم لإسماعيل عليه السلام، وأخبره أنه رأى في المنام أنه يذبحه، وقد ترك له وقتاً يفكر فيه، وتقبل إسـماعيل أمر الله تعالى ووافق أن يذبحه والده، ووعده أن يكون من الصابرين. فجاء الشيطان يوسوس لإبراهيم أنه كيف يذبح ابنه؟ فرماه إبراهيم بالحجارة، فجاء إلى إسماعيل فرماه بالحجارة، فجاء إلى هاجر ووسوس لها فرمته بالحجارة، وهذا ما يعرف في الحج برمي الجمار.



وذهب إبراهيم بإسماعيل في مكان بعيد، ومعه السكين ليذبح ولده الذي طال انتظاره، فلم يكن ينجب، فلما أنجب كان ابتلاء الله له أن يذبح ولده الذي جاءه على كبر، ولما رقد إسماعيل على ظهره قال لأبيه إبراهيم عليه السلام: يا أبي اجعلني على وجهي، حتى لا تأخذك رحمة الأبوة فتعص أمر الله. ولما انكفأ إسماعيل على وجهه، وأوشك إبراهيم على الذبح، نادت الملائكة الله تعالى أن يخفف عن إبراهيم وإسماعيل، فأنزل الله تعالى جبريل بكبش أملح من السماء يذبحه فداء لإسماعيل، ومن هنا جاءت سنة الأضحية في عيد الأضحى.



وعاش إسماعيل في الجزيرة العربية، وهو طائع لله تعالى، وقد تزوج إسماعيل من القبيلة العربية التي كانت تسكن معه، وكان إبراهيم عليه السلام يزوره من وقت لآخر، فجاء في يوم إلى بيته، ولم يجده، فطرق الباب، فخرجت زوجته، فسألها عنه وعن حاله، فاشتكت له حالهما، وأنهما يعيشان في ضنك من العيش، فقال لها: إن أتى إسماعيل فأخبريه مني السلام، وقولي له: إن أباك يأمرك أن تغير عتبة بابك.

فلما عاد إسماعيل، أخبرته زوجته بما حدث، فقال: هذا أبي وقد أمرني أن أُطلقك، فالحقي بأهلك، وذلك لأنها لم تصبر مع زوجها على حاله.



وتزوج إسماعيل امرأة صالحة، ومرت الأيام، وجاء إبراهيم عليه السلام يزور ولده فلم يجده، ووجد زوجته التي رحبت به، فقال: كيف حالكما؟ فقالت بخير حال والحمد لله، فأنا أعيش في سعادة وهناء مع زوجي، وقبل أن يرحل إبراهيم، قال لها: أقرئي إسماعيل مني السلام، وقولي له: إن أباك يأمرك أن تثبت عتبة بابك.

فلما عاد أخبرته بما حدث. فقال لها: إن أبي يأمرني أن أحافظ عليـــك، وأن تبقي معي.



وفي يوم من الأيام جاء إبراهيم عليه السلام إلى ابنه إسماعيل، فقال له: إن الله تعالى أمرني بأمر، فقال إسماعيل: فنفذ أمر الله يا أبي. فقال له: وتعينني عليه؟ فقال: نعم.

فقال إبراهيم: إن ها هنا كان بيت بناه آدم عليه السلام، ولكنه اندثر، فأمرني الله تعالى أن أعيد بناء البيت مرة أخرى، فكان إسماعيل يجمع الحجارة ويساعد والده إبراهيم حتى تم بناء الكعبة المشرفة، وقد دعا إبراهيم وإسماعيل الله تعالى أن يتقبل منهما هذا العمل، وأن يرزقهمـــا العبادة الصحيحة له.

وأمر إبراهيم ولده إسماعيل عليهما السلام أن يأتي له بحجر مميز حتى يكون بداية للطواف حول الكعبة المشرفة، فذهب إسماعيل يبحث عن حجر، فلما عاد بالحجر، وجد أباه قد وضع حجرا أسود، فسأله إسماعيل: من الذي أتى به لك؟ فأخبره أن جبريل نزل بالحجر الأسود من السماء. فكانت الكعبة المشرفة هي رمز لتوحيد الله تعالى، وقد نادى إبراهيم في الناس، وبلغ الله عنه، يأتون إلى الكعبة المشرفة، وعاش إسماعيل حياته طائعا لله، آمرًا أهله بالصلاة والزكاة وعبادة الله، حتى توفاه الله.



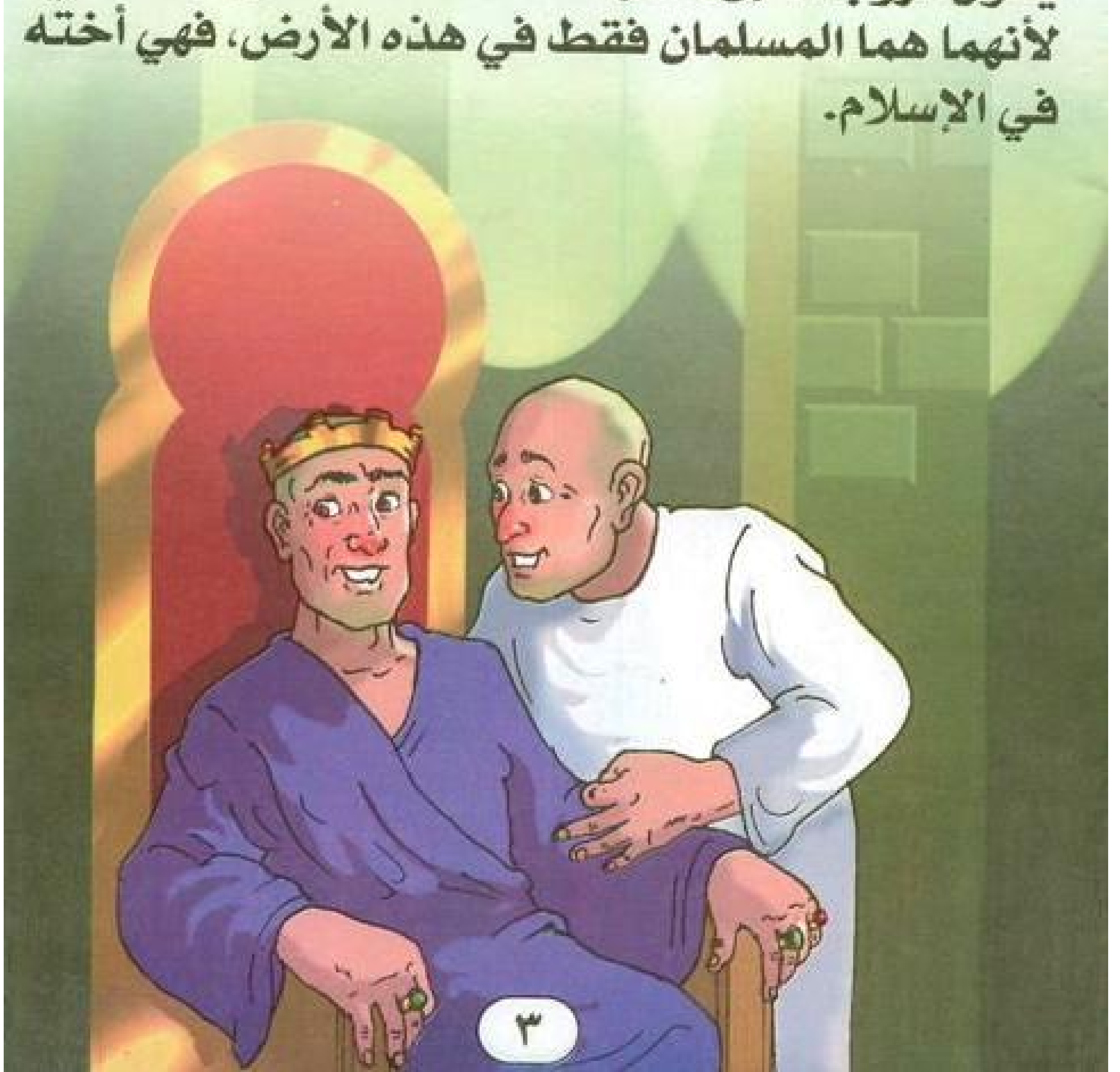

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
إسحاق عليه السلام
ينابيع

ظلَّ إبراهيم عليه السلام يدعو قومه بعد أن وُضِعَ في النار، وبعد أن غَلَبَ الملك وأثبت له عجزه، فلم يؤمن به إلا سارة ولوط الذي أصبح نبياً فيما بعد.

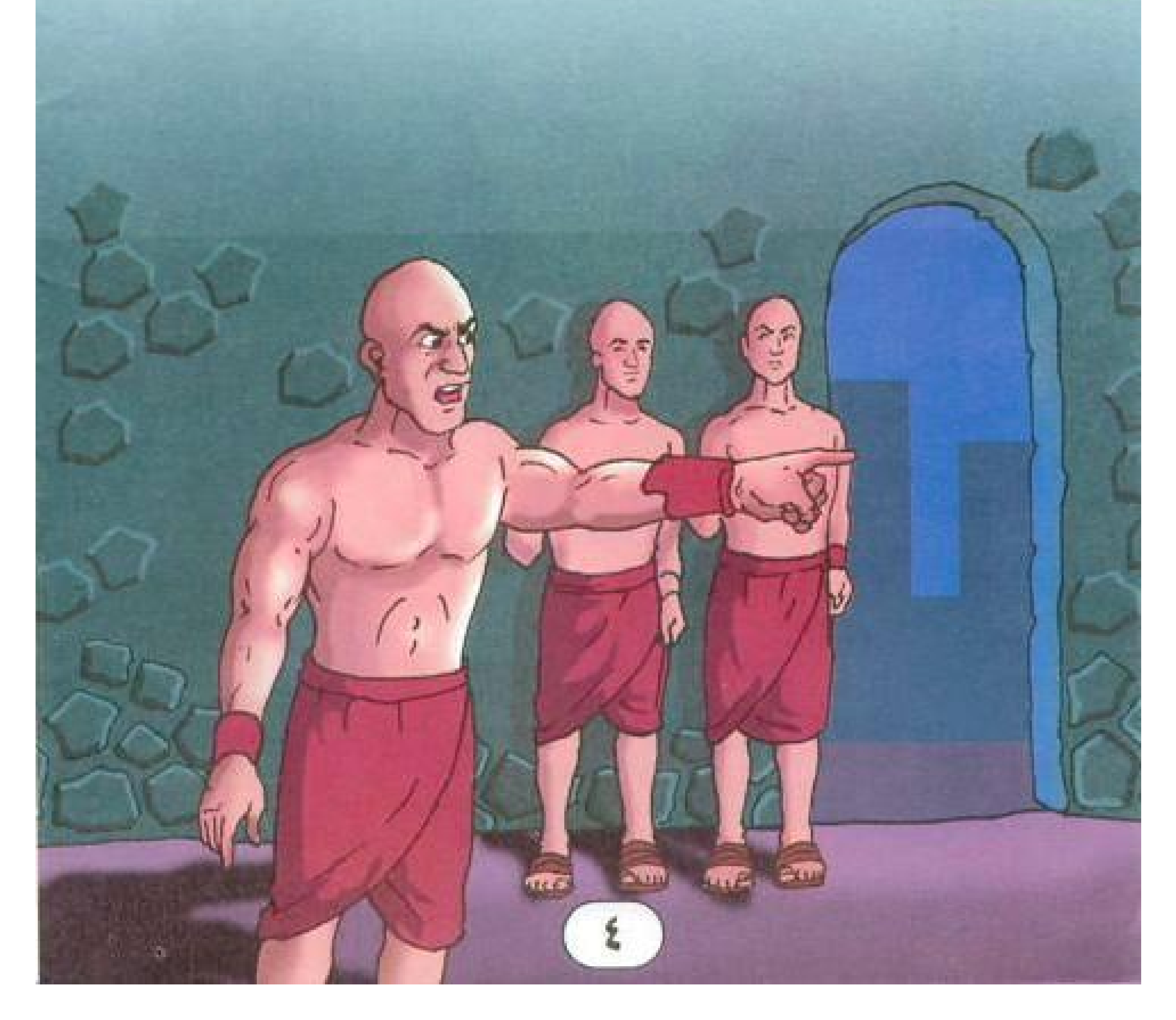
فكانت سارة تسافر معه في كل مكان تتحمل معه عبء الدعوة إلى الله تعالى، وتتحمل مشاق السفر في سبيل الله تعالى. وقد سافر إبراهيم عليه السلام إلى بلاد كثيرة، فقد سافر إلى بعض بلاد الشام، وأهمها فلسطين، ثم سافر إلى مصر.



وسافرت سارة مع زوجها إبراهيم عليه السلام إلى مصر، وكان حاكم مصر آنذاك كافراً، يحب النساء، فطار الخبر إليه أن واحداً أتى لمصر ومعه أجمل امرأة رآها الناس، فأرسل إلى إبراهيم ليسألوه، فإن كانت زوجته قتلوه، وإن كان غير ذلك أبقوه، وأمرهم أن يأتوا له بهذه المرأة. وقد نزل جبريل عليه السلام على إبراهيم يخبره أن يقول لزوجته إن سألها أحد عنه، فلتقل: إنه أخي، لأنهما هما المسلمان فقط في هذه الأرض، فهي أخته في الإسلام.

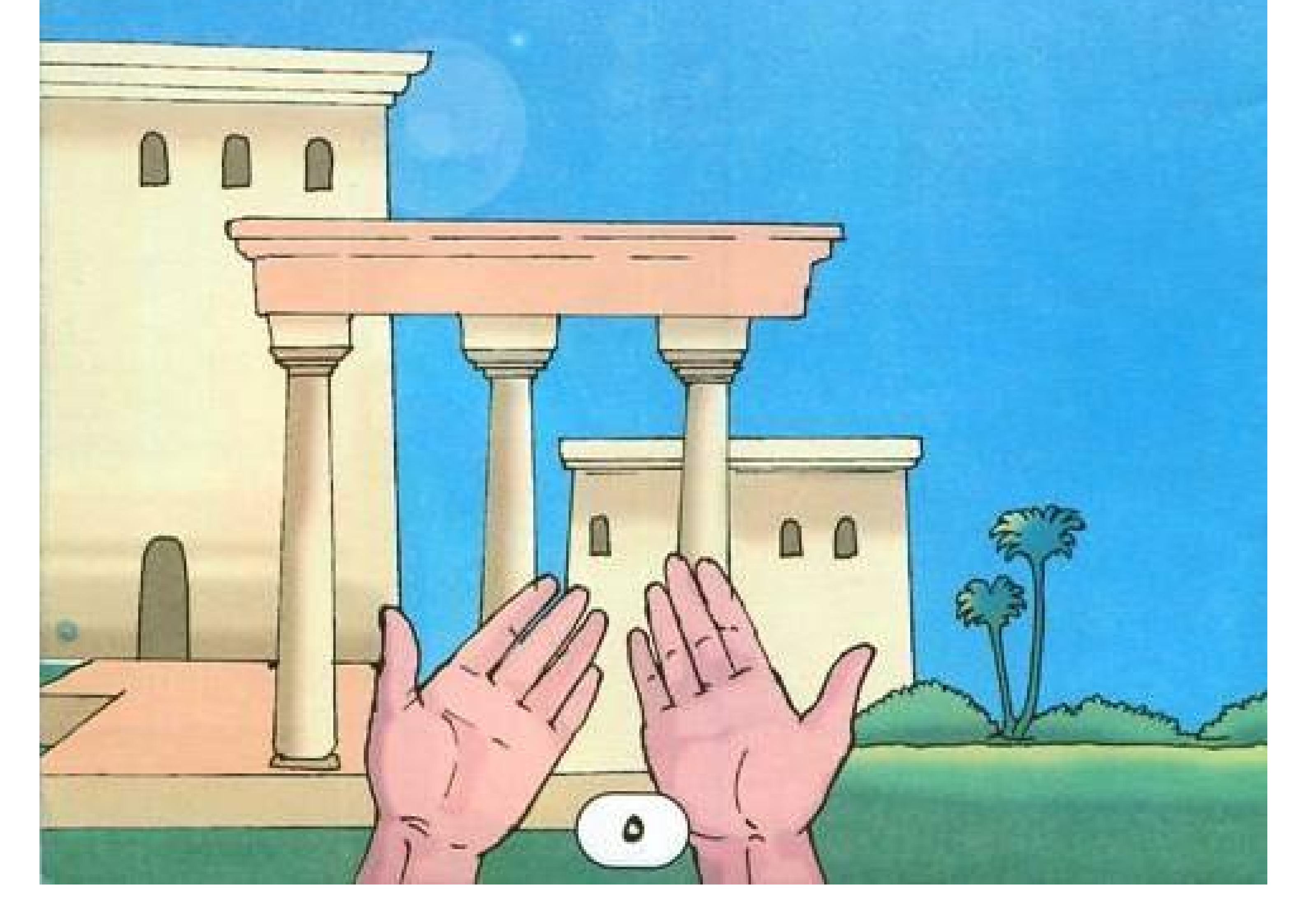


وجاء الجنود إلى إبراهيم ومعه سارة، ودخلوا عليهما بشراسة وقوة وعنف، ثم سألوا إبراهيم: من هذه منك؟ فقال: إنها أختي. فقالوا: إن الملك يريدها. فقال: ولم؟ قال: لا ندري، ولكن يجب أن نطيع أمر الملك وإلا قتلت.

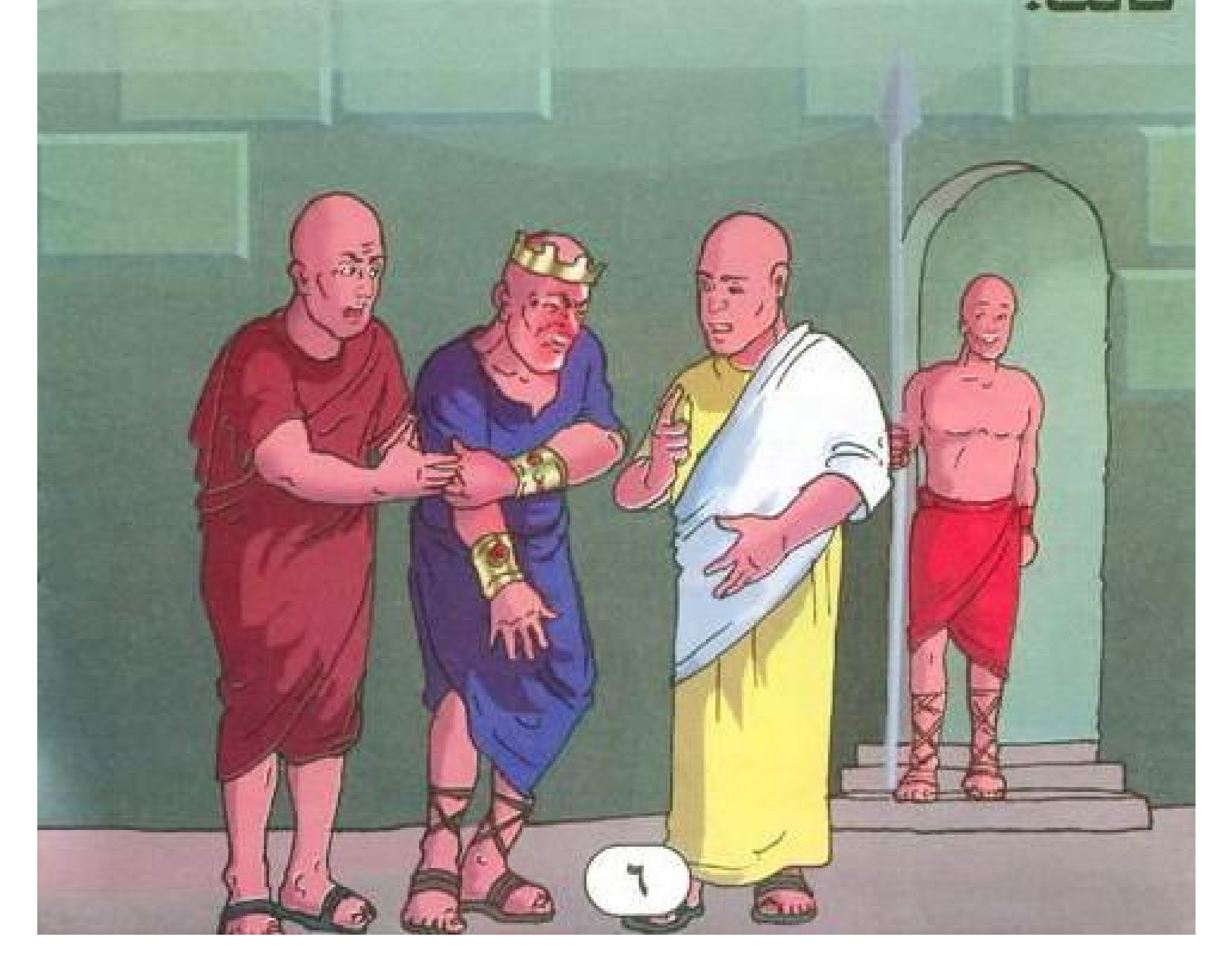


فأخذ إبراهيم يدعو ربه أن يحفظ زوجته من هذا الحاكم الكافر.

وأخذ الجنود سارة، وظلت تدعو الله تعالى وهي في الطريق أن يحفظها من شر هؤلاء الكفرة. ورفعت نظرها إلى السماء، وهي تدعو ربها وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط علي هذا الكافر.



وذهبت سارة إلى قصر ملك مصر، فأخرج من كان عنده، وخلا بها، وحاول أن يمسها، وهي تدعو الله أن يحفظها، فشلت يده، فبدأ الملك في الصراخ والعويل، فجاء إليه جنوده ليفكوا يده، ولكن دون فائدة، فخافت سارة أن يقتلوها بسبب ما حدث له، فدعت الله تعالى أن تتحرك يده، وقالت: يارب اتركه حتى لا يقتلوني به، فعادت سليمة كما كانت.



وظن حاكم مصر أن ما حدث له كان شيئًا عابرًا، فأخذ يتلطف إلى سارة، وهي تهرب منه، فحاول أن يهجم عليها مرة أخرى، وهي تدعو ربها أن يحفظها، فشلت يده، وبدأ يصرخ، وقال لها: فكيني لا أقربك بسوء، فدعت الله تعالى، ولكنه لما تحركت يده حاول أن يعتدي عليها مرة ثالثة، فشلت يده، فأقسم لها إن دعت له أن يتركها وأن يكرمها، فدعت الله تعالى له، فعادت يده سليمة كما كانت.



ثم نادى على جنوده، وهو في غضب شديد، وهو يقول لهم: ويحكم إنكم لم تأتوني بإنسان، بل أتيتم لي بشيطان.

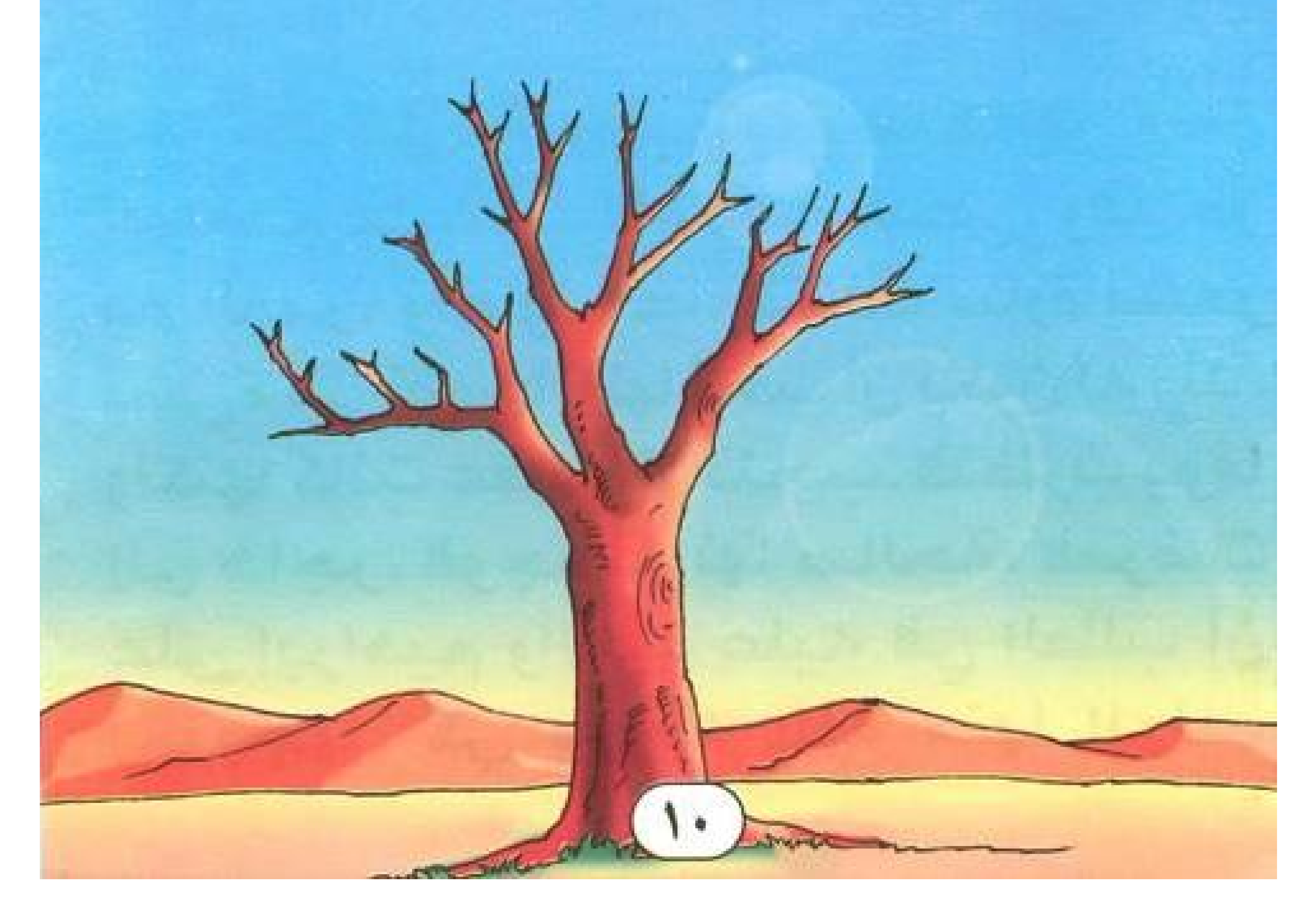
ثم أعطاها بعض الذهب، وأعطاها أمة اسمها هاجر، وأمر بإخلاء سبيلها وألا يتعرض لها أحد بشيء.

فخرجت سارة بالذهب ومعها خادمتها هاجر، وهي تحمد الله تعالى أن نجاها من ذلك الكافر.



وخرجت سارة وإبراهيم ومعهما هاجر، وكان إبراهيم عليه السلام دائم السفر، وقد مر به العمر، ولم ينجب، فكانت سارة تشعر بشيء في نفسها، إنها تحب أن يكون له ولدٍ، ولكنها كانت عقيماً لا تنجب، فنظرت يوماً إلى هاجر، فوجدت أنها صالحة، فعرضت على إبراهيم وألحت عليه في الطلب أن يتزوجها، كي يرزقه الله منها الولد.

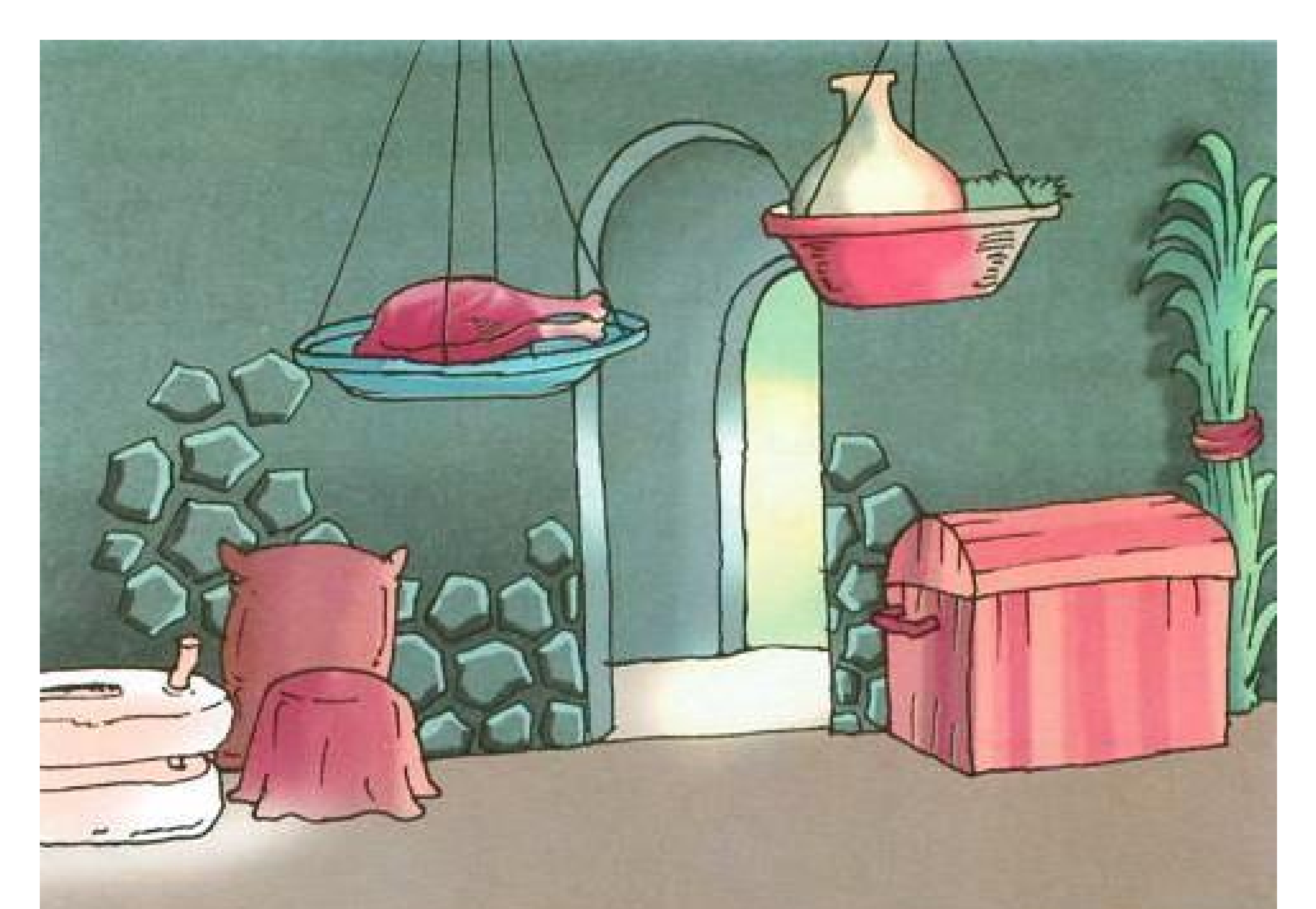
وتزوج إبراهيم -عليه السلام- من هاجر، ورزقه الله تعالى منها إسماعيل، ففرحت سارة، ولكنها كامرأة من النساء مازالت تتمنى أن تنجب ولداً، ولكن العمر أسرع بها، وأصبحت عجوزاً، ولم تنجب، فماتت أمنيتها، ولم تعد تفكر فيها مرة أخرى.



وسكنت هاجر وولدها في الجزيرة العربية، بينما بقى إبراهيم مع سارة، مع كثرة سفره وترحاله. وفي يوم من الأيام، وبينما إبراهيم عليه السلام جالس وحده، فإذا بثلاثة شباب جميلة وجوههم، يقبلون على إبراهيم، وهو لا يشعر، فرمى أحدهم ناحيته حصاة صغيرة، فرفع إبراهيم رأسه، فرآهم، فبادروه التحية، وقالوا له: سلاما، فرد عليهم التحية وقال: سلام.

ثم أخذهم إلى بيته ليكرم ضيافتهم.





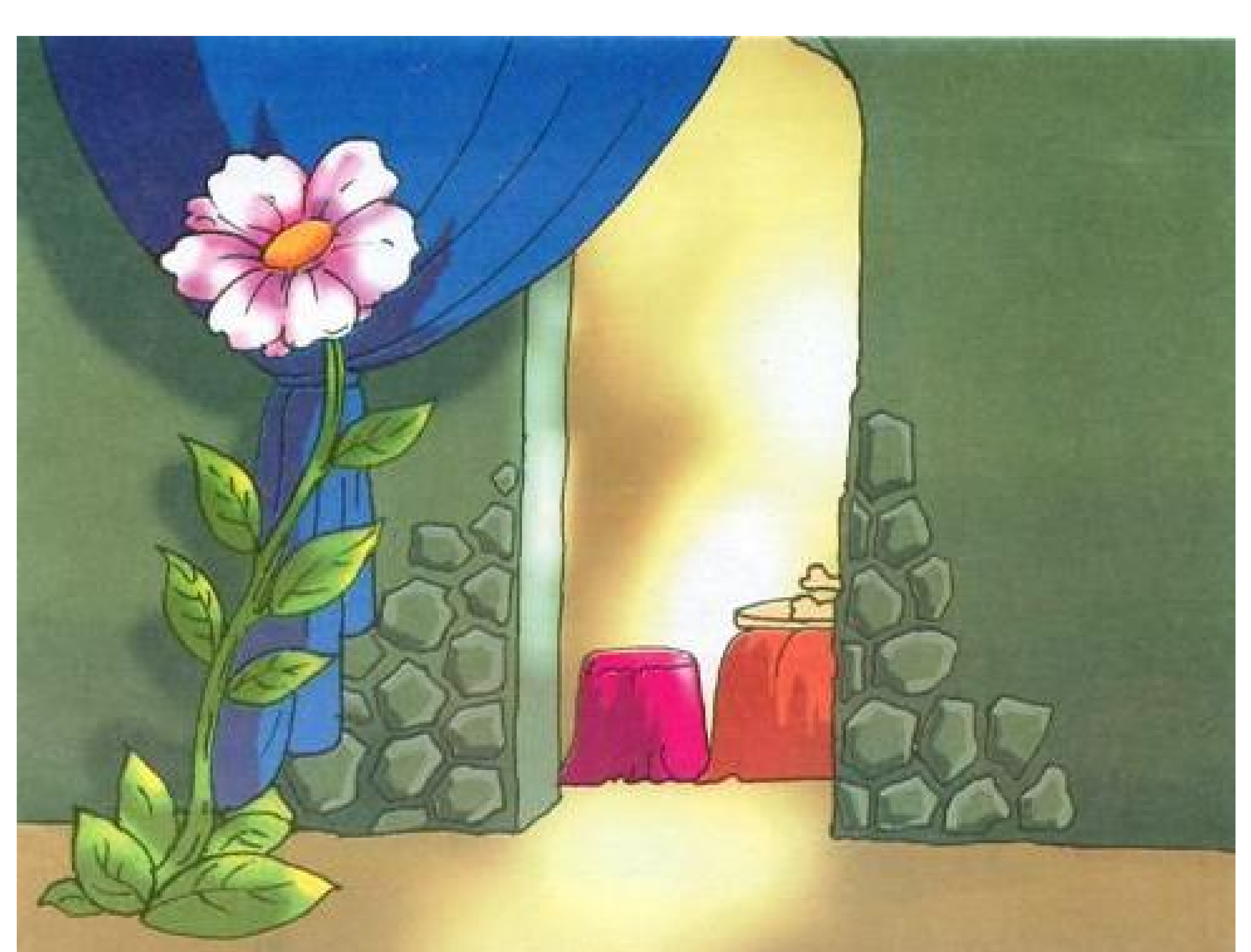
ودخل إبراهيم على زوجته سارة، وأخبرها أنه قد جاءه ضيوف ثلاثة، لا يعرفهم، فهم غرباء، ولكن لا يبدو عليهم طول السفر، وسألها: هل عندك طعام؟ فقالت: نعم، نصف شاة. فقال لها: لا بل نذبح عجلاً سميناً، فهم غرباء، وربما كانوا فقراء، فقد كان إبراهيم عليه السلام يشتهر بين الناس بكرمه الواسع.



واختار إبراهيم عجلاً سميناً، وأمر أن يذبح، فأمسكه بعض خدمه، وسمى بسم الله تعالى وذبحه، وبدأ شواء العجل على الحجارة الساخنة.

ولما انتهى الخدم من إعداد المائدة، ووضعوا عليها العجل، وأشار إبراهيم إلى ضيوفه أن يأكلوا من العجل، وبدأ يأكل حتى يشجعهم، وأمر أن تقف زوجته قريبا زيادة في خدمتهم.

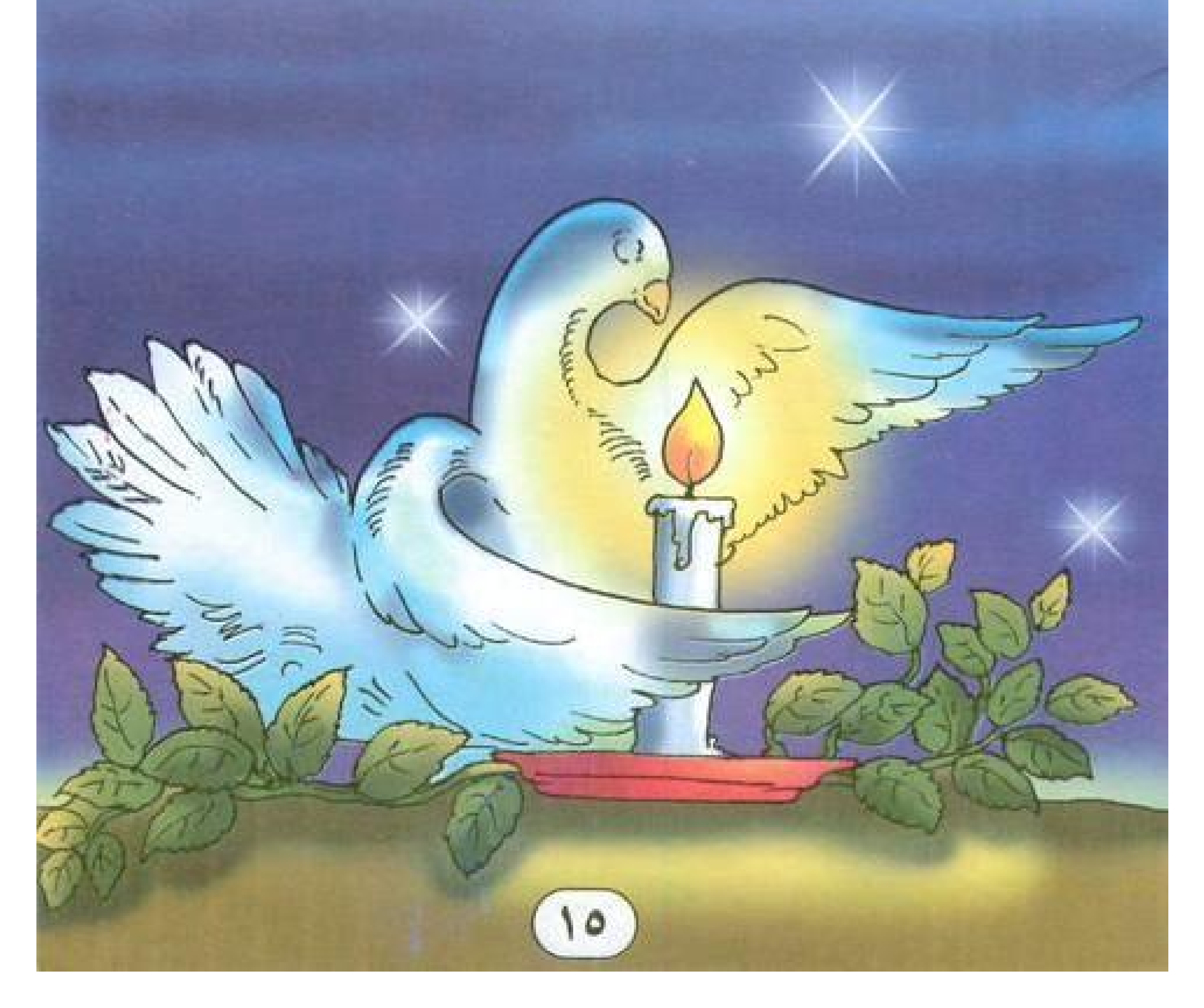
ولكن الضيوف لم يأكلوا، وأحس إبراهيم بالخوف، لأن عدم أكل الضيف يعني أنهم يريدون بصاحب البيت شرا، وقرأ الشبان الثلاثة ما يدور في عيون إبراهيم، فقال أحدهم: لا تخف، نحن ثلاثةٌ من الملائكة جئنا لمهمة عاجلة، ولنبشرك بإسحاق ولداً من سارة.



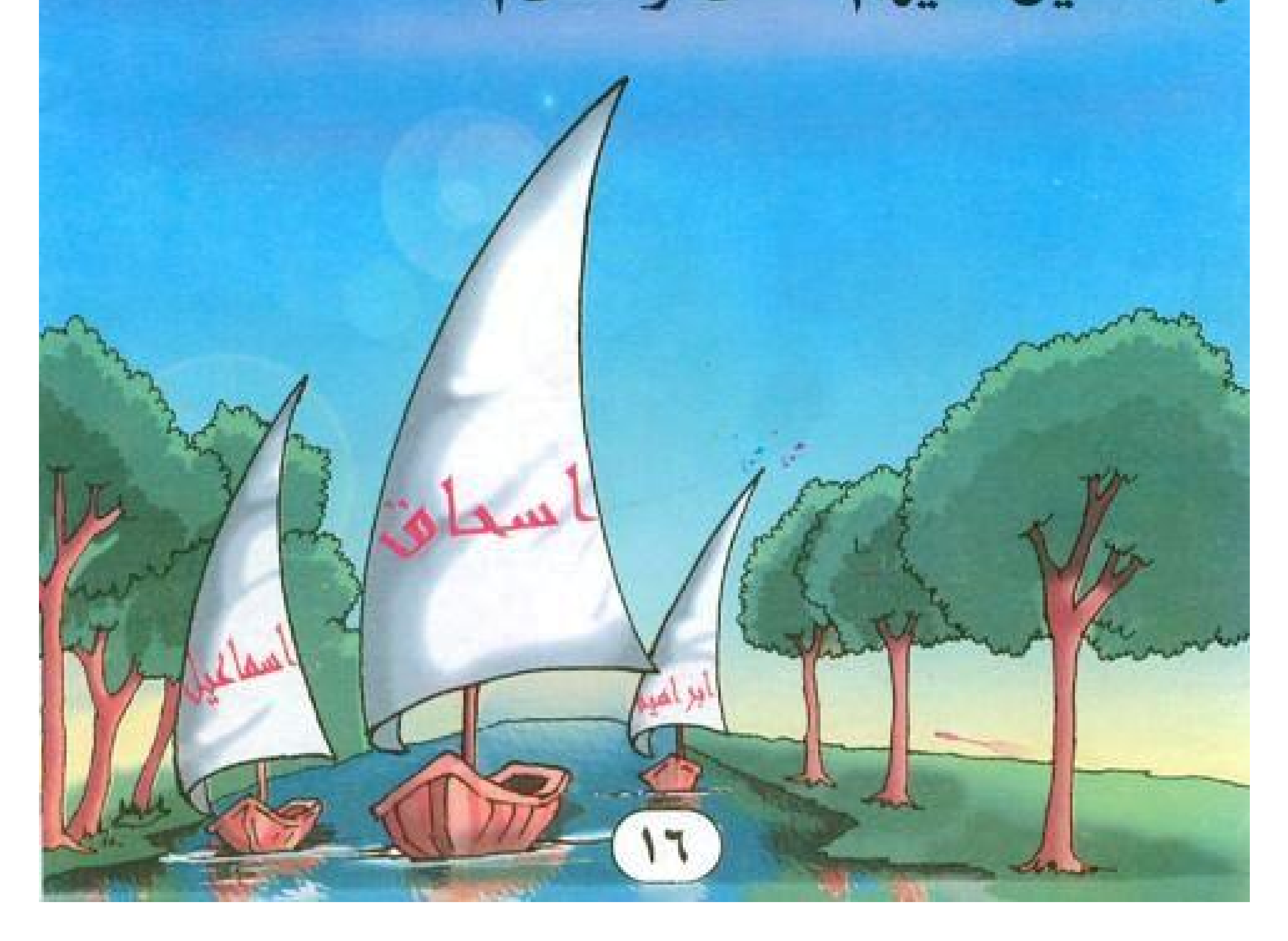
وكانت سارة تتابع الحديث، وقالت وهي لا تكادٍ تصدق نفسها: أألد وقد أصبحت عجوزا قد ابيض شعري، وزوجي أصبح شيخاً كبيراً؟ إن هذا شيء عجيب.
فرد أحد الملائكة قائلاً: لا تعجبي من رحمة الله، إن هذا من بركات الله تعالى عليكم أهل البيت.
ونظر إبراهيم لسارة، ونظرت سارةٍ لإبراهيم، وبشرتهما الملائكة أن الله سيرزقهما ولداً اسمه إسحاق، وأن إسحاق سيعيش ويولد له يعقوب.
فلم يدر إبراهيم كيف يشكر الله تعالى، فخر ساجداً، يحمد الله على نعمه العظيمة، وحمدت سارة ربها، أن حقق لها أمنيتها.

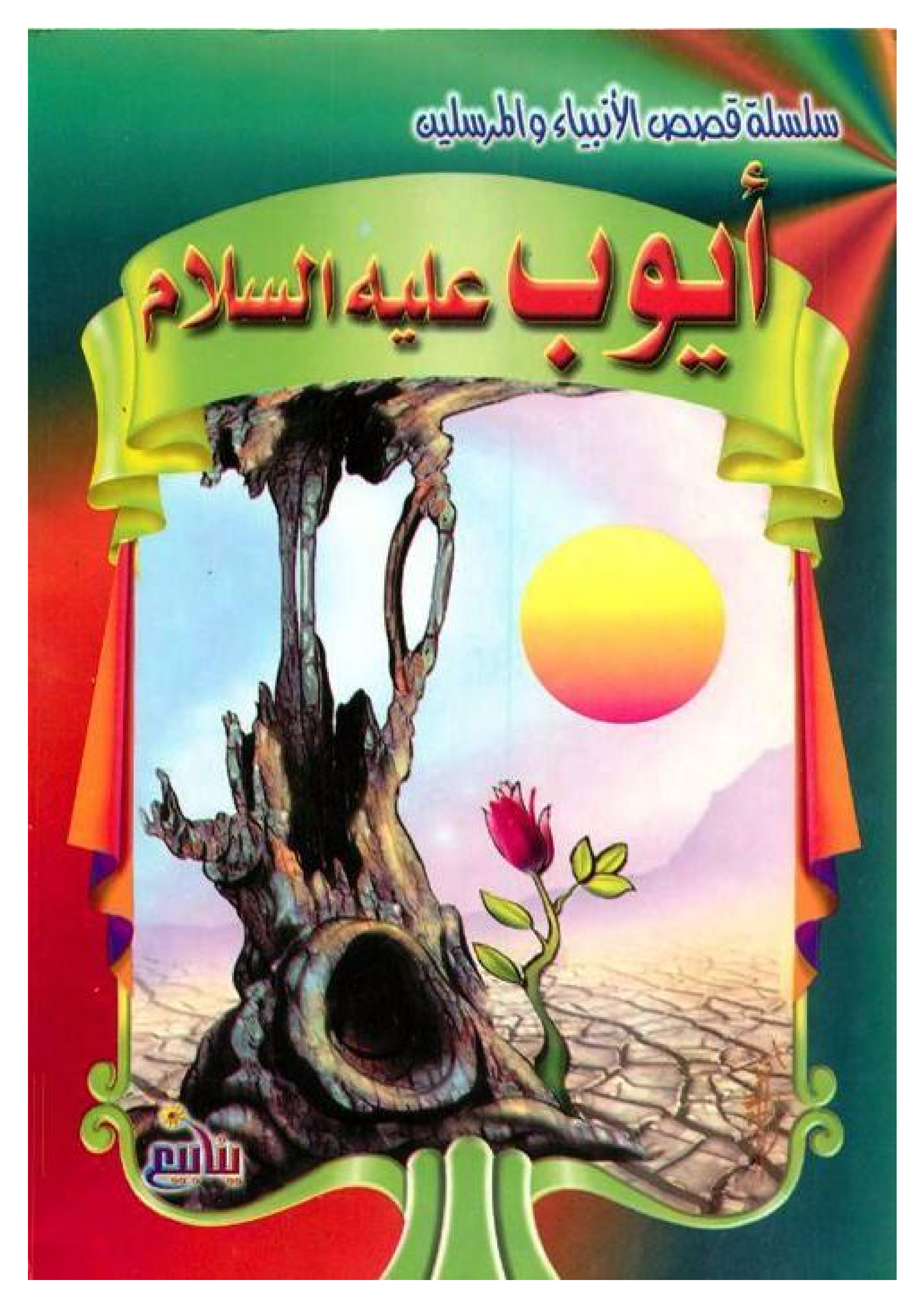
وأحست سارة بالحمل يتحرك في أحشائها، وولدت إسحاق، فكانت فرحة غامرة، لقد بدأ الأمل يبث مرة أخرى في حياة سارة، وكان إسحاق مكافأة لها على صبرها.

وكانت سارة تحب إسحاق حباً شديداً، وتخاف عليه، وكان إبراهيم يشارك سارة في هذا الإحساس، فقد أصبح له ولدان، إسماعيل، وإسحاق. وعادت عاطفة الأمومة تحيي حياة سارة، وهي في الكبر، حتى شب إسحاق، وأصبح شاباً من الصالحين.



ولما بلغ إسحاق مبلغ الرجال، أوحى الله تعالى إليه، وجعله نبيًا من أنبيائه، فقد تربى في بيت النبوة على يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. وقد تزوج إسحاق، ورزقه الله تعالى يعقوب، وقد عاشت سارة حتى رأت حفيدها يعقوب، وتذكرت وعد الله على لسان الملائكة، فحمدت الله تعالى. وظل إسحاق عليه السلام يدعو إلى الله تعالى في قومه، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحمل الرسالة التي حملها أبوه إبراهيم وأخوه إسماعيل عليهم الصلاة والسلام.



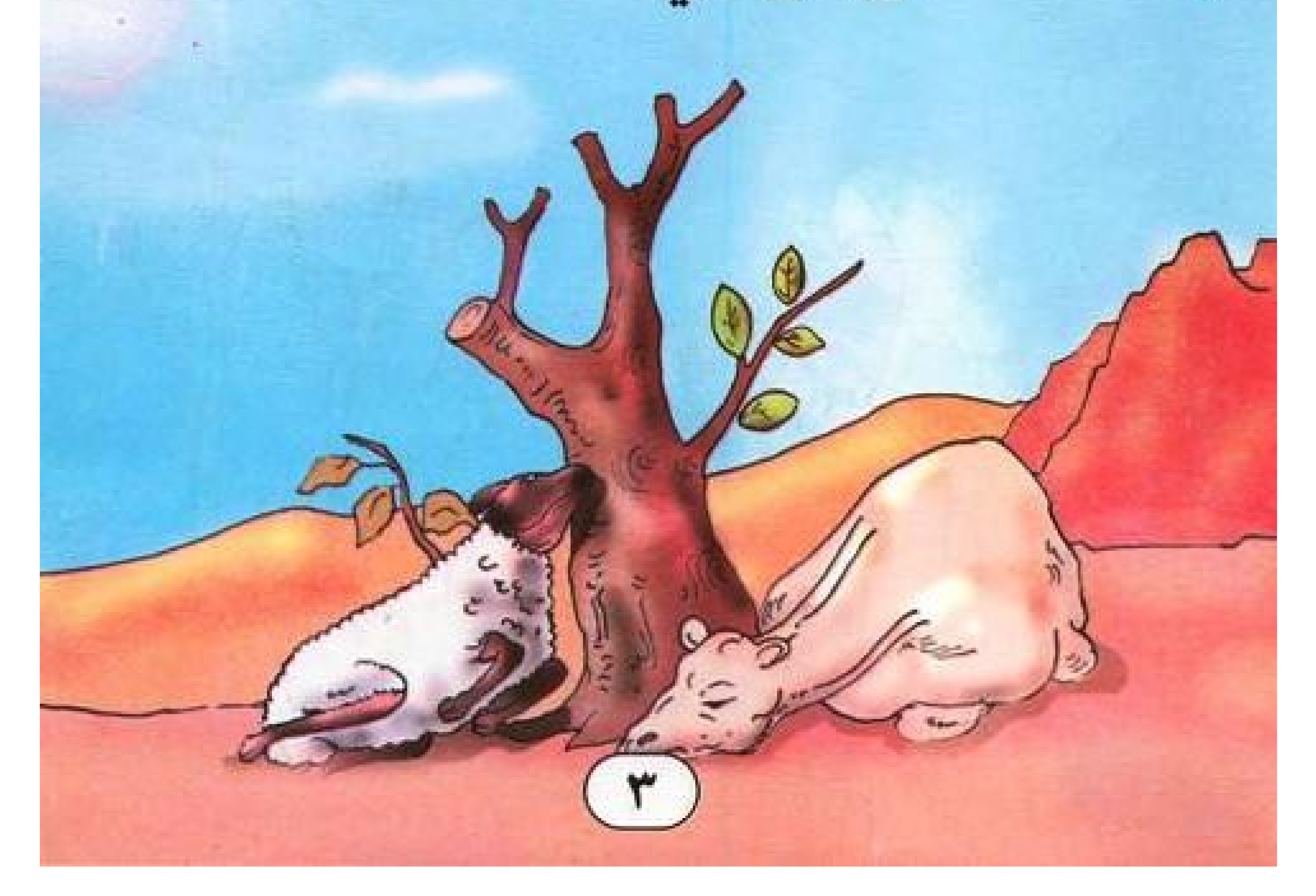

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
أيوب عليه السلام



كان أيوب عليه السلام نبيًا من أنبياء الله تعالى، وكان الله قد رزقه بزوجة صالحة، ورزقه بنين وبنات، وقد أغناه الله تعالى، فكان عنده تجارة وأغنام وغير ذلك من الأملاك، فكان دائم الشكر لله تعالى، دائما يذكر الله، ويصلي ويصوم ويجتهد في العبادة، وقد عرف بالصلاح بين أهله وعشيرته، فأحبوه وكانوا دائما يلجئون إليه يستشيرونه في أمورهم، فيقف معهم، ويقضي لهم حاجاتهم.

وأراد الله تعالى أن يبتلي أيوب عليه السلام، لأن الله كان يحب أيوب، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه واختبره، وكان اختبار الله لأيوب عليه السلام ليس ليري هل ينجح أم يرسب، وليكون أيوب قدوة لمن يبتليهم الله من عباده.

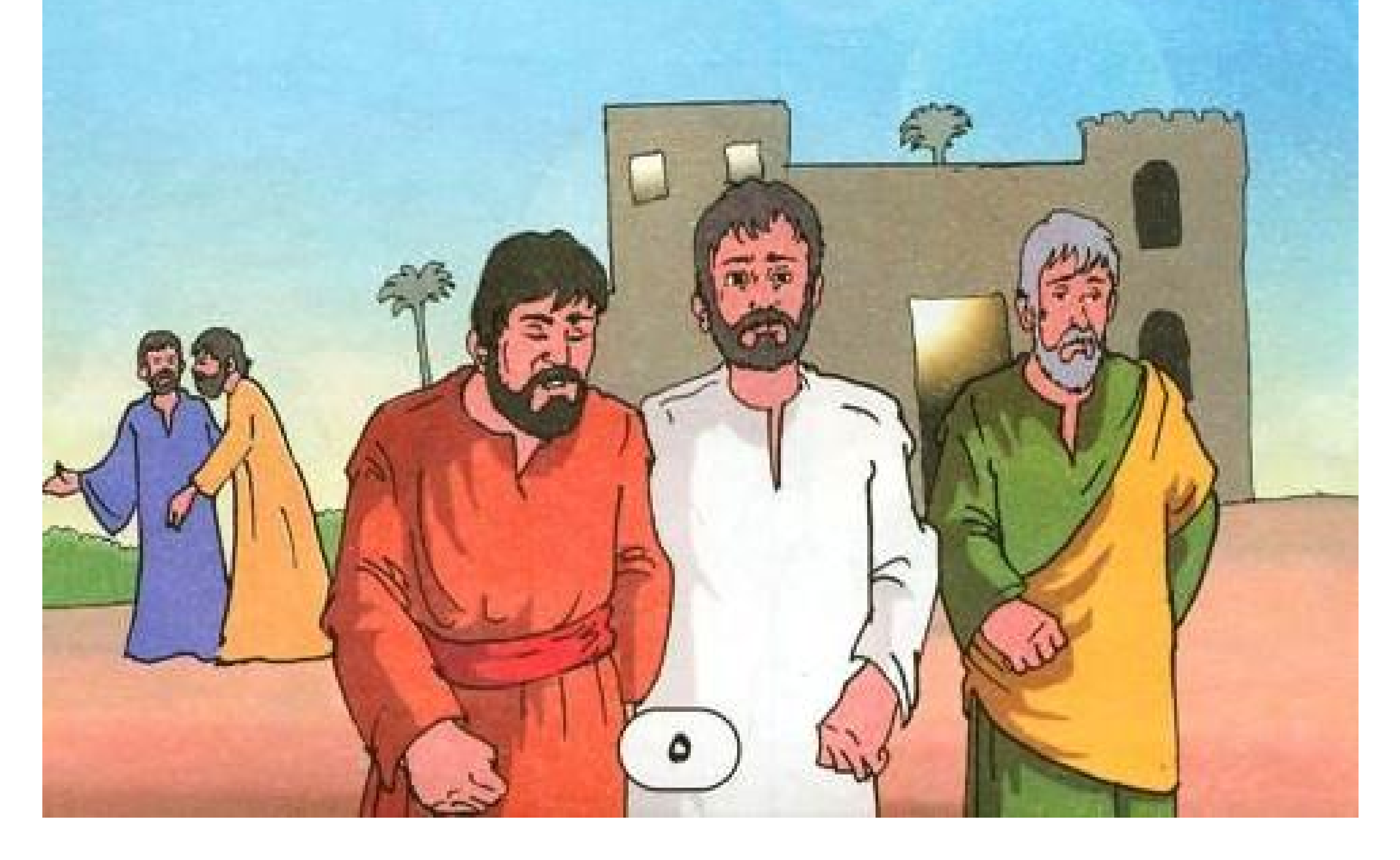
فضاع كل ماله، ومرض أيوب مرضًا شديداً، كان دائم التألم منه، ولكنه كان صابراً على المرض، يحمد الله على كل شيء.



ونجح أيوب في ابتلاء الله له من فقد المال، وفقد الصحة، فأراد الله تعالى أن يزيد في اختباره، فمات كل أولاده، فحزنت زوجته على فقد الأولاد، ولكن أيوب عليه السلام صبّر زوجته، وقال لها: إن الله تعالى أعطانا الأولاد أمانة هو صاحبها، وقد أخذها، فالحمد لله على كل ما قدر،فإن كان أخذ فقد أعطى فله الحمد والشكر.



واستمر أيوب في صبره على بلاء الله سنين عديدة، تصل إلى عشرات السنوات، ولم يزحزحه ذلك عن الصبر، وقد كان الناس يزورونه، ولكنه لما طال المرض يئس الناس من حاله، فكانوا كطبيعة بشرية ينســون أيوب، وينشغلون بمصالحهــم وتجارتهم، ولم يقف معه إلا بعض أقاربه وزوجته الصابرة.



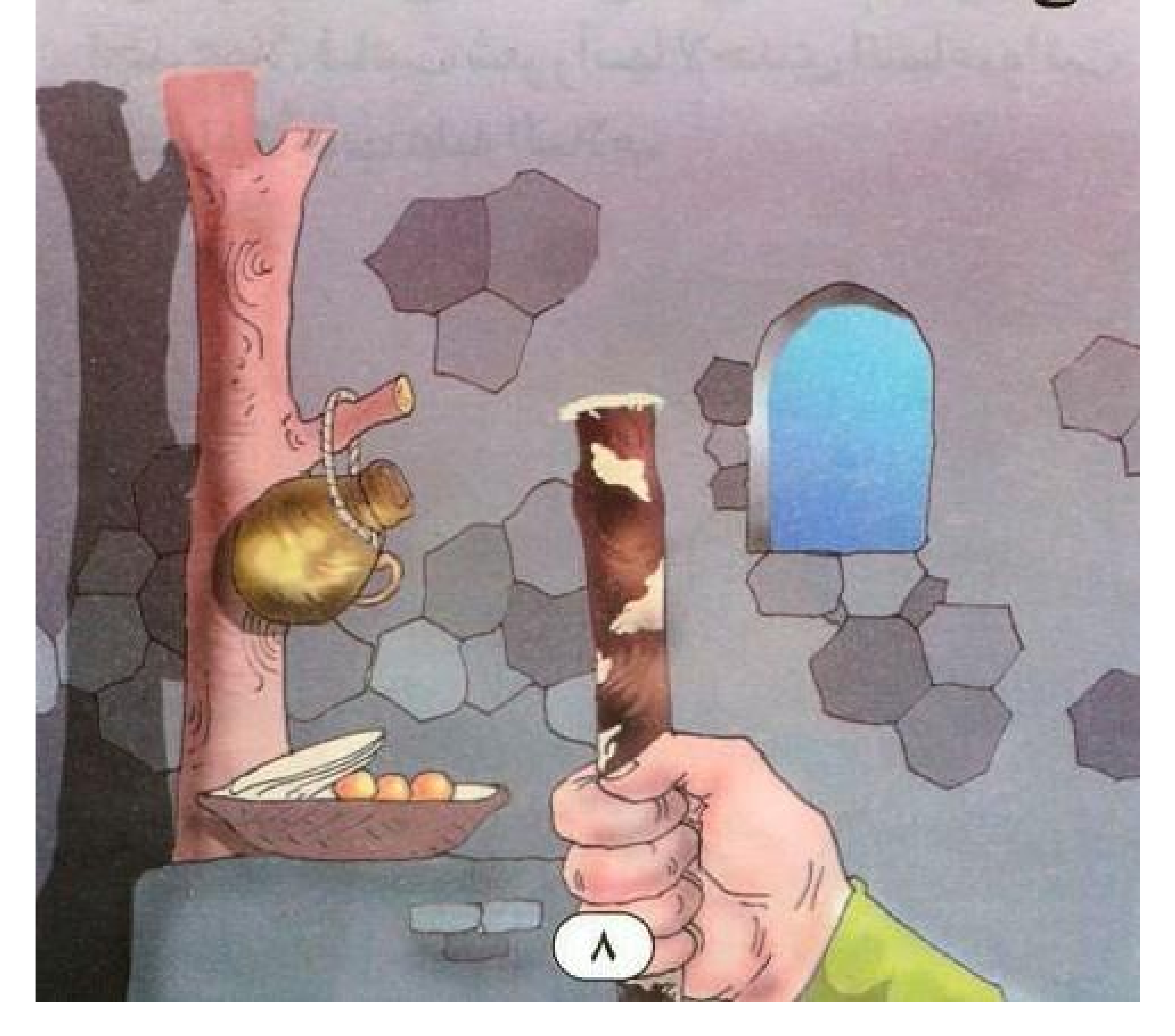
وكانت زوجته تخرج تعمل عند الناس، فكانت تخدم في البيوت، وتغسل وتقوم ببعض الأعمال الشاقة حتى تأتي بالطعام، ثم تعود إلى أيوب، وقد أنهكه المرض، فتجهز له الطعـــام، ثم تطعمه، وتحاول أن تدخل السرور عليه، فينظر أيوب عليه السلام إلى زوجته، ويشكرها على ما تفعله من أجله، ولكنهـا تخبره أن هــذا واجب عليهـا.



وقد مر على هذا الحال أعوام عديدة، وزوجة أيوب عليه السلام تعمل بعد أن ذهب كل ماله. وبعد فترة كره الناس عملها، وكان ذلك زيادة في الابتلاء من الله لأيوب عليه السلام، فكلما ذهبت لأحد لتعمل عنده طردها، فتأخرت زوجة أيوب عن موعدها كي تتحصل على طعام لأيوب ولم تجد عملاً، فباعت شعر رأسها لإحدى النساء، وأتت بالطعام لأيوب عليه السلام.



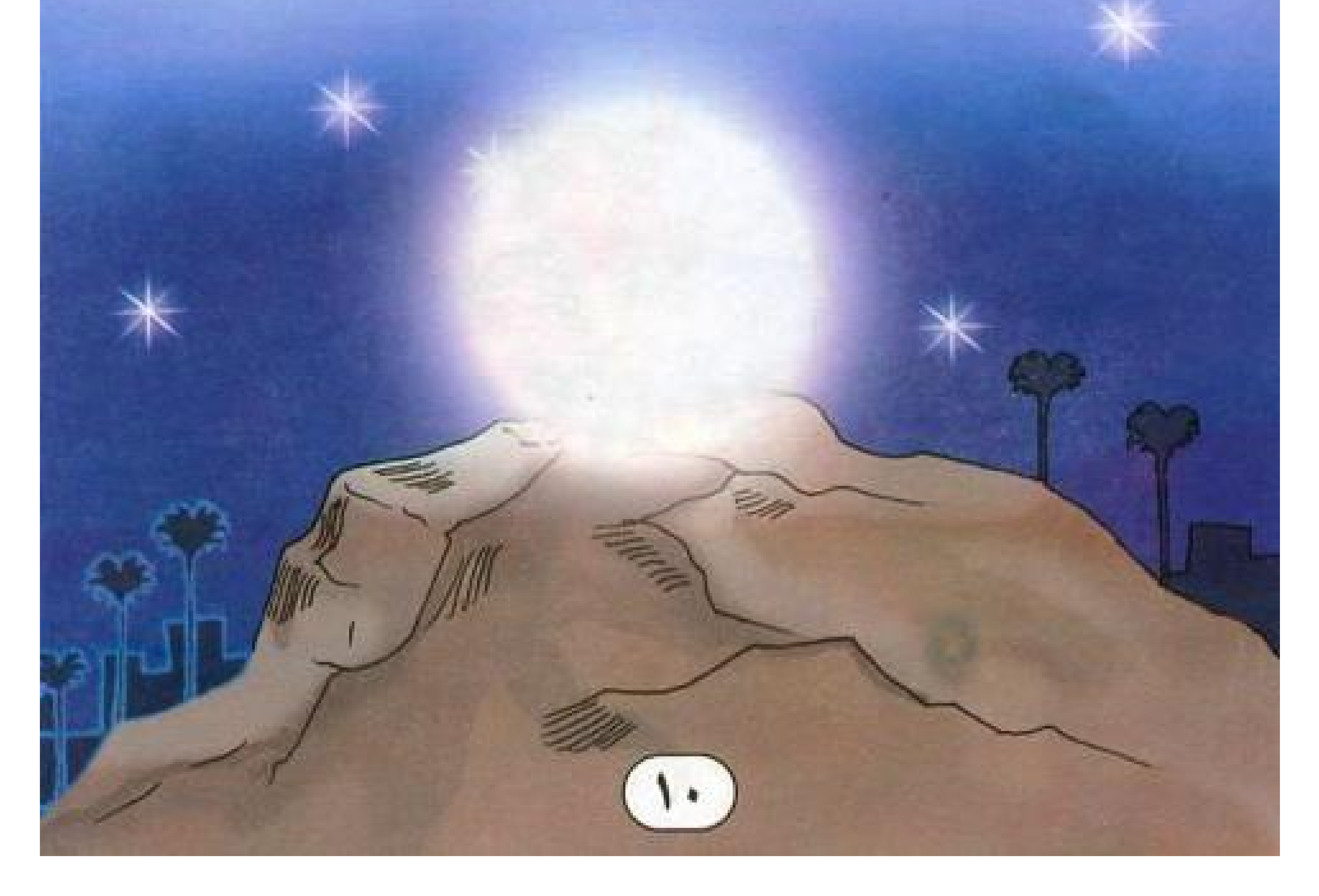
وجاءت زوجة أيوب بالطعام بعد أن باعت شعر رأسها، وكان ذلك في وقت متأخر، فغضب أيوب لأنها تأخرت، وسألها عن سبب تأخرها، فتحججت له بأنها تأخرت في العمل، فأقسم أيوب أن يضربها مائة ضربة بالسوط، ثم اكتشف أيوب أن شعر زوجته غير موجود، وعلم أنها باعت شعرها لتأتي له بالطعام، فتأثر أيوب بذلك، ولكنه صبر على قضاء الله.

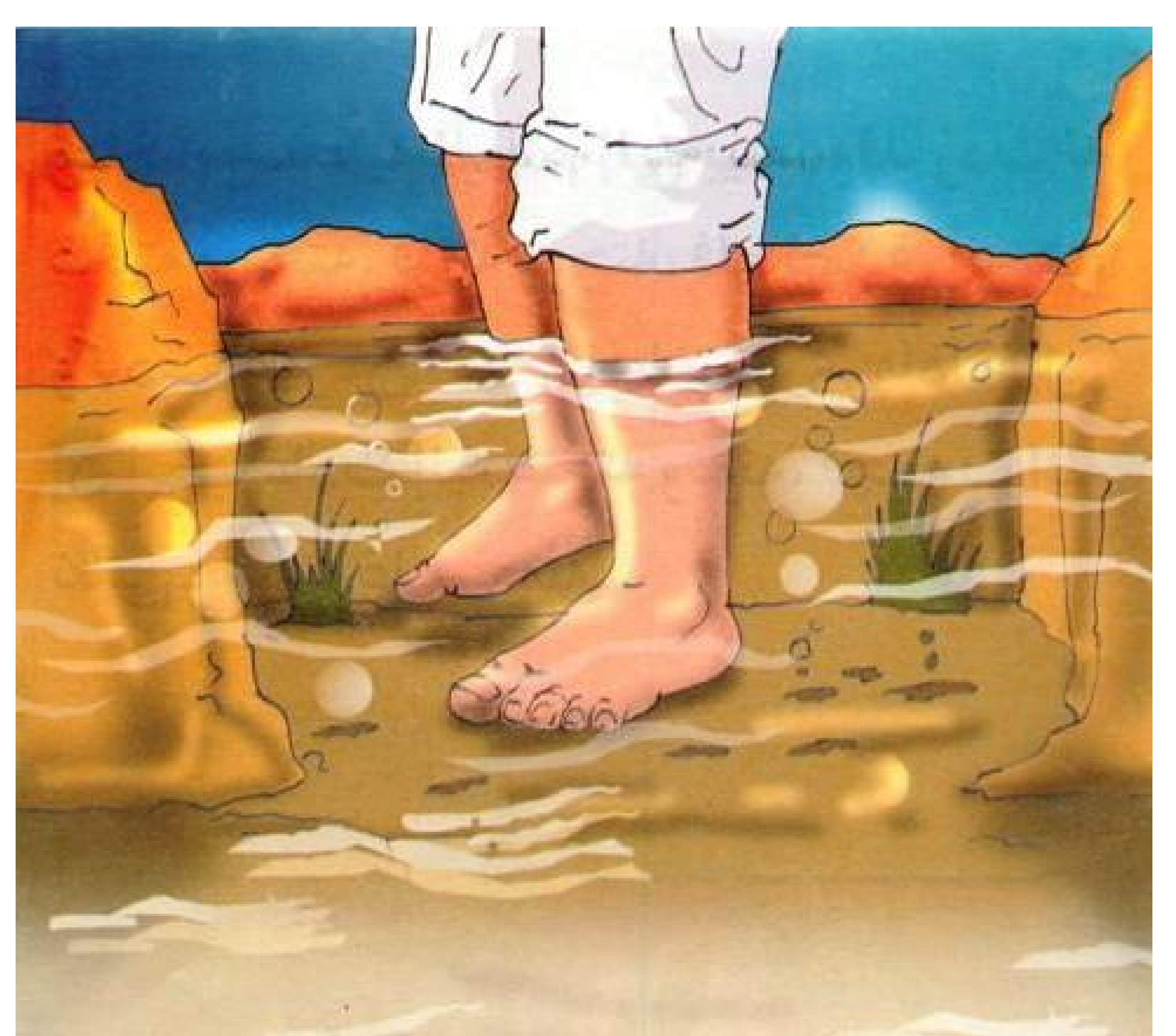


وجاء الشيطان لأيوب وهو في هذه الحالة، ويقول له: إن ما حدث لك من البلاء إنما هو بسببي، فإن تركت الصبر، رفعت عنك هذا البلاء، ولكن أيوب نبي من أنبياء الله، وليس للشيطان أن يؤثر فيه، وصعب على أيوب عليه السلام أن يتجرأ عليه الشيطان بمثل هذه الوسوسة. فتأثر بوسوسة الشيطان تأثرًا كبيرًا في نفسه، ولكنه يعلم أن هذا جزء من ابتلاء الله تعالى له.



فقام أيوب وخرج من بيته إلى جبل، وهناك
نادى أيوب ربه، ورفع إليه يديه يشكو له أن
الشيطان قد تجرأ عليه، بالوسوسة والتزيين
أن يشرك بالله، ودعا الله أن يرفع عنه ذلك
البلاء حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل.





وصلى أيوب لله تعالى، وأطال السجود، وأكثر من الدعاء أن يزيل الله عنه ما به، بعد أن تجرأ الشيطان عليه، فأمره الله تعالى أن يشرب من عين ماء في الجبل، وأن يغتسل منها، فشرب واستحم فيها، فوجد أن المرض قد زال عنه.

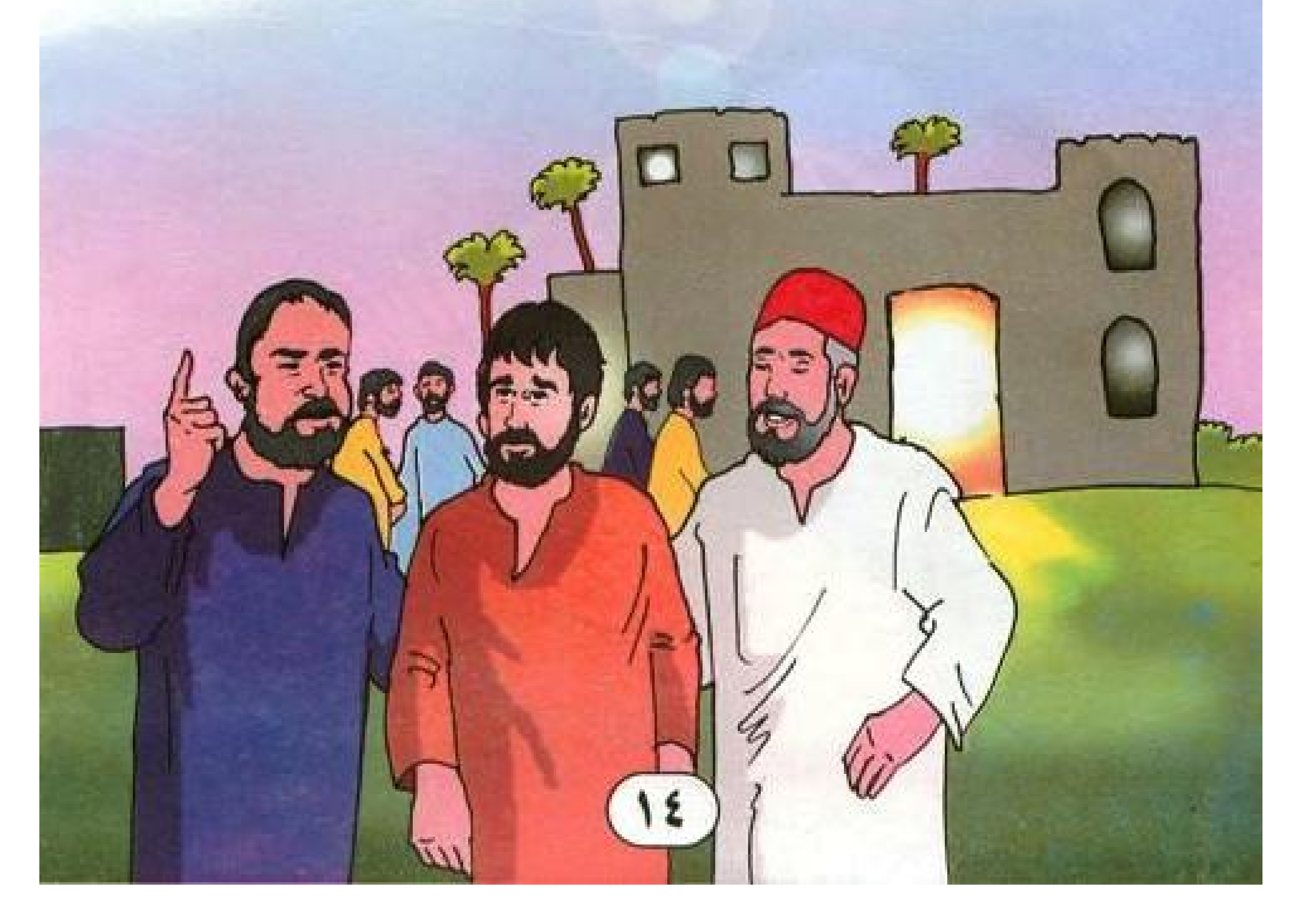
وعاد أيوب عليه السلام إلى بيته، وقد ردت له عافيته وصحته، فرأته زوجته، فلم تصدق أنه هو، وكادت تطير من الفرح، إنها لا تدري ماذا تفعل، إن أيوب عادت إليه صحته وقوته، فحمدت الله تعالى وشكرته على نعمته.



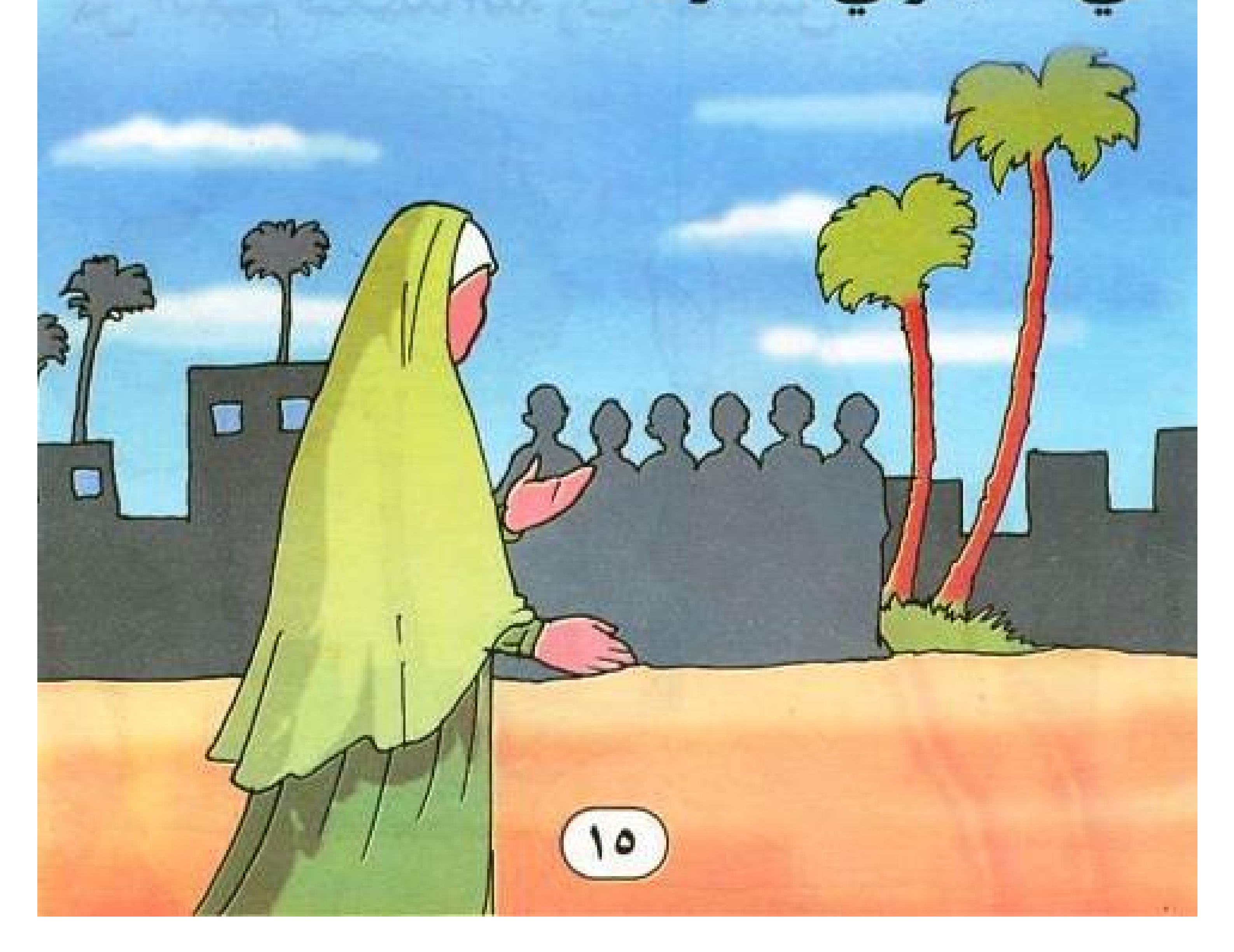
وجلس أيوب حزينًا، فقد تذكر أنه أقسم بالله ليضربن زوجته مائة سوط، ولم يكن لها ذنب، فقد باعت شعر رأسها حتى تأتي له بالطعام، وتوجه أيوب إلى الله بالدعاء، فهو لا يدري ماذا يفعل، أيضرب زوجته التي صبرت معه؟ وإن لم يضربها، فقد أخل بالقسم الذي أقسم بالله به، فكان فرج الله على أيوب أن أمره أن يأخذ مائة عود من الريحان، فيضرب بها زوجته ليبر قسمه.



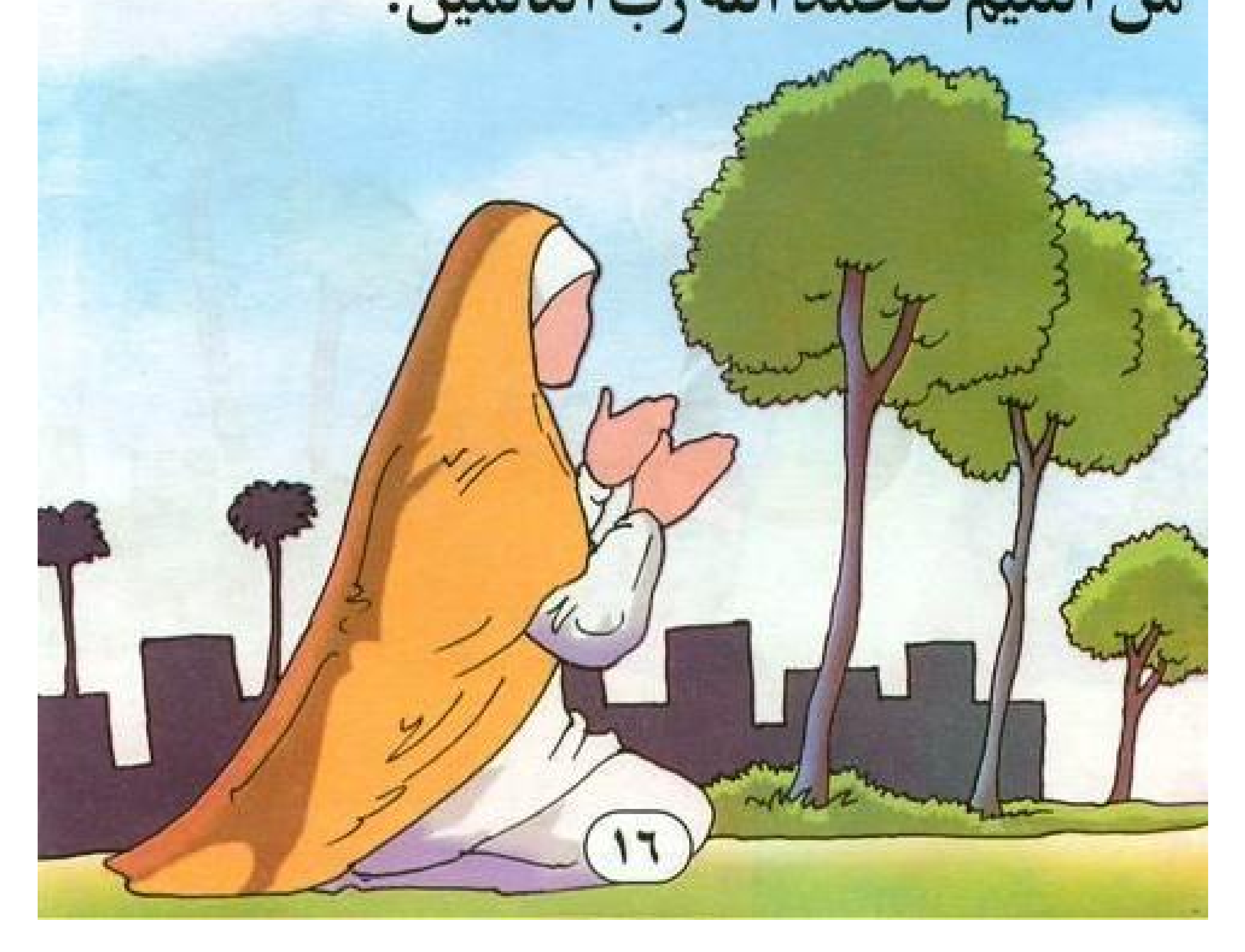
وأتى الناس من كل مكان إلى أيوب عليه السلام يهنئونه بشفاء الله تعالى له، وأن عافاه من المرض، فكان أيوب عليه السلام يقول لهم: إن هذا من فضل الله تعالى عليّ، فان الناس يتحدثون في البيوت والشوارع والمجالس عن صبر أيوب، وصار مثلاً بين الناس... صبر كصبر أيوب...

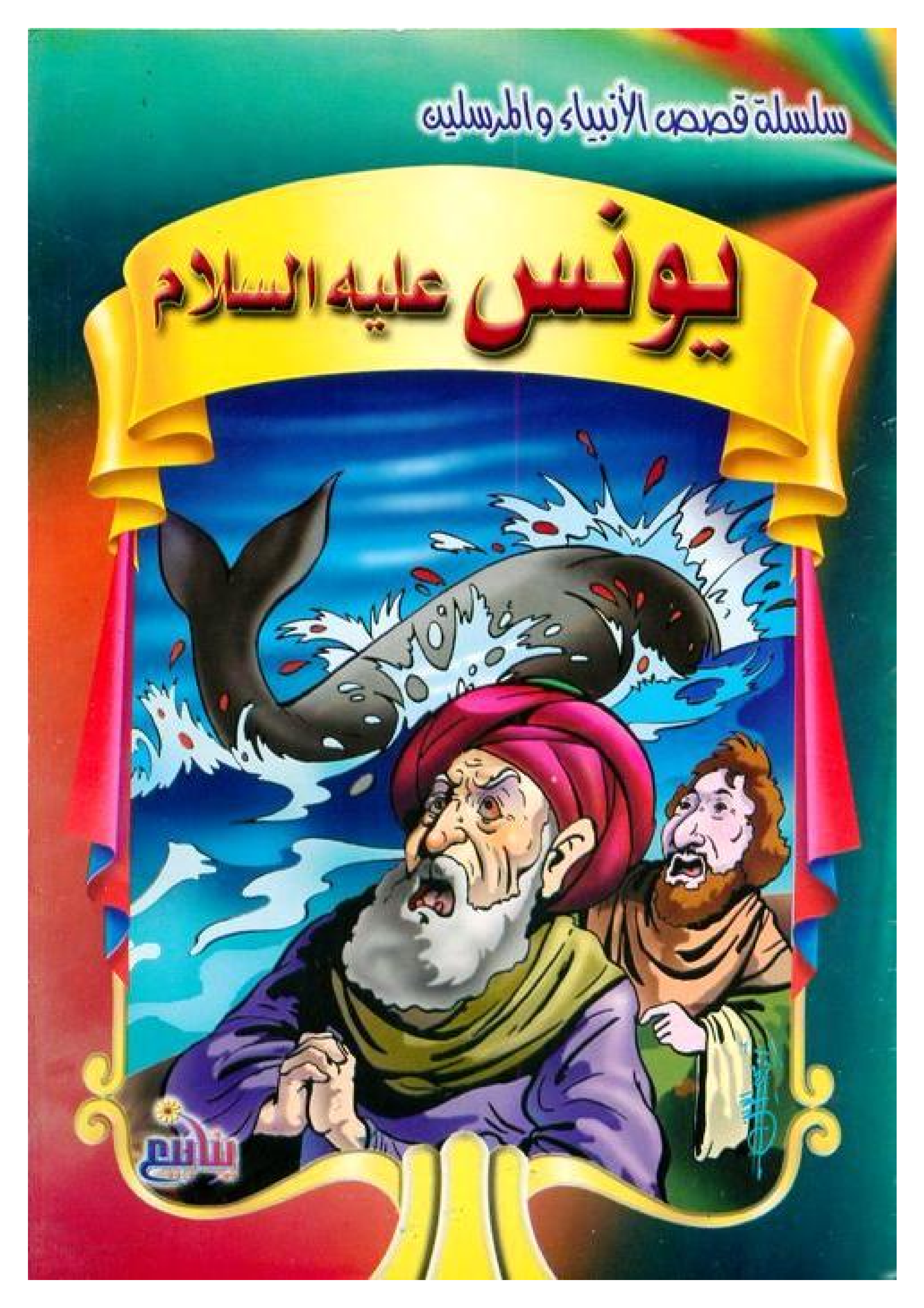


ولأن أيوب قد صبر ونجح في اختبار الله تعالى له هو وزوجته، فقد رزقه الله تعالى ضعف ماله الذي فقده، ورزقه من زوجته ضعف أولاده، فعرف الناس نتيجة الصبر، وكان ما حدث لأيوب عبرة للناس، ليعلموا أن أنبياء الله هم أشد الناس بلاء، وليعرفوا أن جزاء الصبر هو خير كثير من الله تعالى للإنسان في الدنيا وفي الآخرة.



وأما زوجة أيوب عليه السلام، فقد شكر لها أيوب ما صنعت معه من عملها، وأنها لم تتركه لحظة، بل كانت دائماً معه لتكون مثالاً للزوجة الصالحة، وقد كافأها الله تعالى في الدنيا أن أعاد لها شبابها وجمالها، مكافأة لها على صبرها مع زوجها، ورزقها ضعف أولادها الذين ماتوا، فشكرت الله تعالى، وكانت دائماً تذكر هذه الأيام وتنظر ما هي فيه من النعيم فتحمد الله رب العالمين.



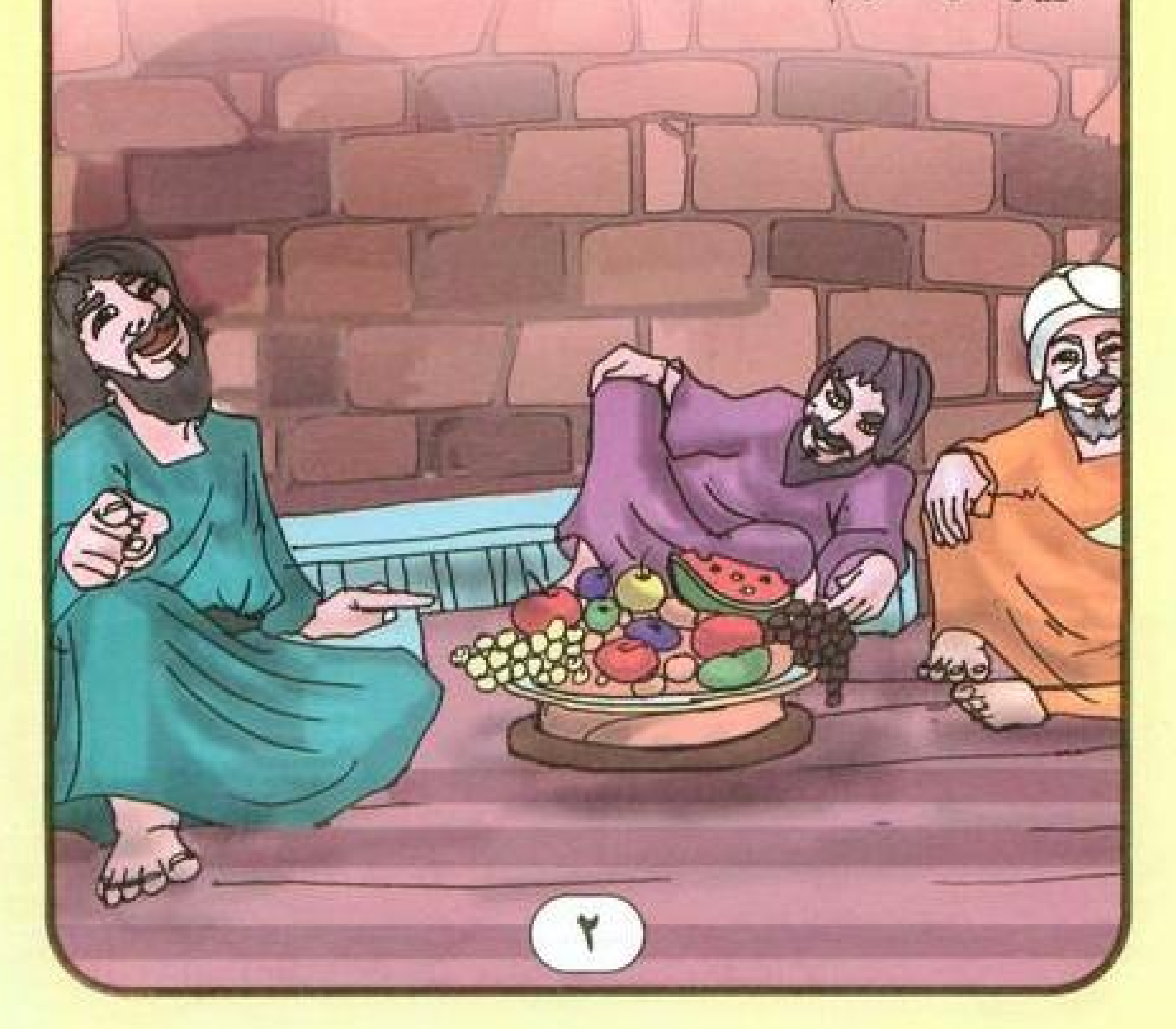

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
يونس عليه السلام

أرسل الله تعالى يونس بن متى -عليه السلام- إلى سكان مدينة تعرف بـ «نينوي».

وفرح يونس -عليه السلام- برسالة الله تعالى له، وأخذ على نفسه أن يبذل كل جهد في سبيل دعوة الله.

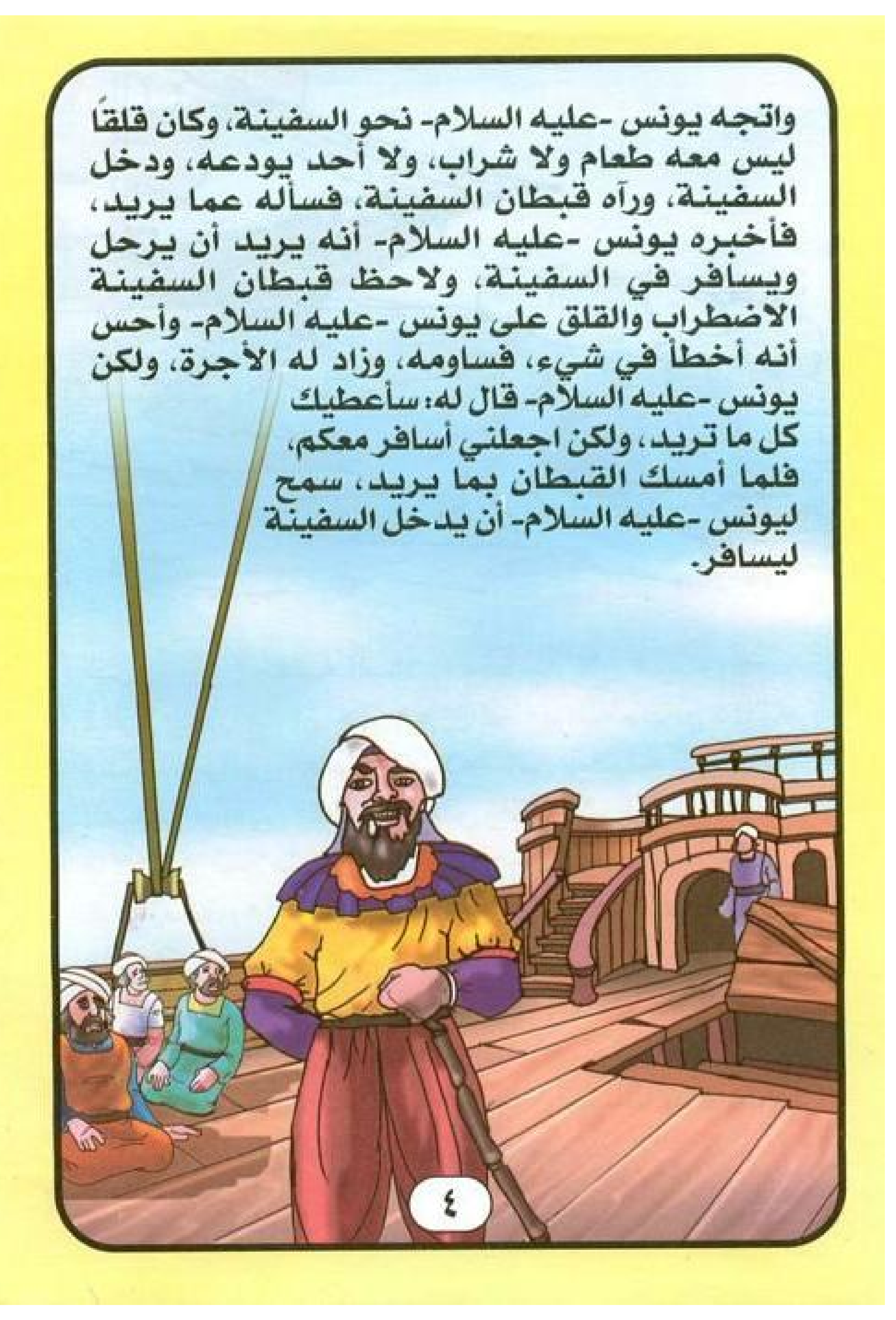
وبدأ يونس -عليه السلام- يدعو قومه، يذهب لهم في النوادي التي يجتمعون فيها، كما كان يذهب إلى بيوتهم، ويقابل أغنياء القوم وفقراءهم يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده.

ولكن قوم نينوي رفضوا دعوة الله، ولم يقبلوها، فغضب يونس -عليه السلام- منهم، وقرر من نفسه أن يتركهم ويرحل عنهم.

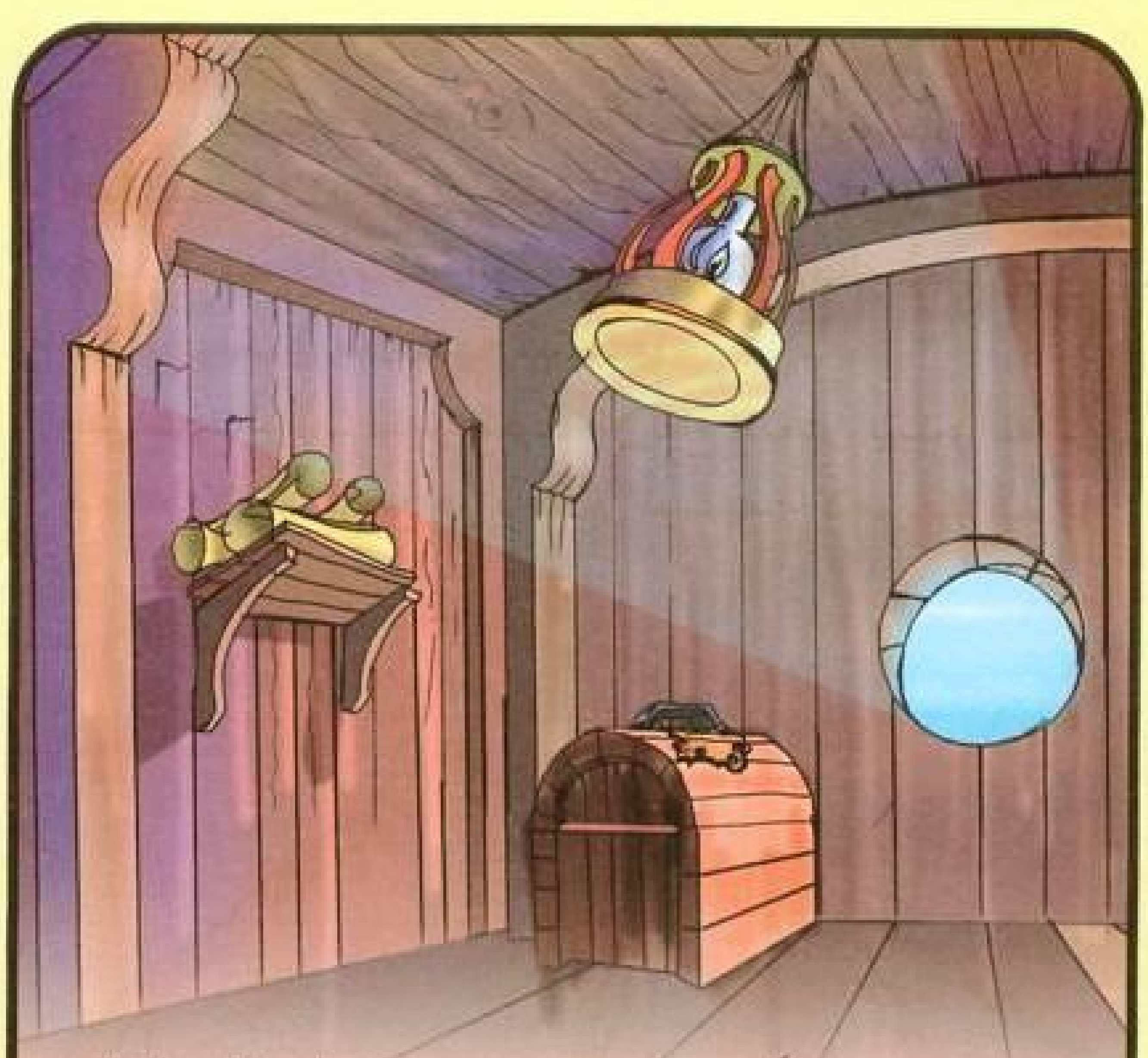




خرج يونس -عليه السلام- مغضباً، لأن قومه رفضوا دعوة الله، بعد أن حذرهم أن عذاب الله سيقع عليهم. واتجه يونس -عليه السلام- إلى سفينة ترسو في الميناء الصغير، وكانت الشمس وقتها تتجه نحو الغروب، والأمواج تتلاطم، ورأى يونس -عليه السلام- سمكة صغيرة تقاوم الموج، ولكن لصغرها لا تعرف ماذا تفعل، وجاءت موجة كبيرة فحملت السمكة، ورفعتها إلى الصخور، وحطمتها، وأحس يونس -عليه السلام- بالحزن، وقال في نفسه: إن هذه السمكة الصغيرة لو كان معها سمكة كبيرة لاستطاعت أن تنقذها وتساعدها، وتذكر حاله مع قومه، فآلمه ما حدث.



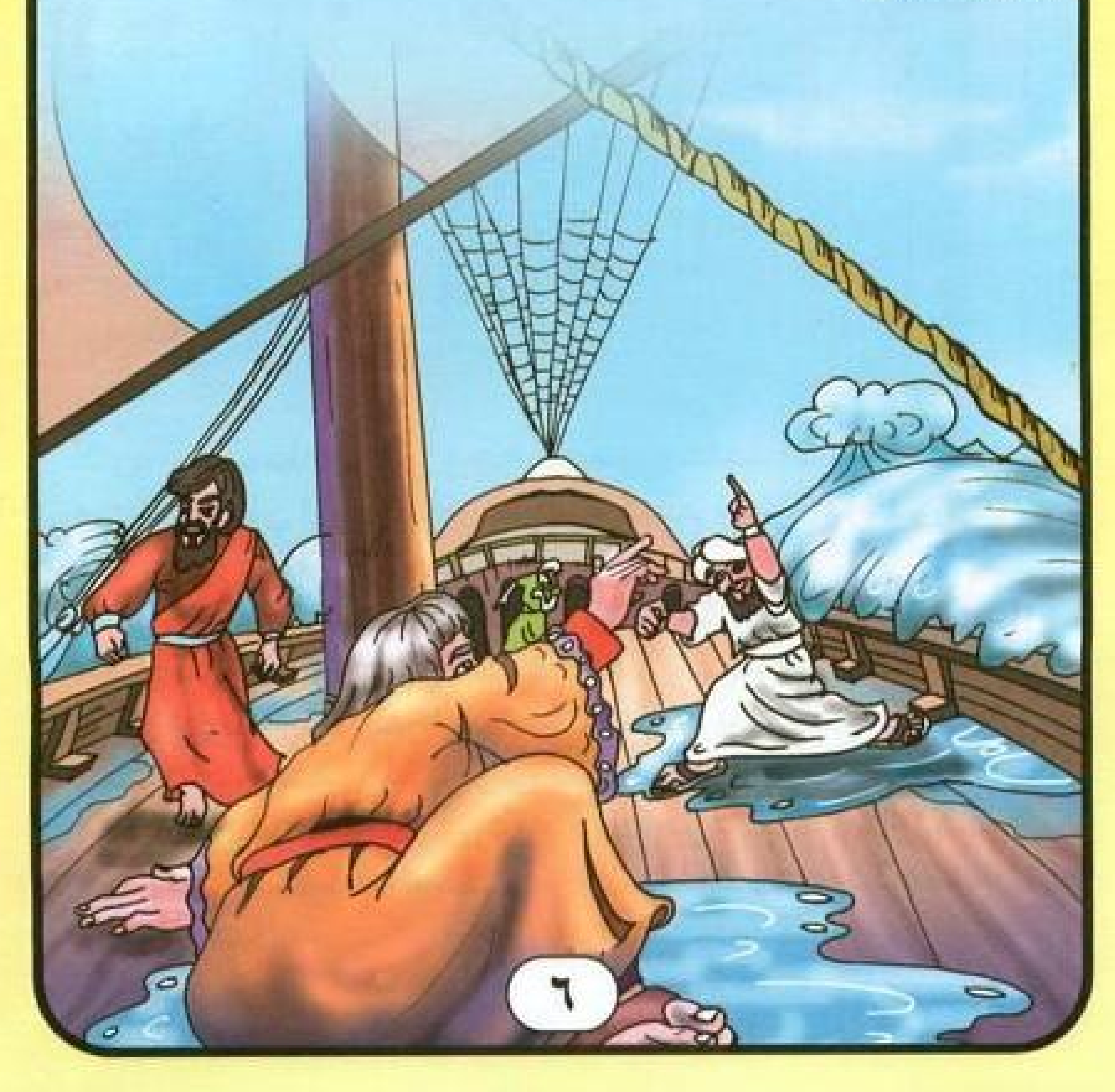
واتجه يونس -عليه السلام- نحو السفينة، وكان قلقاً ليس معه طعام ولا شراب، ولا أحد يودعه، ودخل السفينة، ورآه قبطان السفينة، فسأله عما يريد، فأخبره يونس -عليه السلام- أنه يريد أن يرحل ويسافر في السفينة، ولاحظ قبطان السفينة الاضطراب والقلق على يونس -عليه السلام- وأحس أنه أخطأ في شيء، فساومه، وزاد له الأجرة، ولكن يونس -عليه السلام- قال له: سأعطيك كل ما تريد، ولكن اجعلني أسافر معكم، فلما أمسك القبطان بما يريد، سمح ليونس -عليه السلام- أن يدخل السفينة ليسافر.



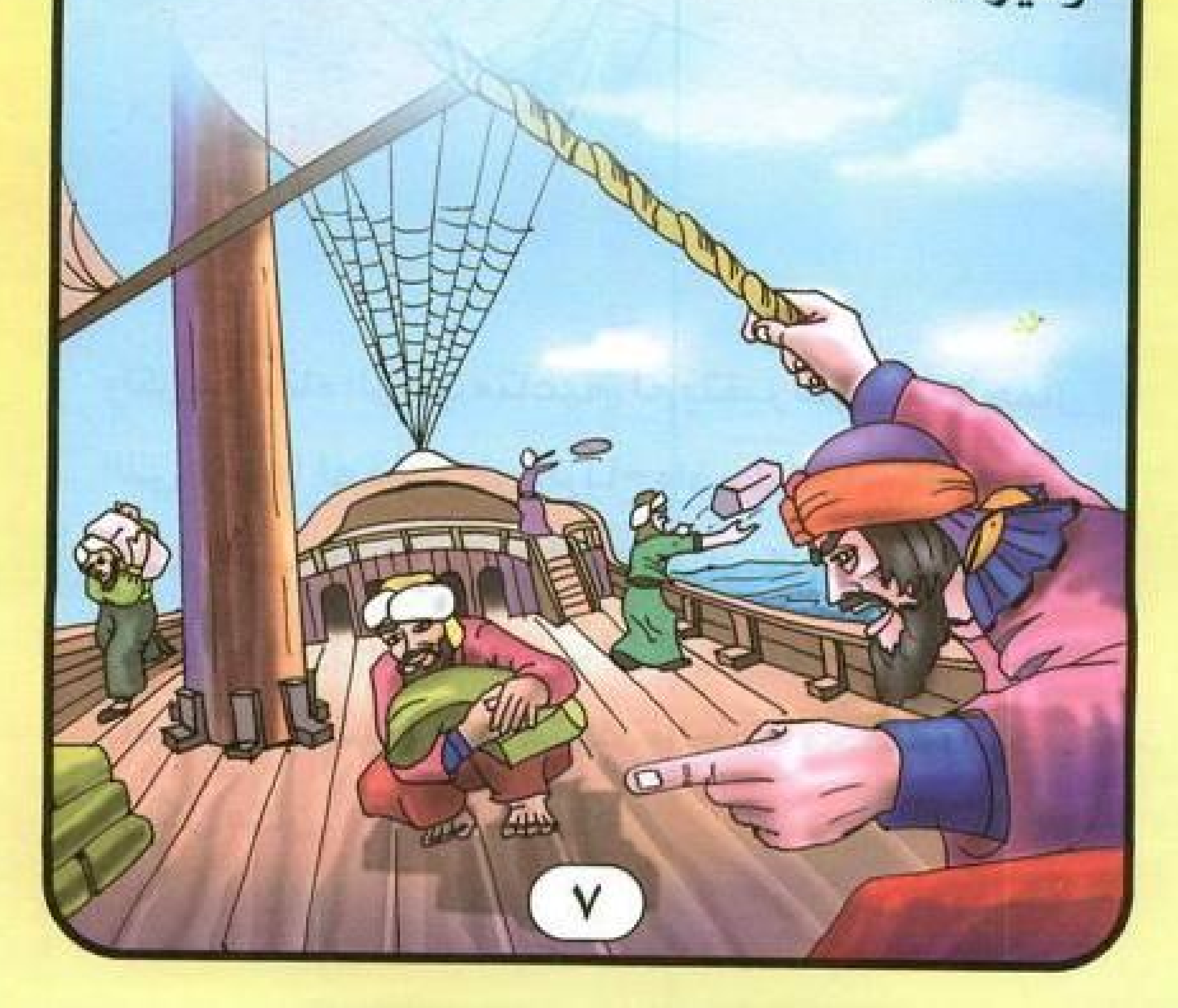
كان التعب ظاهرًا في وجه يونس -عليه السلام- فطلب من القبطان أن يعرفه غرفته قائلاً: أين غرفتي؟ فأنا متعب وأريد أن أرتاح.
فرد عليه القبطان، وقال: ذلك ظاهر عليك، وأشار القبطان ليونس إلى الغرفة التي سيجلس فيها، فلما دخل يونس -عليه السلام- غرفته، ألقى بجسده على السرير، وأخذ ينظر إلى سقف الحجرة، فرأى فيها مصباحًا يبدو أنه مائل، فزاد ذلك من حزنه، وكان لايزال متذكرًا السمكة الصغيرة، فصورتها وهي تتحطم لا تفارق خياله.

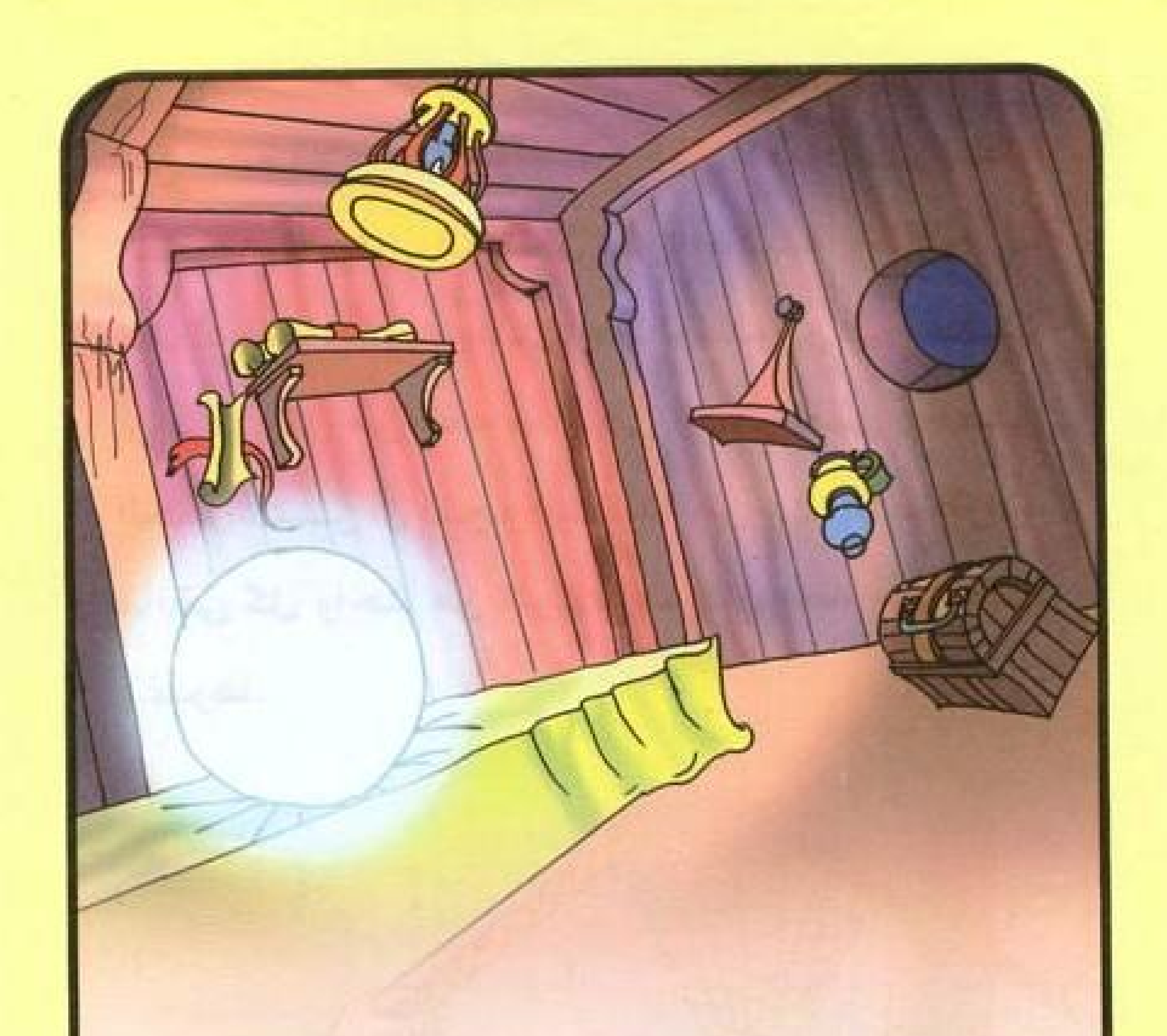
وسارت السفينة في هدوء وسكون طوال النهار، ولما جاء الليل بدأت الأمواج تضطرب وترتفع كالجبال وتهبط، بل بدأت تدخل سطح المركب، وتصطدم بالواقفين فوق السطح وتغرق ملابسهم بمياهها.

وفي هذا الوقت ظهر صوت من قاع البحر، يبدو أنه لا هم له إلا أن يسبح وراء هذه السفينة لأمر قد قدره الله تعالى.



ومع شدة تلاطم الأمواج أو دخول المياه على سطح السفينة، اضطرب الراكبون على السفينة، وخافوا مما حدث خوفًا شديداً، ونادى أحد المسئولين في السفينة أن يلقي كل من معه متاع في البحر حتى يخففوا الحمل، عسى أن تنجو السفينة من هذا الاضطراب، فألقى كل واحد من الركاب ما كان معه من أمتعة وغيرها.

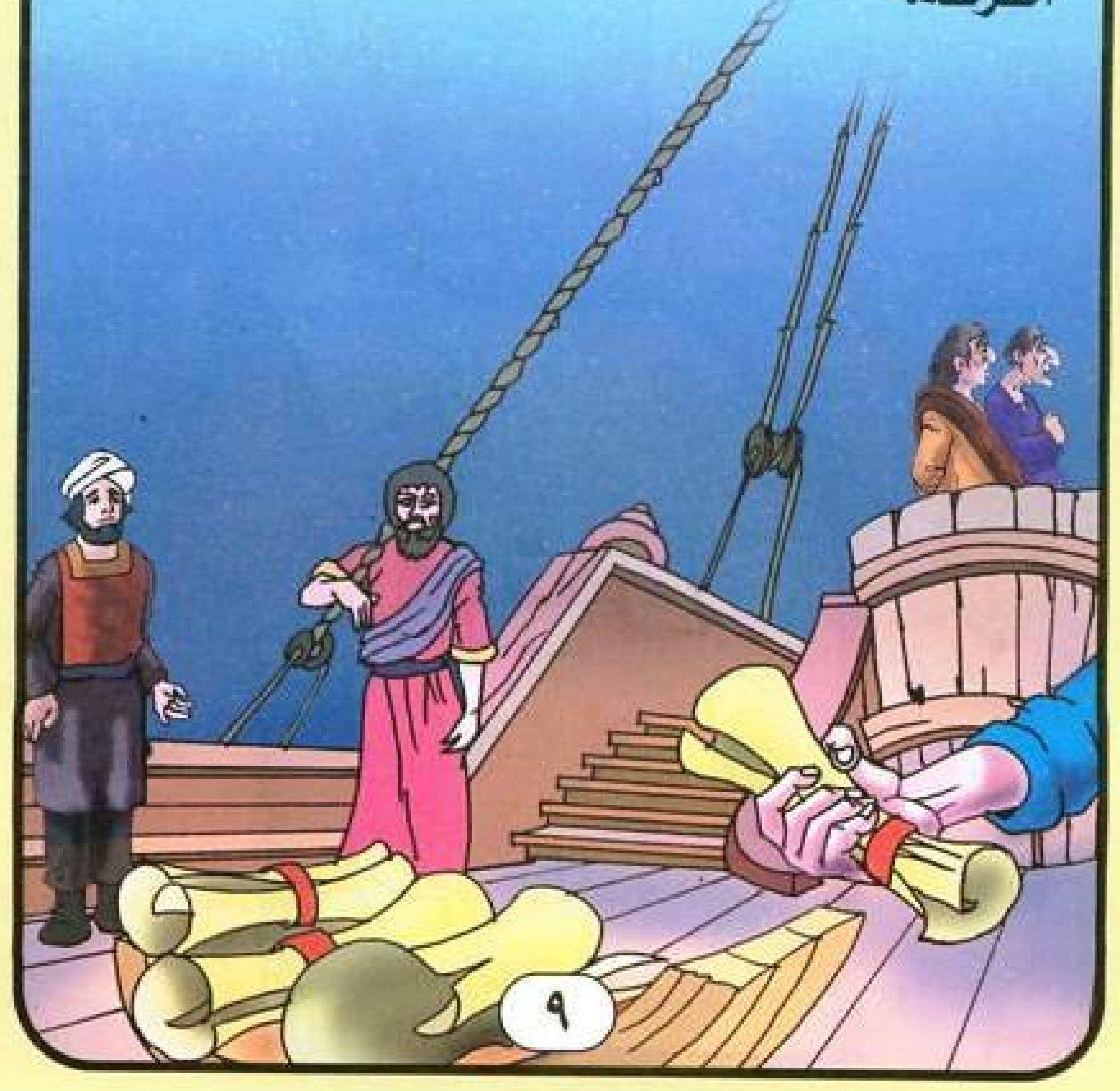




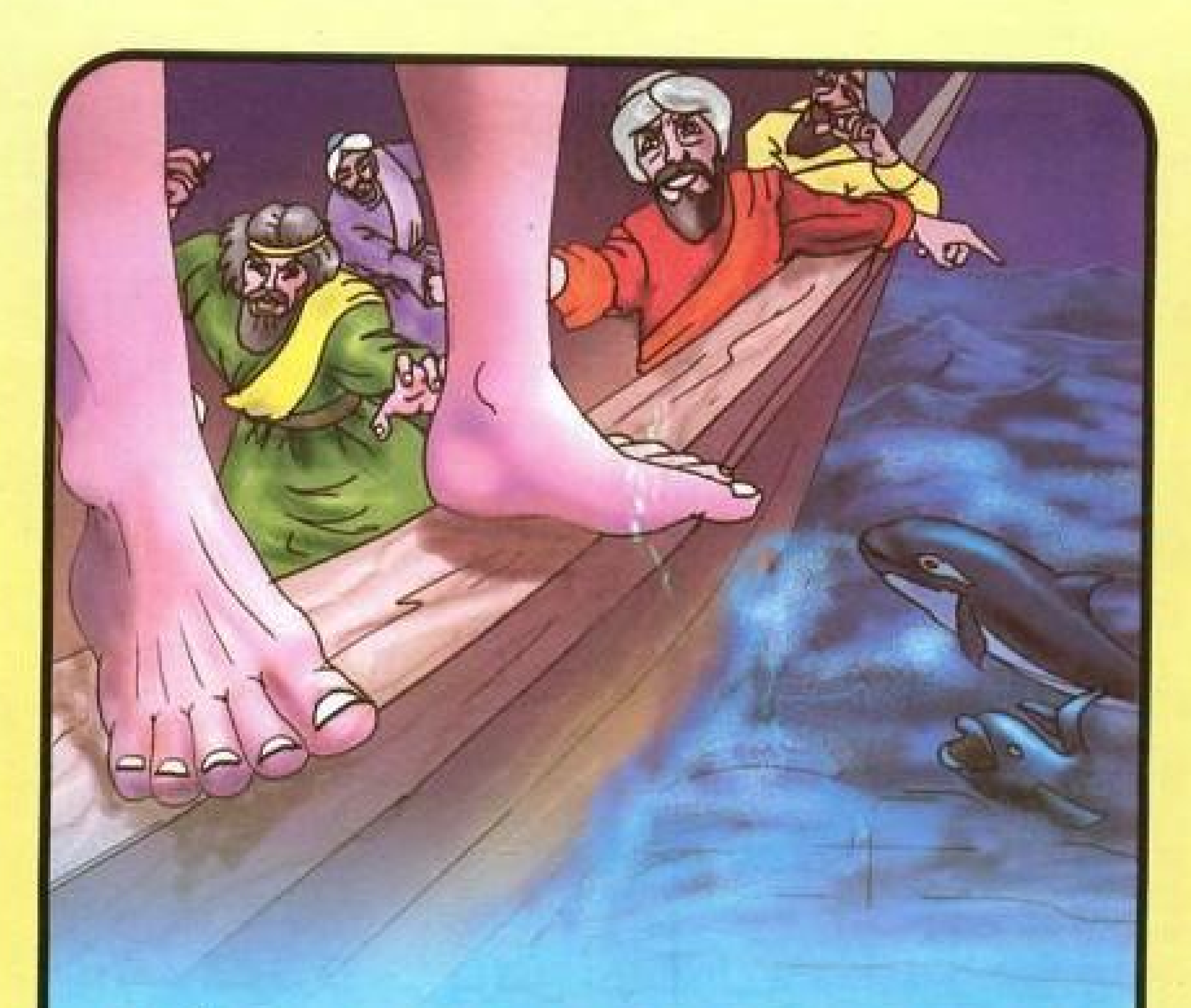
ولكن مع إلقاء الركاب متاعهم، لم يتغير شيء، فالأحمال التي ألقوها لم تؤثر في الرياح واضطرابها، وقام يونس -عليه السلام- فزعاً من نومه، فرأى كل شيء يهتز في الغرفة، وحاول أن يحافظ على اتزانه، ولكن دون فائدة، فالسفينة تتمايل هنا وهناك، والخطر محيط بالركاب من كل مكان.

وصعد يونس -عليه السلام- إلى سطح السفينة، فما رآه القبطان تذكر حاله، وخوفه منه، عسى أن يكون قد فعل شيئًا خطئًا.

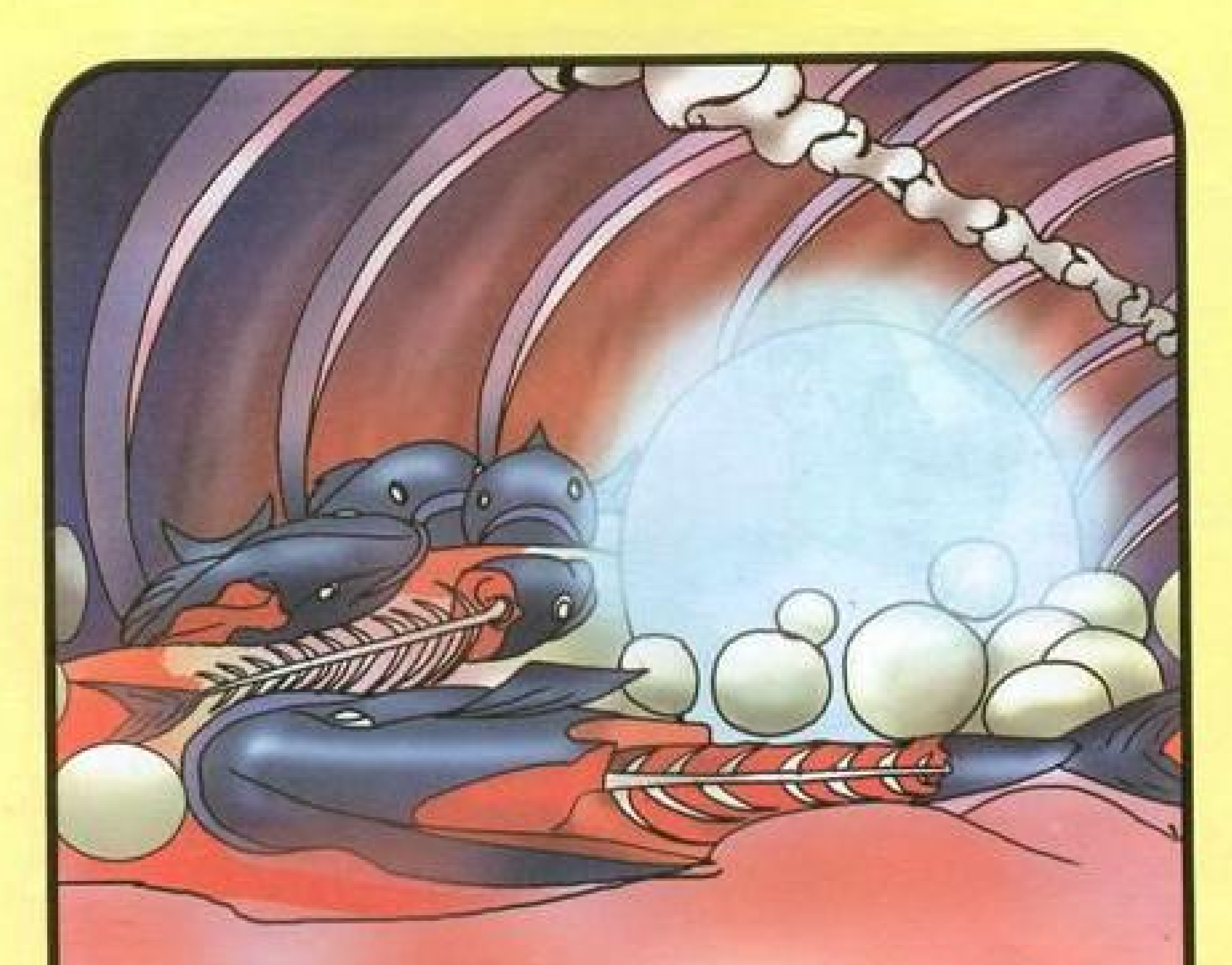
وهنا قال القبطان: لقد ثارت عاصفة في غير وقتها، وسنُجري قرعة، فمن خرج اسمه فيها، ألقيناه في البحر، ورضى الجميع بذلك الحل، ووضع يونس -عليه السلام- اسمه ضمن أسماء الركاب الذين ستجرى عليهم القرعة.




كانت هذه القرعة شيئًا معروفًا لدي الركاب جميعًا، لكن يونس كان يجب عليه أن يرضى بالأمر الواقع. وأجريت القرعة، فخرج اسم يونس وأصبح واجبا عليه أن يلقي نفسه في البحر، فأعادوا القرعة مرة ثانية، فخرج يونس أيضا، فكرروها مرة ثالثة، فخرج اسم يونس. وأصبح واجبا عليه أن يلقي نفسه في البحر، هنا تذكر يونس -عليه السلام- أنه أخطأ، وأن ما حدث عقاب من الله له.
يونس



وقف يونس -عليه السلام- على حاجز السفينة، وهو ينظر إلى البحر الهائج، وكيف أنه سيلقي بنفسه، فالأمواج متلاطمة، وهي سوداء، وكان الجو مظلماً، وليس هناك قمر، والنجوم لا تظهر، ولون المياه أسود، والبرد يغطي جسده، حاول يونس أن يمسك توازنه، كي يقفز مستقيماً، والناس يطلبون منه أن يلقي بنفسه، ولما تباطؤوا فعله، ألقوه بأيديهم، فالتقمه الحوت بعد أن وجد يونس طافياً على وجه البحر، وسار في أعماق البحر.



وبعد فترة، فوجئ يونس -عليه السلام- أنه في بطن الحوت، والحوت يجري به في جوف البحر، والليل مظلم، تصور يونس نفسه أنه قد مات، حرك أعضاءه فوجد نفسه مازال حياً، علم أن ذلك من حفظ الله، فإن الله أمر الحوت ألا يخدش منه شيئاً، فتحرك قلبه بالتسبيح لله، والاستغفار له، فنادى يونس ربه وهو في جوف الحوت: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». وأخذ يونس عليه السلام يبكي، ويدعو الله أن يغفر له، وأن يعفو عنه، وشغل نفسه بذكر الله تعالى.

وسمعت الكائنات البحرية بتسبيح يونس -عليه السلام- فأقبلت الحيتان والأسماك تحوط الحوت الذي ابتلع يونس، تسبح الله معه، وكان الحوت نائماً، فاستيقظ، فوجد الكائنات البحرية تسبح الله تعالى، فعلم أنه ابتلع نبياً، فأخذ في التسبيح معهم، وأحس الحوت بالخوف، ولكنه تماسك نفسه، وقال: أنا لم أصنع إلا ما أمرني الله تعالى به، ولن أفعل شيئاً إلا بأمر الله.

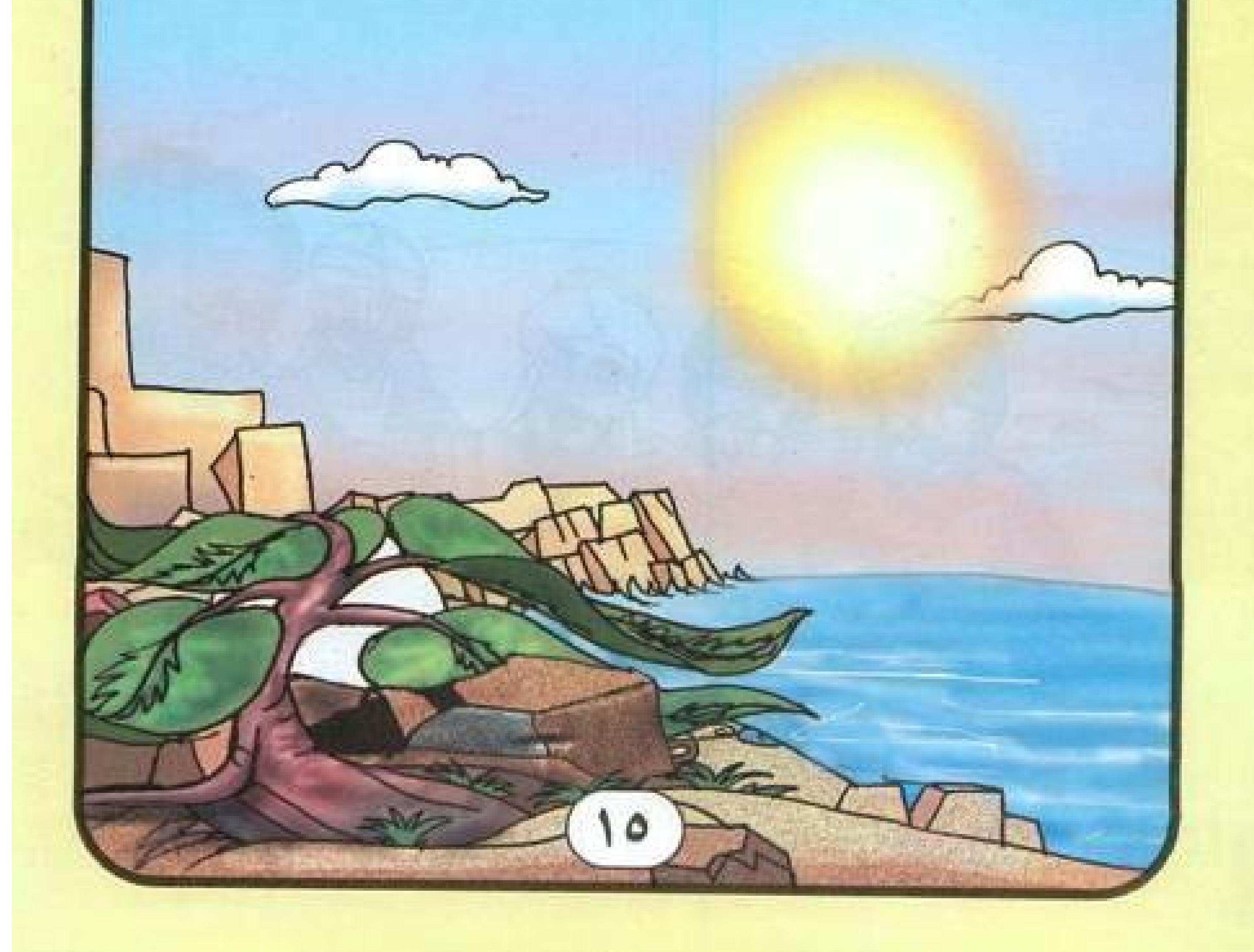


ومكث يونس -عليه السلام- فترة من الزمن، لا يعلمها إلا الله، كان فيها يسبح الله تعالى دائماً، وقبل الله تعالى توبة يونس عليه السلام، وأمر الحوت بأن يخرجه إلى الشاطئ.

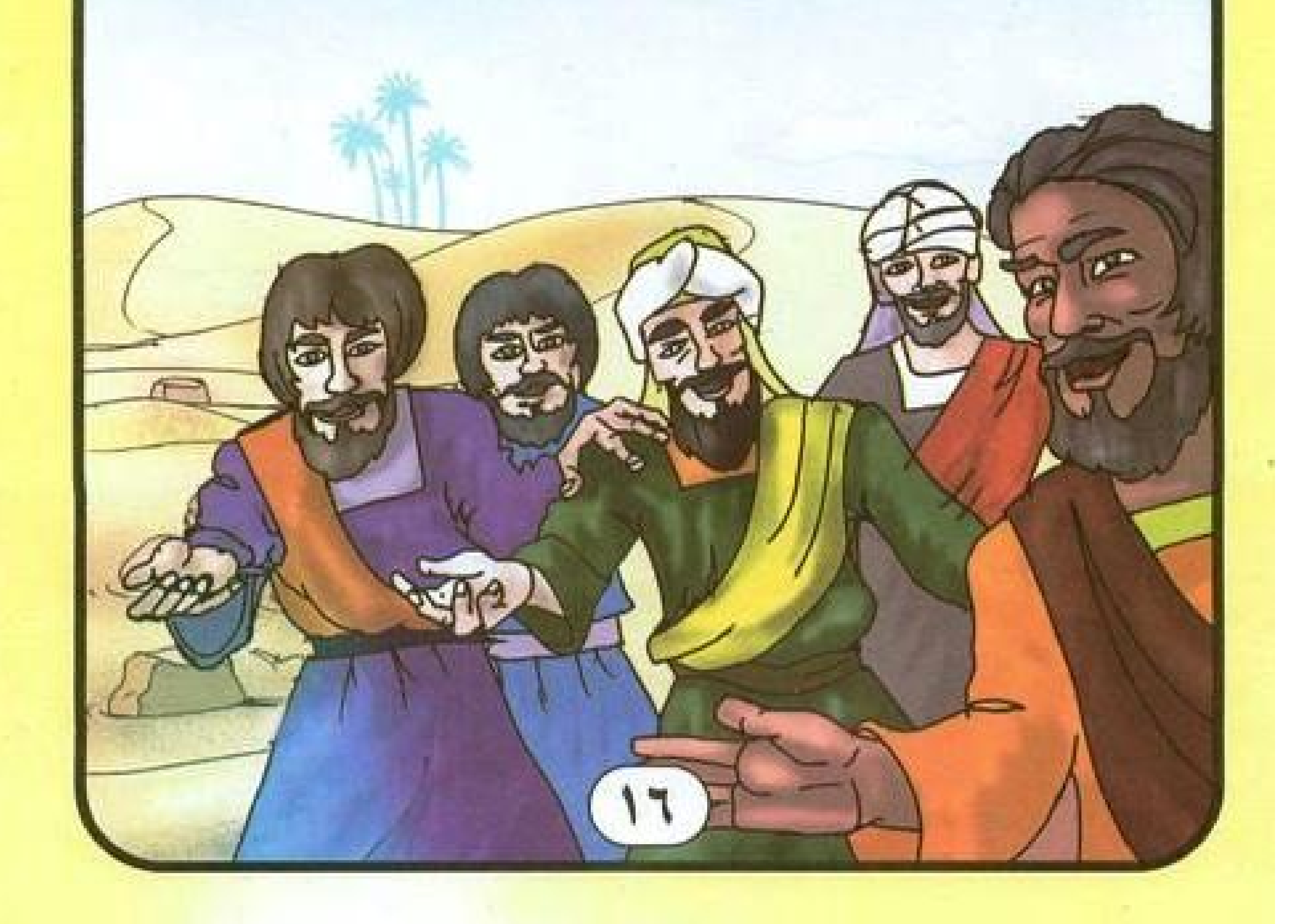
واتجه الحوت من جوف البحر حيث البرد إلى أعلى حيث دفء الشمس، وسار سريعاً حيث إحدى الجزر، وألقى يونس فيها، فكانت الشمس تلسع جسده بأشعتها، وكان يتألم من ذلك، لكنه شغل نفسه بذكر الله تعالى.

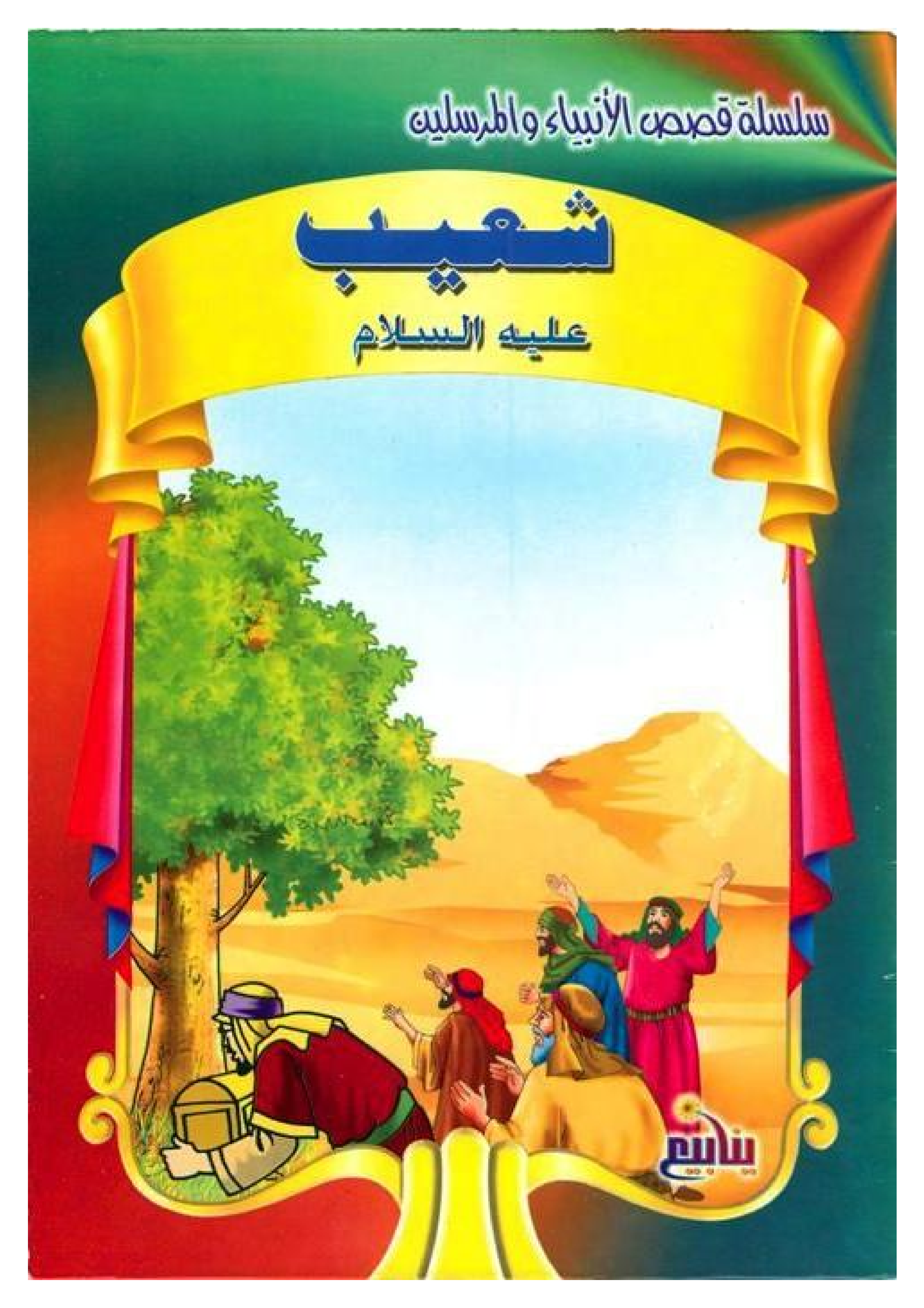


ومكث يونس -عليه السلام- فترة في هذه الجزيرة، حيث شمسها الجميلة، وقد أنبت الله تعالى شجرة من يقطين عليه، يستظل بظلها، حيث أوراقها العريضة، وأوحى الله تعالى إليه أنه قبل توبته برحمته، وبسبب تسبيحه له وهو في جوف الحوت، فحمد يونس الله تعالى على نعمه.

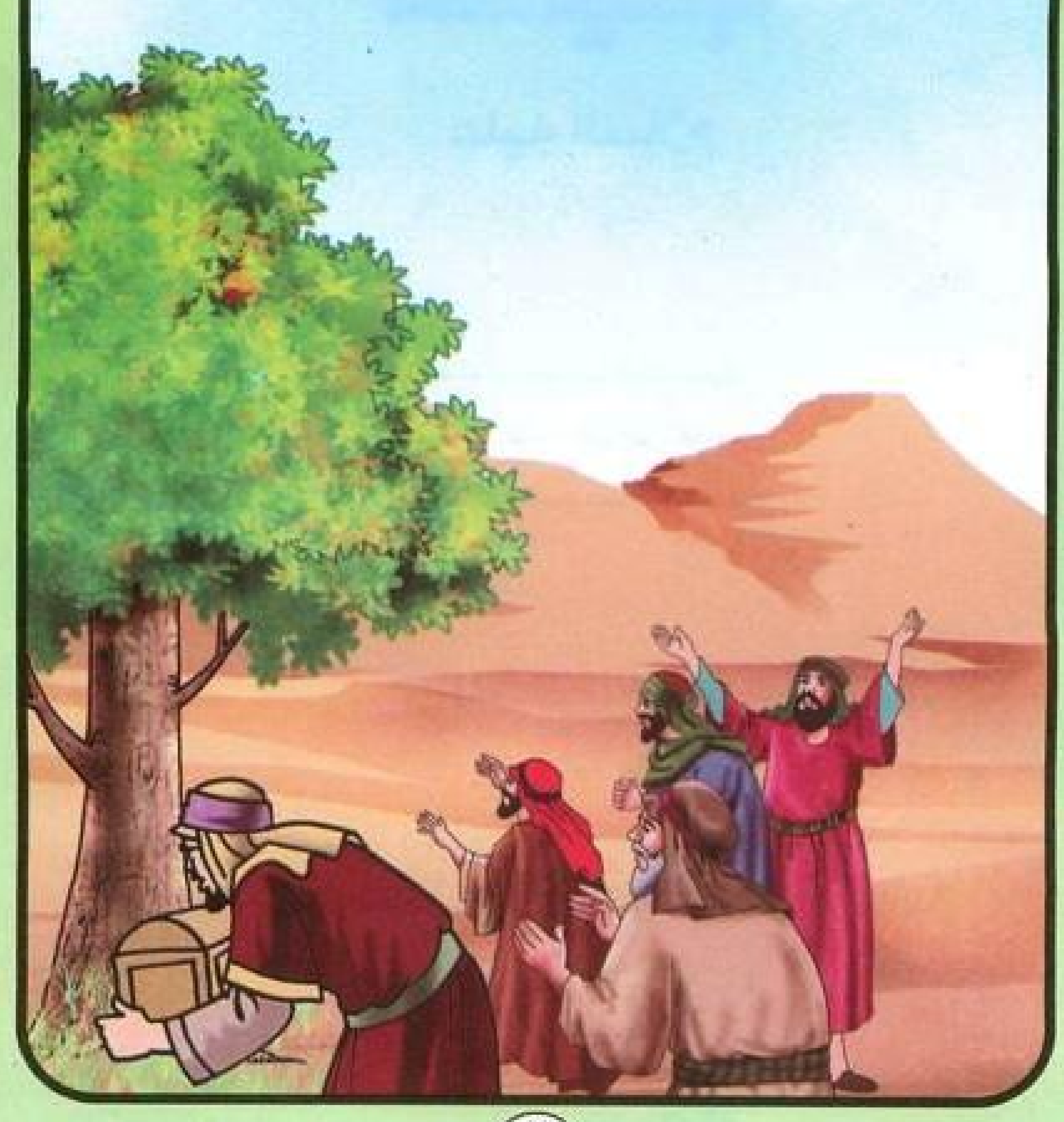


وعاد يونس -عليه السلام- إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، ففوجئ يونس أن قومه قد آمنوا جميعاً، فسجد شكراً لله تعالى، وعلم أن هذا كان درساً من الله تعالى له، فلما رآه قومه أقبلوا عليه يعتذرون إليه، من تأخرهم عن الإيمان بالله تعالى، وبشروه بأنهم خافوا عذاب الله، فآمنوا جميعاً، وحكى لهم يونس -عليه السلام- ماكان من شأنه مع السفينة والحوت.

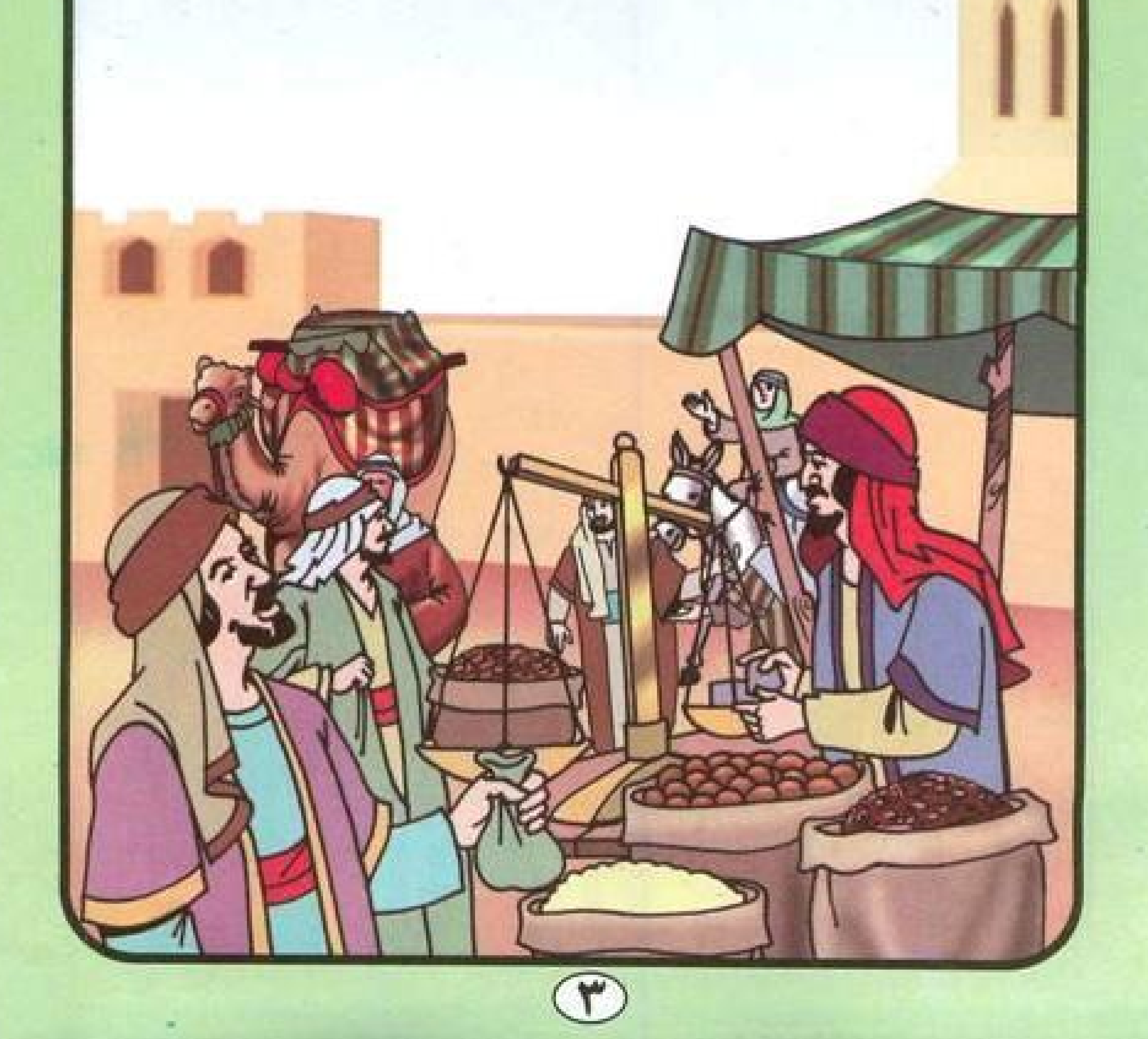



سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
شعيب
عليه السلام
ينابيع

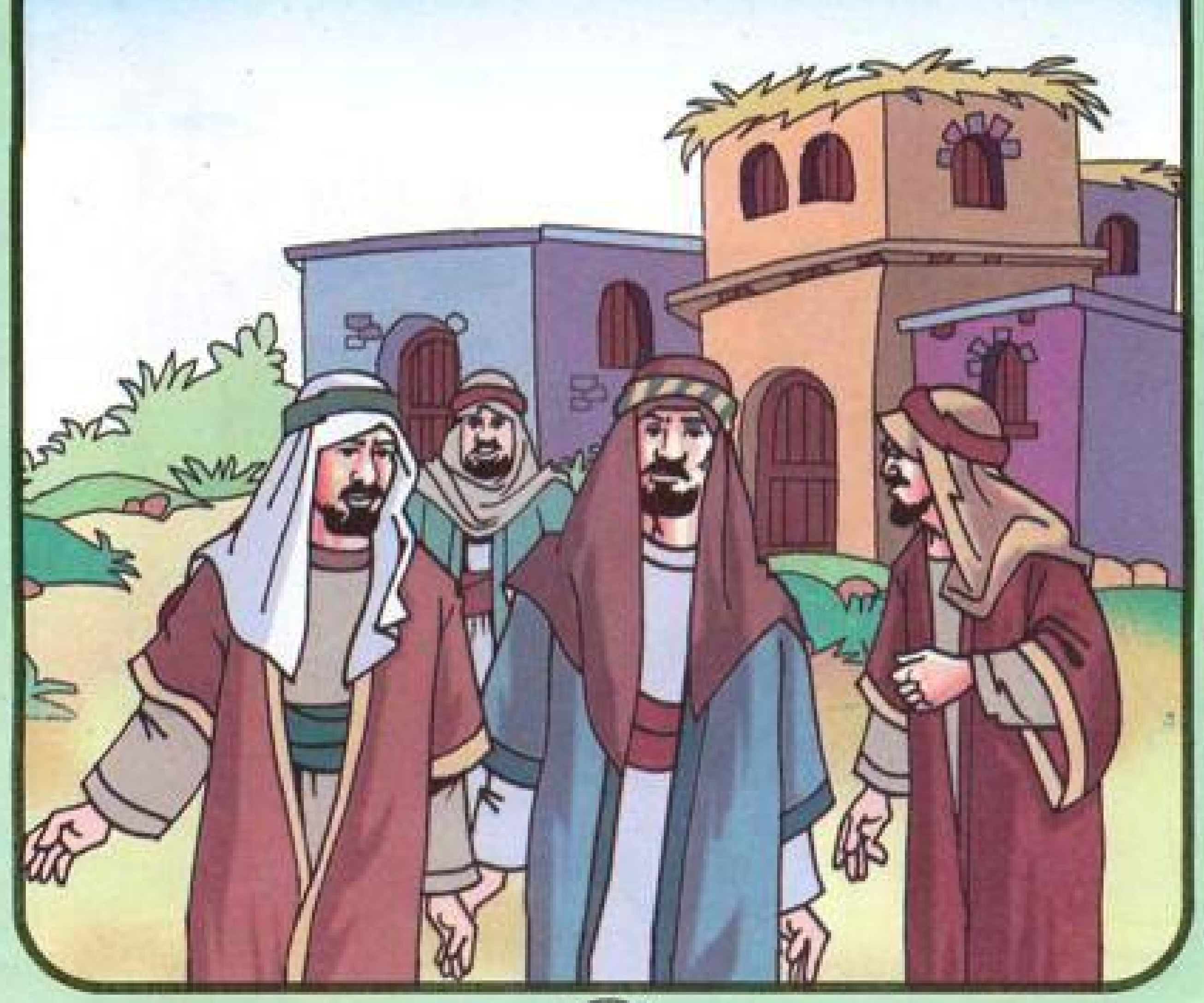
فى الزمن البعيد وفى بلاد الشام وبالتحديد فى دولة الأردن، عاش قوم مدين عيشة المتجبرين المستكبرين، فقد كان أهل مدين لا يعبدون الله الذى خلقهم، بل أشركوا بالله وعبدوا شجرة من دون الله، فكانوا يأتون إليها ويعبدونها ويقدمون لها القرابين ظنًا منهم أنهم على صواب.



ولم يكتف أهل مدين بشركهم بالله وكفرهم به بل كانوا يبخسون الناس حقوقهم فإذا اشتروا من الناس أخذوا حقهم كاملا دون نقصان، بل قد يأخذون زيادة عن حقهم، وإذا باعوا للناس شيئًا سرقوهم فى الكيل والميزان حتى اشتهروا بهذا الأمر بين الناس جميعًا.



كان من أهل مدين بعض العقلاء الذين يرفضون فى أنفسهم ما يفعل قومهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبوحوا بهذا أو يصرحوا به لأولئك الأشرار المفسدين، ولكنهم كانوا يتمنون أن يزول هذا الفساد من بينهم، وكان فرج الله تعالى أن أرسل من أهل مدين رجلاً صالحاً هو شعيب عليه السلام، ففرح هؤلاء العقلاء وآمنوا به.

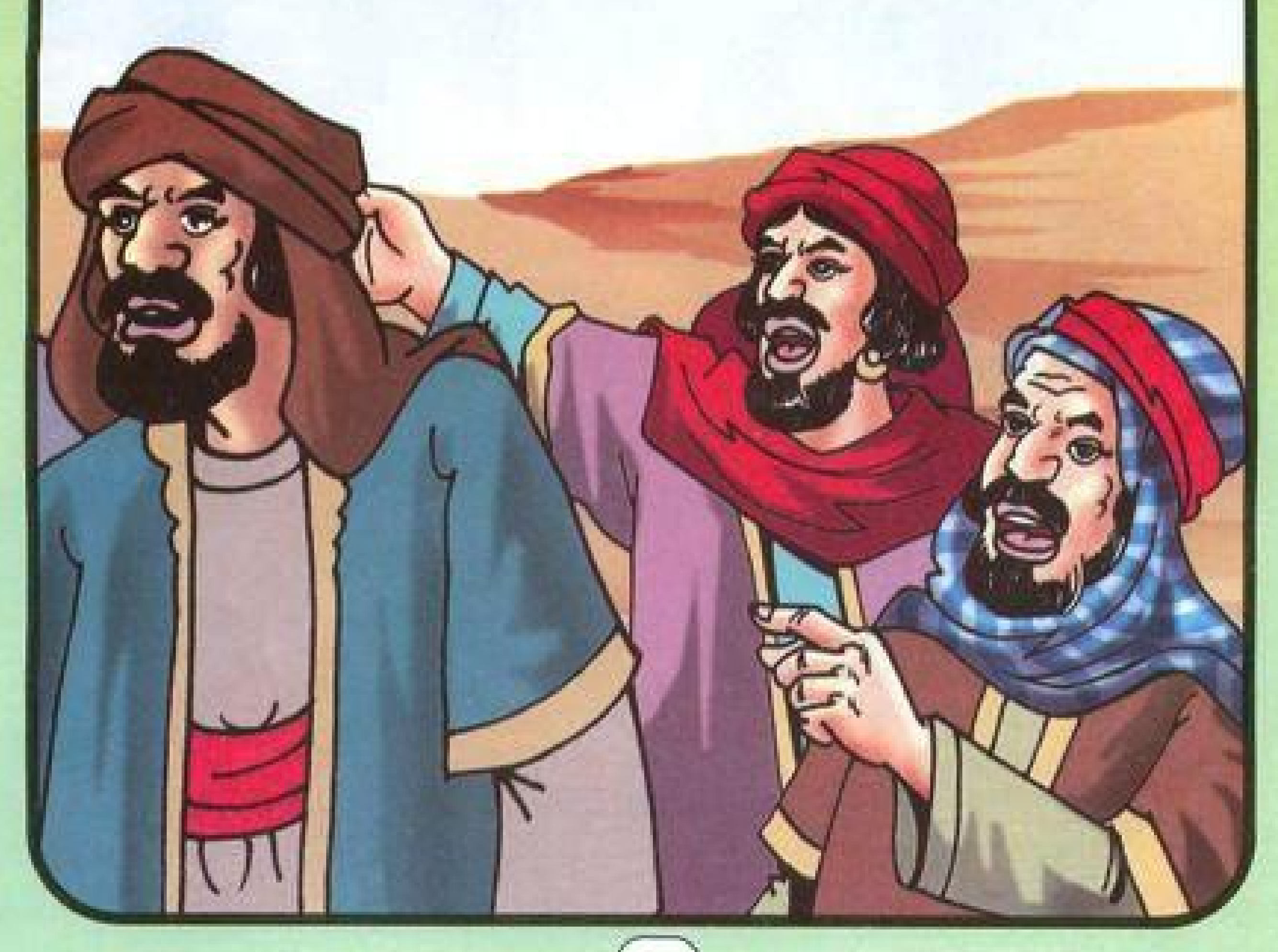


وبدأ شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى مكارم الأخلاق ويذكرهم بنعم الله عليهم، فقد كانوا قلة فكثرهم الله، وكانوا فقراء فأغناهم الله تعالى، فالواجب عليهم الإيمان بالله وترك عبادة هذه الأشجار، وألا يظلموا الناس في الكيل والميزان، ولكنهم أصروا على كفرهم.



وبدأ قوم شعيب يستهزئون به، فقالوا له: يا شعيب إنك تخلط بين الأمور، فإن صدقناك وآمنا بإلهك فما علاقة هذا بالكيل والميزان، إنه لابد من فصل العبادة عن الحياة والدين عن الدنيا.

ورد عليهم شعيباً عليه السلام: إن دين الله تعالى ينظم للإنسان حياته كما ينظم له عبادته، والذى أمر بالعبادة هو الذى أمر بالعدل ورفع الظلم.

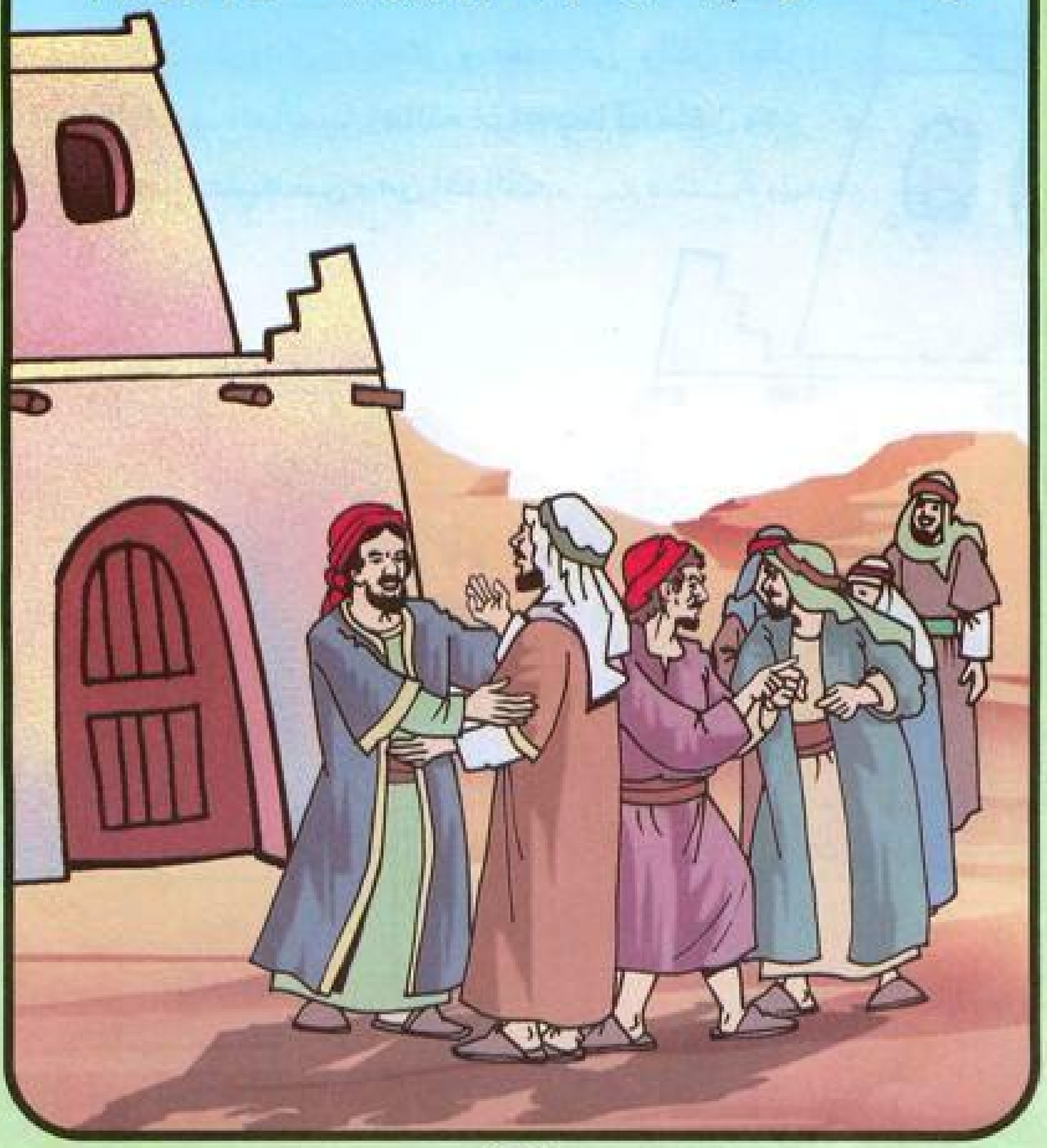


ولم يعجب كلام شعيب قومه، فقد عجزوا عن أن يغلبوه فى الحجة، فلجئوا إلى أسلوب آخر فقالوا: يا شعيب أنت إنسان ضعيف بيننا فلا تظن أنك تقدر علينا، واعلم أنه لولا قومك ومن اتبعك لحفرنا لك حفرة ورجمناك فيها، فلست بعزيز عندنا.

ولكن شعيباً عليه السلام كان حليماً فقال لهم: يا قوم لا تنظروا إلى رهطى وعشيرتى، ولكن انظروا إلى الله رب العالمين، فالله أعلم بما تعملون وهو لا يخفى عليه شىء من أفعالكم.



واغتاظ قوم شعيب من حلمه ورده المقنع فهم لا يستطيعون أن يردوا كلامه، فهم يسيئون اليه وهو حليم معهم فكانوا يوقفون بعض الرجال منهم أمام بيت شعيب فمن أراد أن يذهب إليه ليسمع منه ويؤمن به يمنعونهم من الوصول إليه فحذرهم شعيب عليه السلام عقاب الله وعذابه من الصد عن سبيله، ولكنهم لم يأبهوا بما كان يقول لهم.



وجلس قوم شعيب يفكرون في شيء يردون به شعيباً وما يدعو إليه، وبتفكير عميق اقترح أحدهم أن يذهبوا لشعيب عليه السلام وأن يهددوه بالطرد من بلادهم إن لم يكف عن دعوته، وذهبوا إلى شعيب عليه السلام فوجدوا المؤمنين معه.

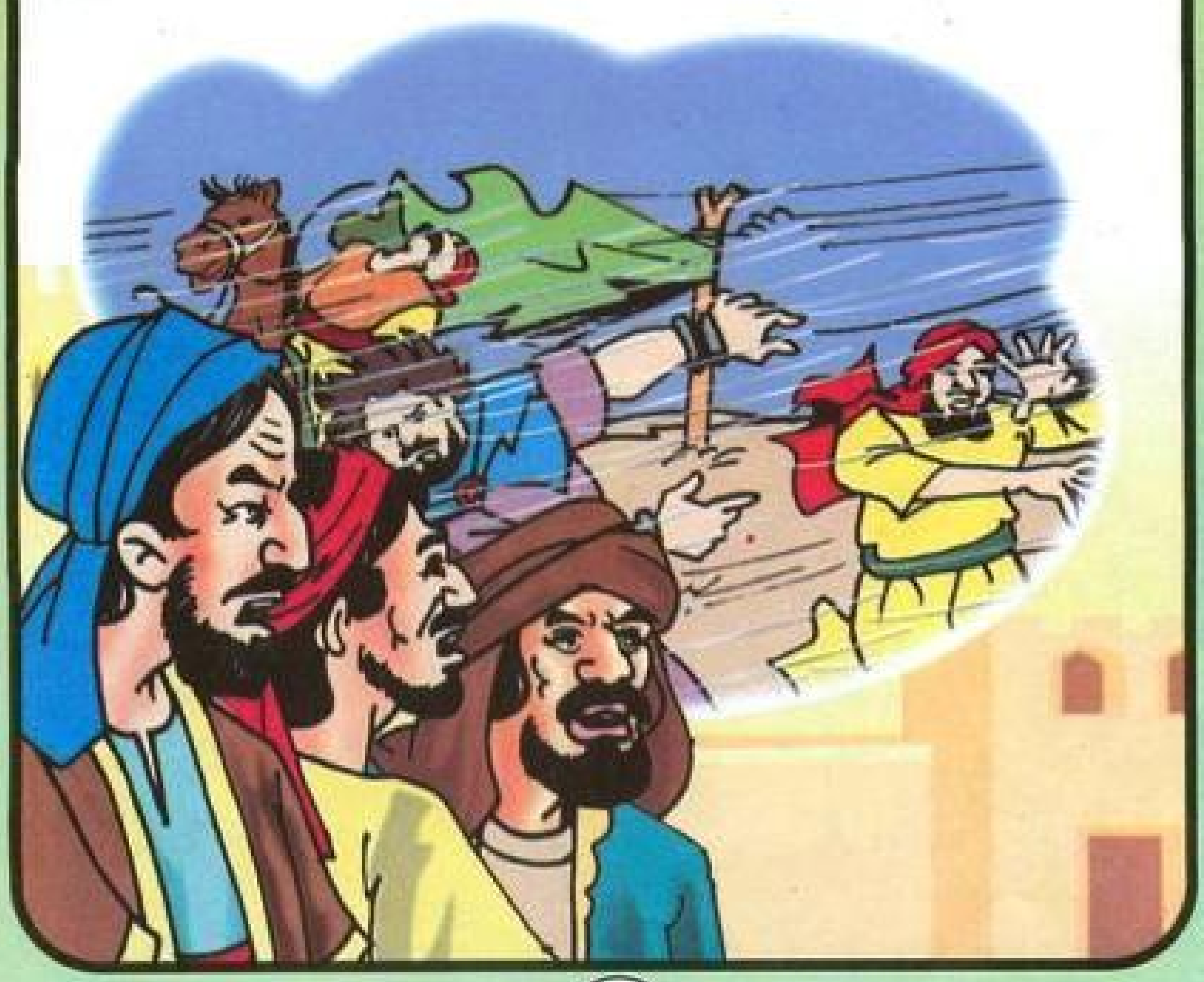
فقالوا لهم: اسمع يا شعيب أنت ومن معك، إما أن تعودوا إلى ديننا أو نطردكم من أرضنا وديارنا.

فرد عليهم شعيب عليه السلام بأنهم من أرض واحدة ومن وطن واحد، وأنه يدعوهم خوفاً عليهم وشفقة بهم من عذاب الله، فلم يستطيعوا أن يقولوا له شيئاً.



ومكث شعيب عليه السلام مع المؤمنين يفكر كيف يدعو قومه الذين صدوا عن سبيل الله، ثم ذهب إليهم هو والمومنون معه وقال لهم: يا قومى وأهلى وعشيرتى، إنى ما أفعل هذا طلباً للدنيا، ولكن خوفاً عليكم من عذاب الله، وإن لم تصدقونى فانظروا إلى مصير الأمم التى كذبت دعوة الله، فتذكروا مصير قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، وأقرب نموذج إليكم قوم لوط، تذكَّروا ما فعل الله بهم.

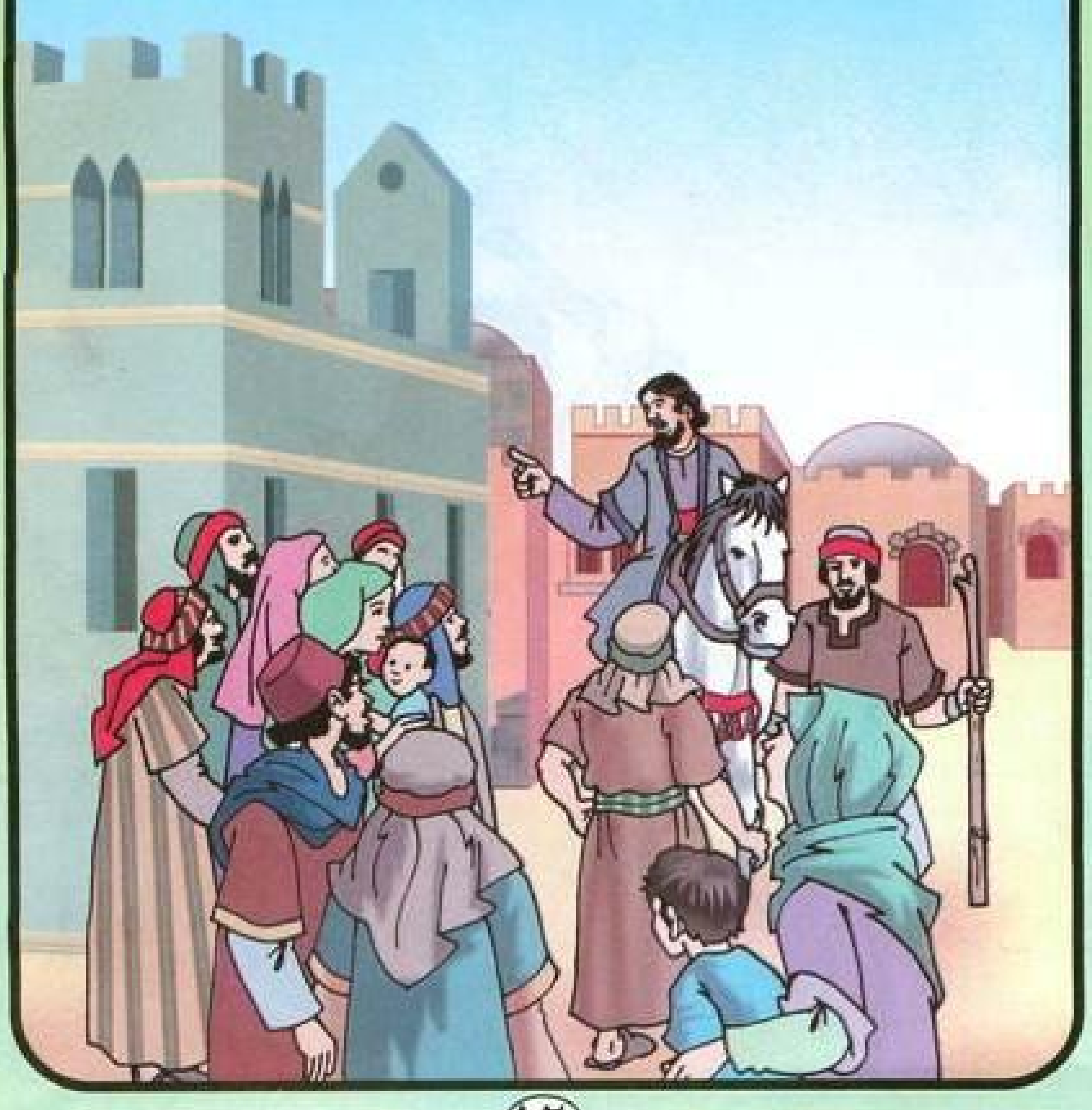
ولكن المشركين من قوم شعيب لم يستجيبوا لنصحه.



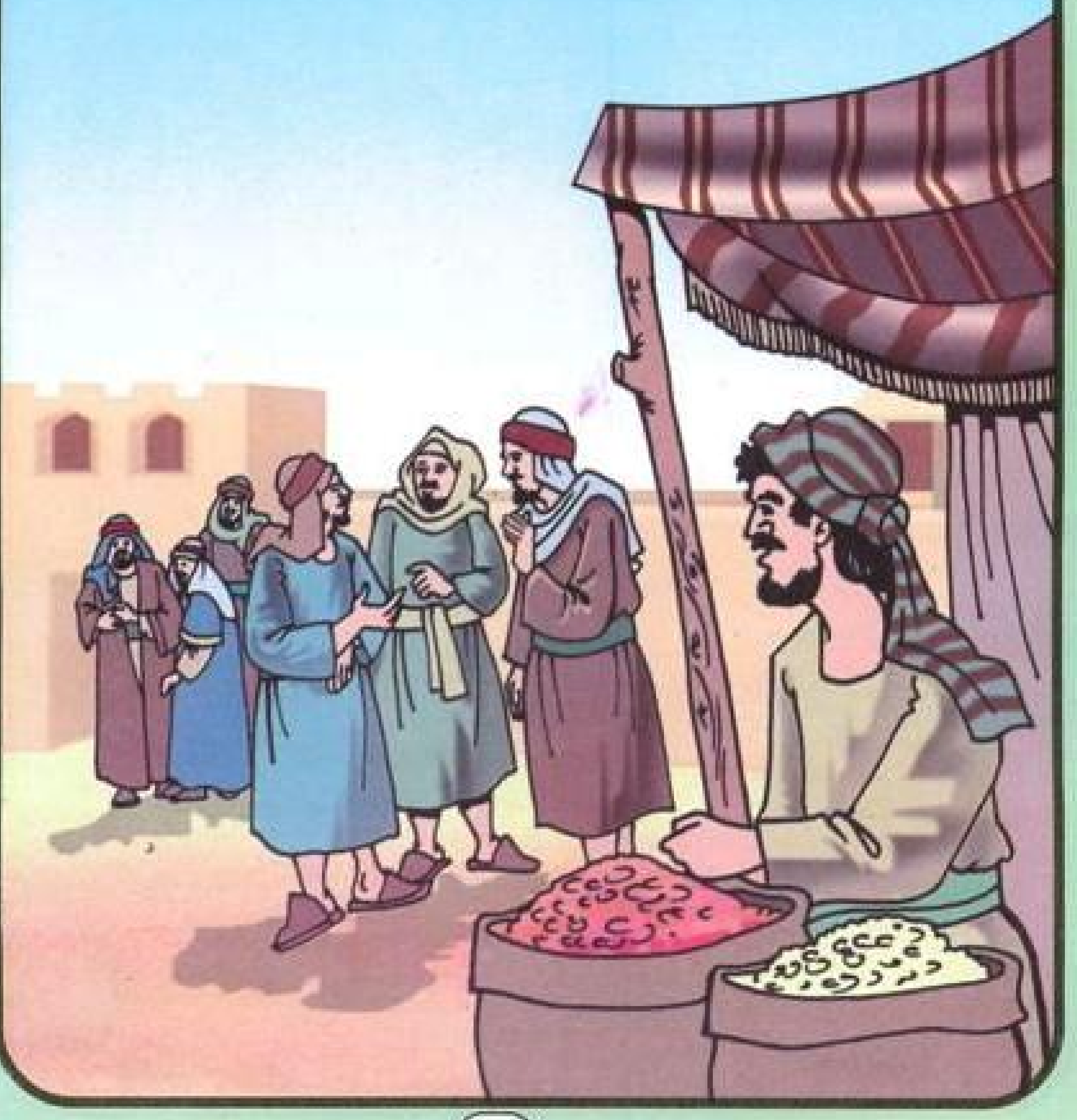
وذهب جماعة من المؤمنين إلى قومهم من أهل مدين يذكِّرونهم بما قاله لهم شعيب عليه السلام، وأنه حريص عليهم، رحيم بهم، شفوقٌ عليهم، ولكنهم لم يسمعوا كلامه، بل قاموا عليهم ضربًا وتعذيبًا حتى أبعدوهم عن مكانهم وأحسوا بالاستياء مما يصنع شعيب والمؤمنون معه.



وفكر أهل مدين فى شىء يجعل الناس لا تؤمن بشعيب، فكل يوم يؤمن به بعض منهم، فأخذوا يطوفون بالشوارع والأسواق يكلمون الناس بأن شعيباً ساحر يفرق بين الابن وأبيه وبين الزوجة وزوجها وأنه يكذب عليهم وأن كل ما يقوله هو من عند نفسه، وأنه يريد أن تكون له الزعامة لأنه سيحرمهم من الكسب الذى يكسبونه إن استمعوا إلى كلامه.



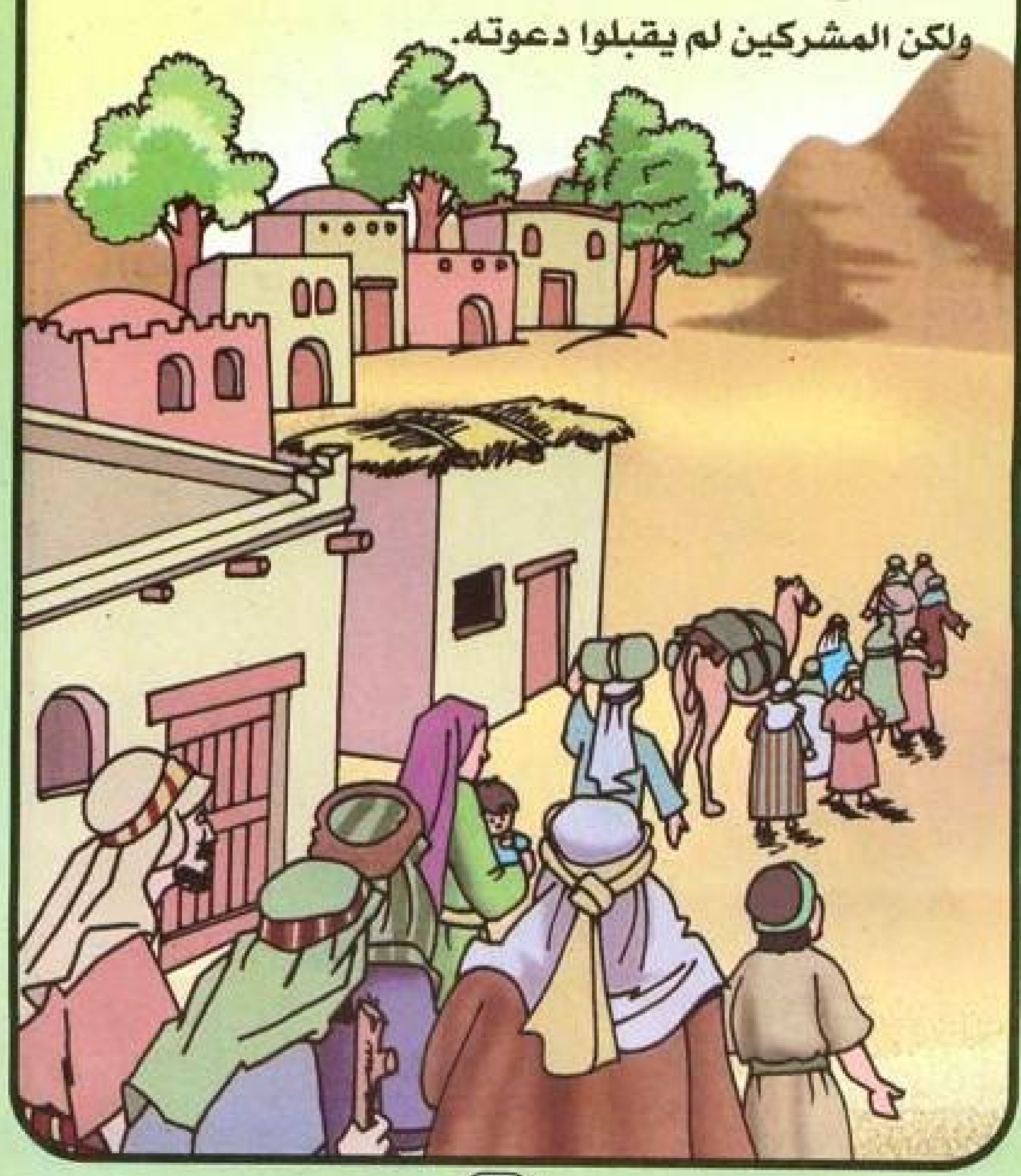
ولكن ما فعله قوم شعيب ما زاد الناس إلا حبًا فى شعيب عليه السلام، فإنهم يعرفونه، فهو حسَن الخلق، كريم الصفات، فتحادثوا فيما بينهم أن الكبراء والسادة يكرهون دعوة الله خوفًا على أموالهم وخوفًا على تجارتهم، فقد كان الفقراء يشعرون بالظلم والاضطهاد.



واستاء أهل مدين من شعيب عليه السلام، وكرهوا التهديد بالعذاب، وذهبوا إلى شعيب عليه السلام وقالوا له: يا شعيب لا تهددنا، ولا تخوفنا، إن كنت صادقاً فأنزل علينا عذاب الله وعقابه، فإن قدرت فأنزل علينا كسفاً من السماء.

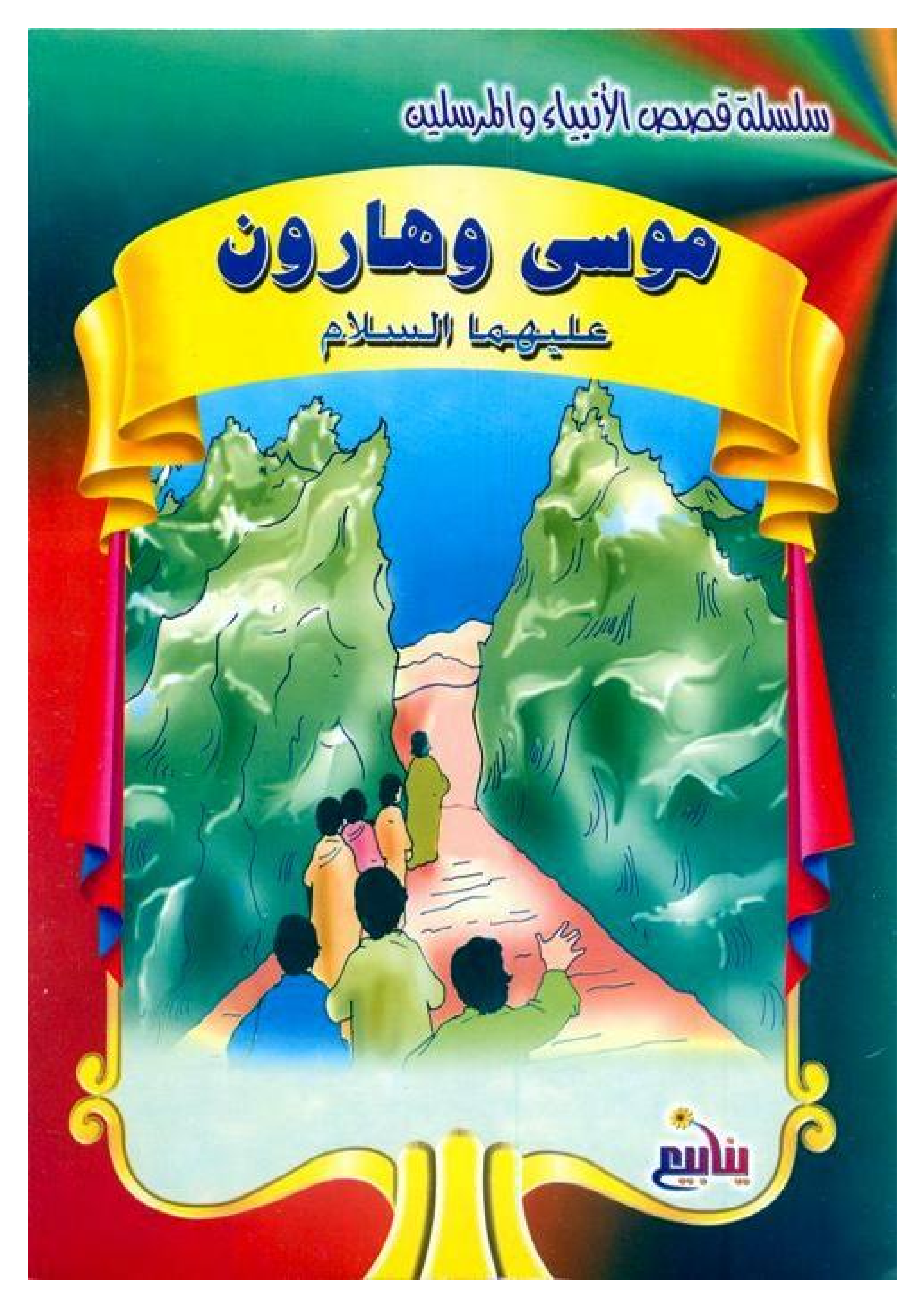
فحذرهم شعيب عليه السلام من عاقبة قولهم، ولكنهم أصروا على قولهم.

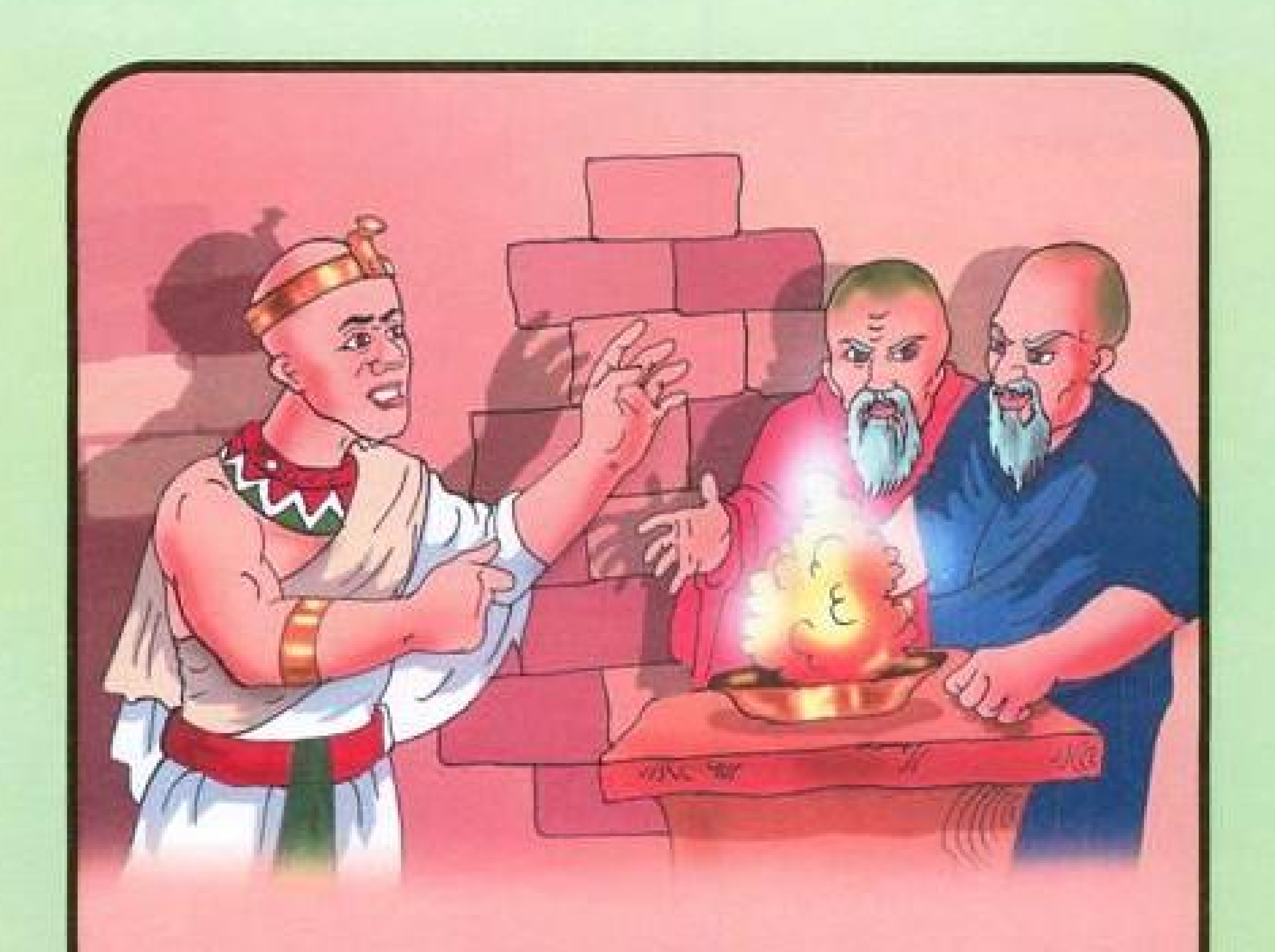
وأمر الله تعالى شعيباً عليه السلام أن يخرج بالمؤمنين من هذه القرية لأن العذاب سيحل عليهم، ورحل شعيب والمؤمنون من أهل مدين حتى يكونوا بمأمن من عذاب الله، وما خرج معه إلا المؤمنون، وقد أنذرهم نبيهم عذاب الله وأنه واقع لا محالة، فمن أراد النجاة فليؤمن وليخرج معه، ولكن المشركين لم يقبلوا دعوته.



وابتلى الله أهلِ مدين بعد خروج شعيب عليه السلام والمؤمنين بحرٍ شديدٍ لا يروى ظمأهم الماء ولا تمنعهم ظلال البيوت والأشجار شدة الحر، ففروا هاربين، فرأوا سحابة فى السماء فظنوا أنها مطر سينزل عليهم، ولكنها كانت صيحة من السماء زلزلت الأرض من تحت أقدامهم وأهلكتهم جميعاً، ونظر شعيب عليه السلام وهو حزين على قومه أنهم لم يؤمنوا بالله، ولكن هذه كانت عاقبة من لا يؤمن بالله تعالى.



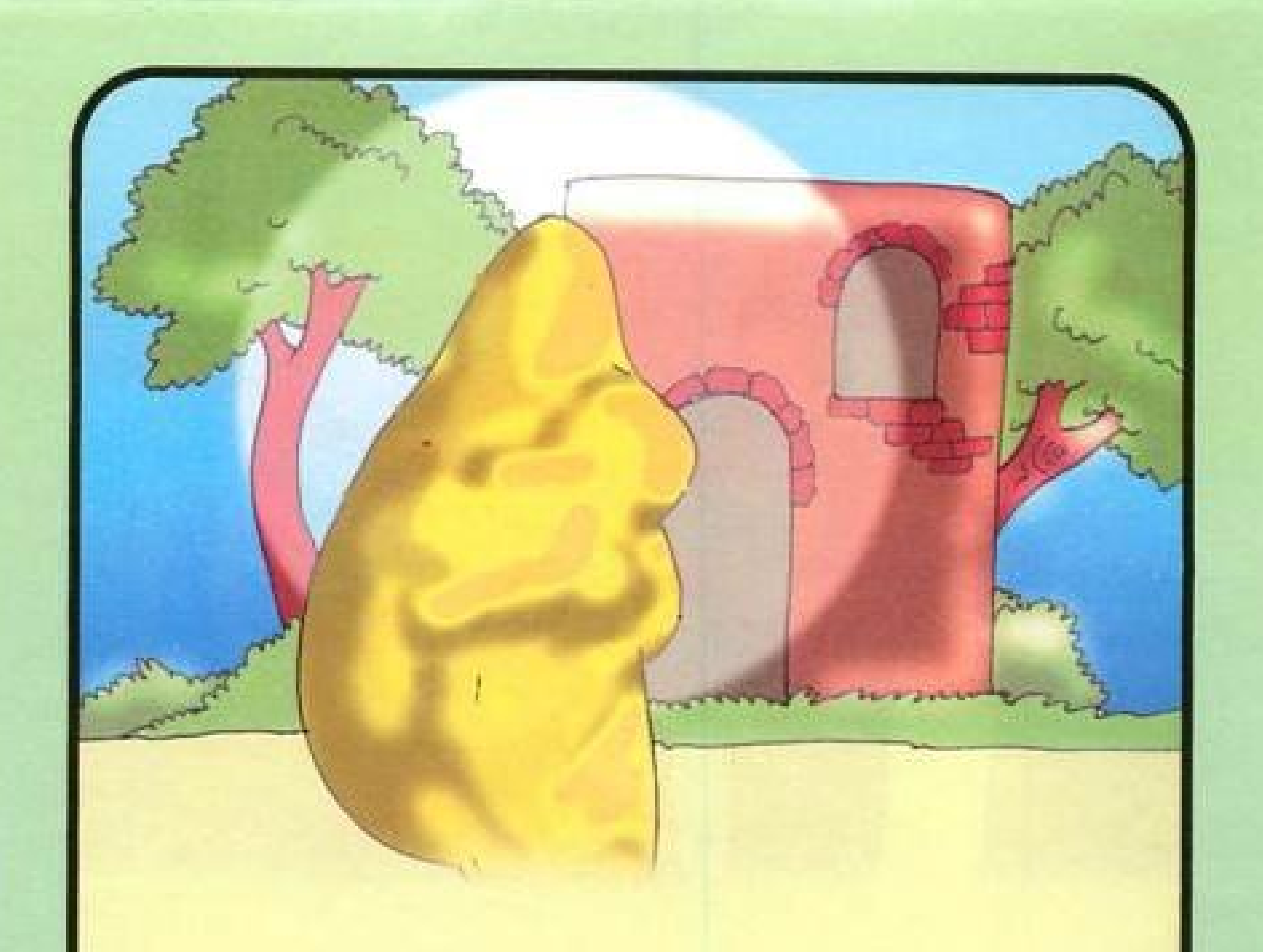

سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
موسى وهارون
عليهما السلام
ينابيع



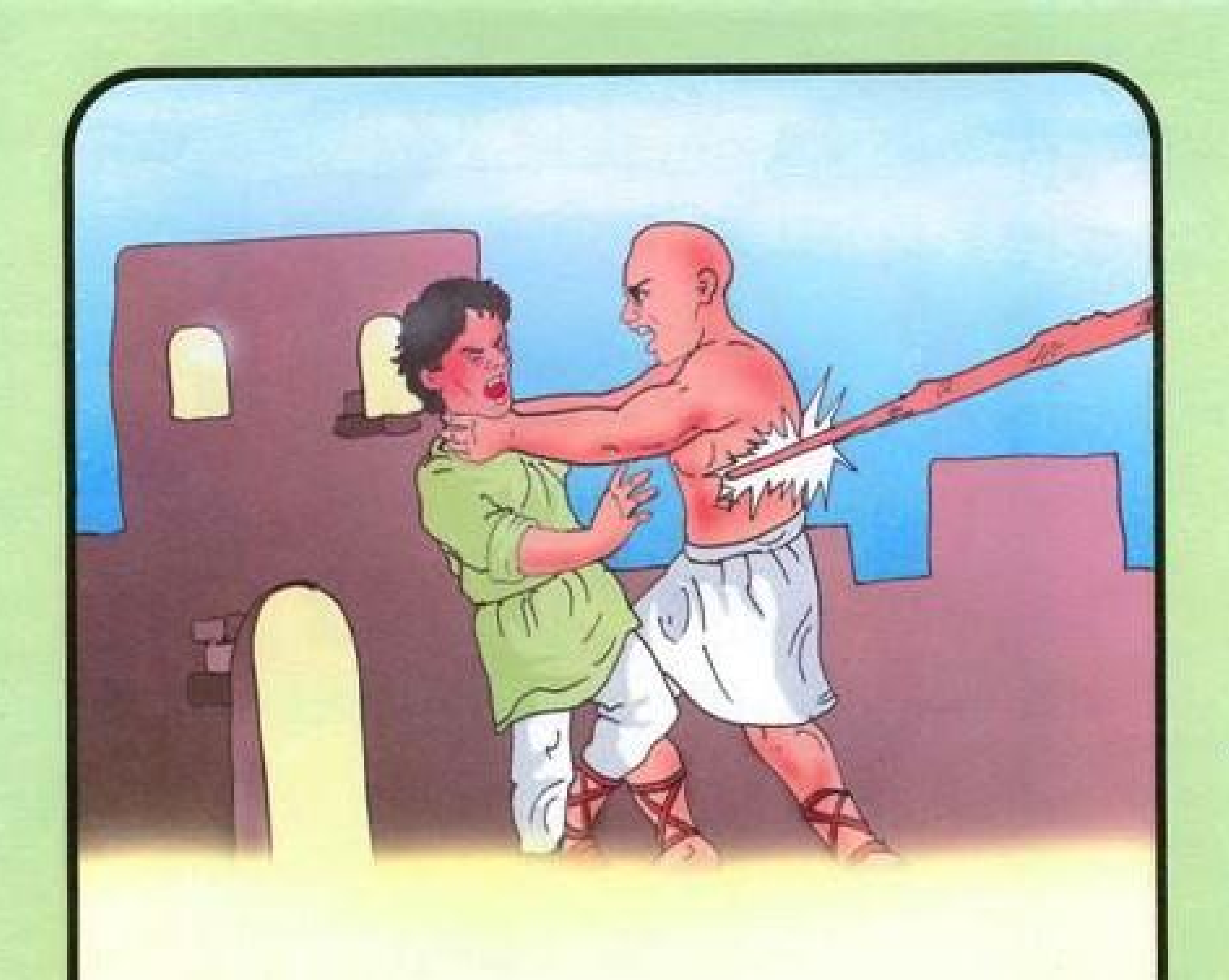
في ليلة من الليالي رأى فرعون ناراً تأكل ملكه، وتقتل شعبه، وهي آتية من ناحية بيوت بني إسرائيل، فقام فرعون من نومه فزعاً واستدعى السحرة والكهنة وقص عليهم ما رأى، فأخبروه أن تأويل هذه الرؤيا أنه سيولد في بني إسرائيل غلام يكون ذهاب ملكك وهلاكك على يديه. فأمر فرعون بقتل كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل.



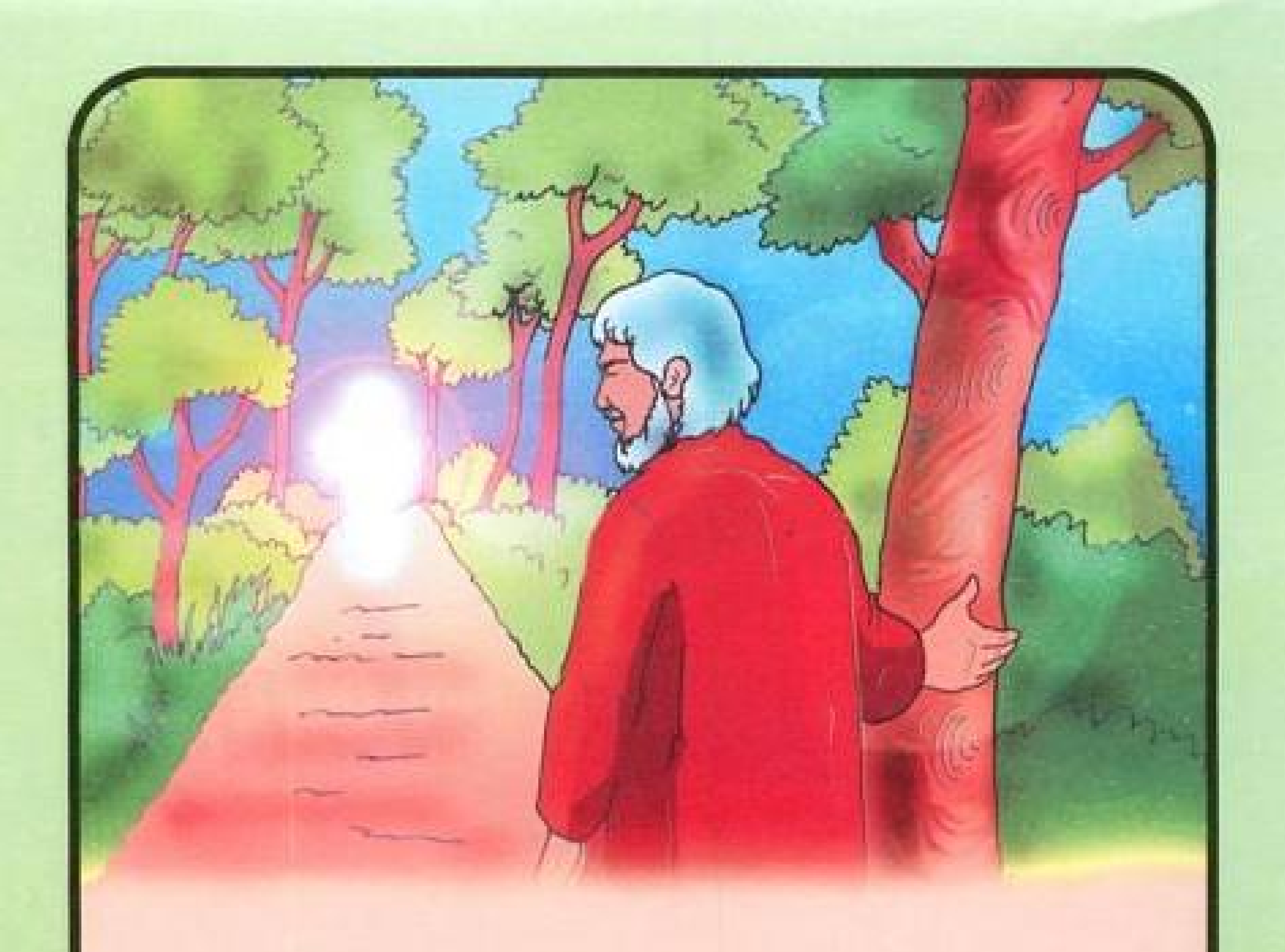
كانت امرأة عمران حاملا بنبى الله موسى، فلما علمت بما عزم عليه فرعون من قتل أطفال بنى إسرائيل أخفت حملها، فكانت لا تظهر لأحد حتى لا يعلم أحد بحملها، وأتمت امرأة عمران حملها، وجاء وقت الوضع، فأنجبت موسى عليه السلام فى السر، وحفظه الله، فلم يعلم جنود فرعون بهذه الولادة، وقذف الله فى قلب أم موسى أن تضعه فى صندوق وتربطه فى حديد ببيتها وتلقيه فى النهر حتى لا يراه أحد، وترضعه كل فترة، وكان بيتها يطل على النهر.



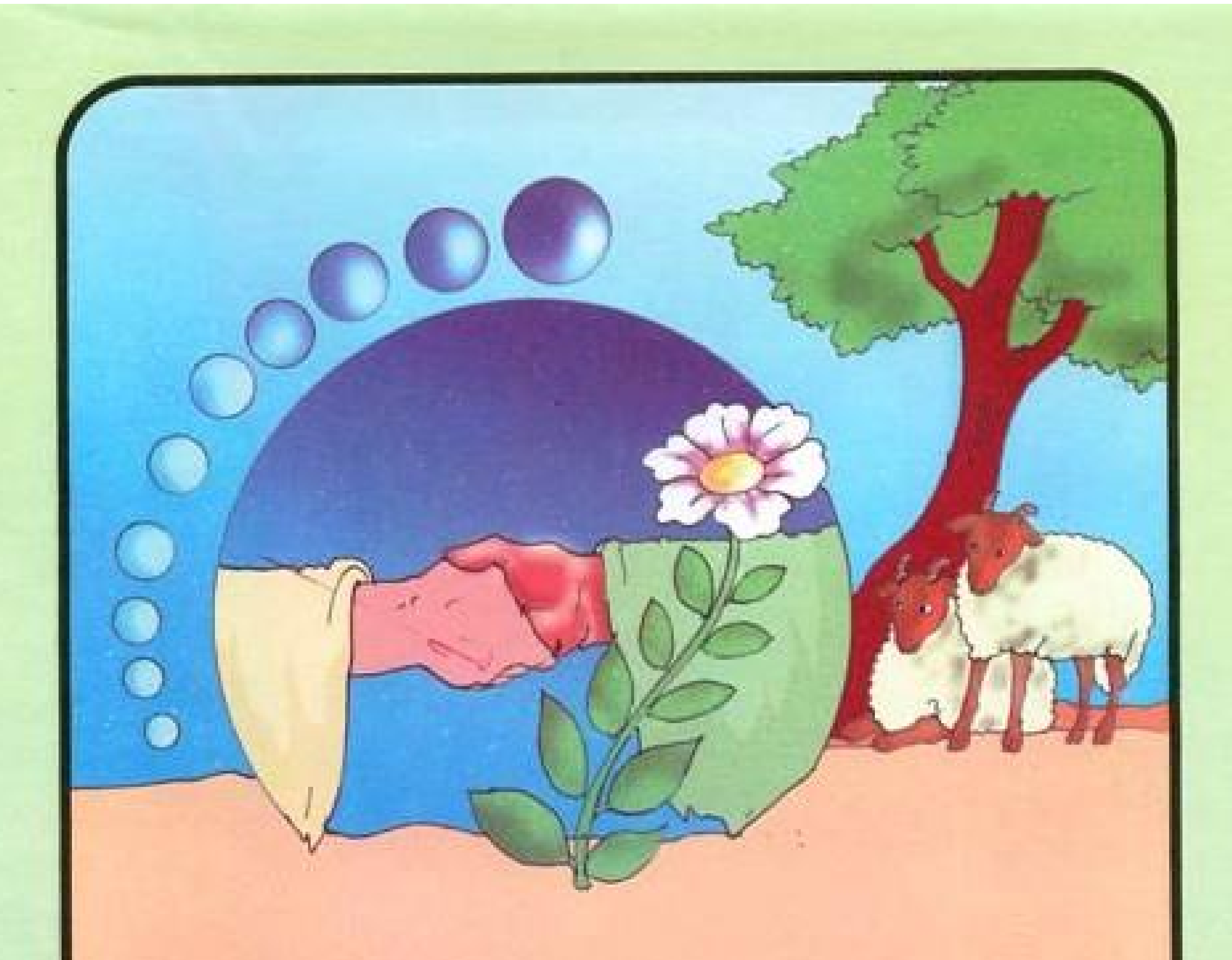
وفى يوم من الأيام خرجت أم موسى لترضع ابنها فلم تجد الصندوق الذى وضعته فيه، فقد انقطع الحبل، وجرى الصندوق فى النهر حتى رآه جنود فرعون فأخذوه، فلما رأته امرأة فرعون قررت أن تأخذه، ولكن موسى عليه السلام رفض أن يرضع من المرضعات، وعلمت أخت موسى عليه السلام بخبر أخيها، فقالت لامرأة فرعون: أنا أعرف من يرضع هذا الطفل، فدلتها على أم موسى .. وطلبت أم موسى من امرأة فرعون أن تأخذ الطفل معها فى بيتها لترضعه فوافقت امرأة فرعون، وعاد موسى إلى أمه دون خوف أن يقتله فرعون.



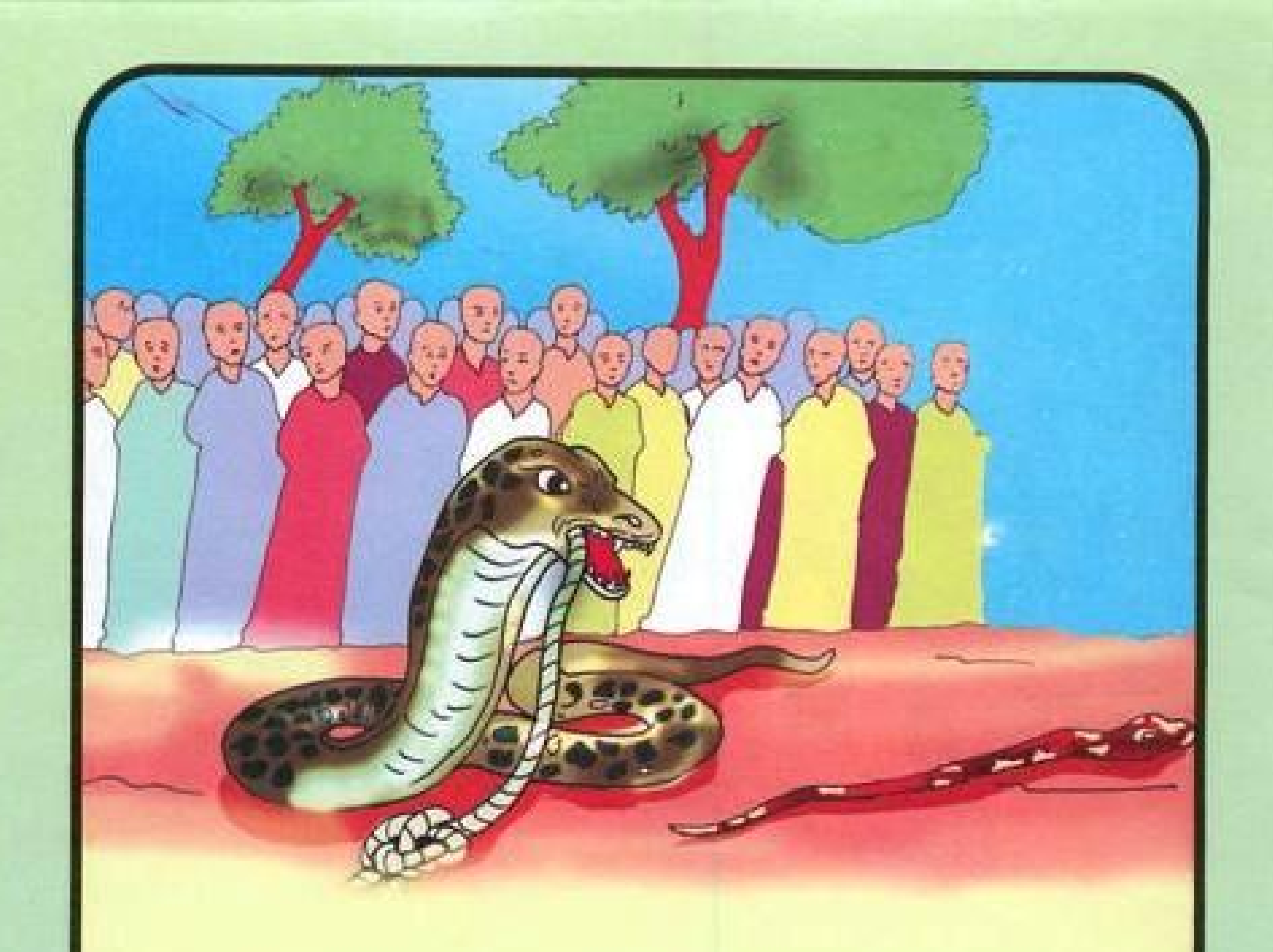
كبر موسى عليه السلام وأصبح شاباً قوياً، وكان موسى عليه السلام لا يحب الظلم، ففى يوم من الأيام رأى رجلين يتعاركان، أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من جنود فرعون، فدفع موسى عليه السلام الجندى فوقع ميتاً دون أن يقصد موسى عليه السلام، فقد أراد فقط أن يبعده عن الرجل، وطار خبر مقتل الجندى وأن موسى هو الذى قتله، فقرر فرعون والملأ من قومه أن يُقتل موسى عليه السلام جزاء ما فعل.



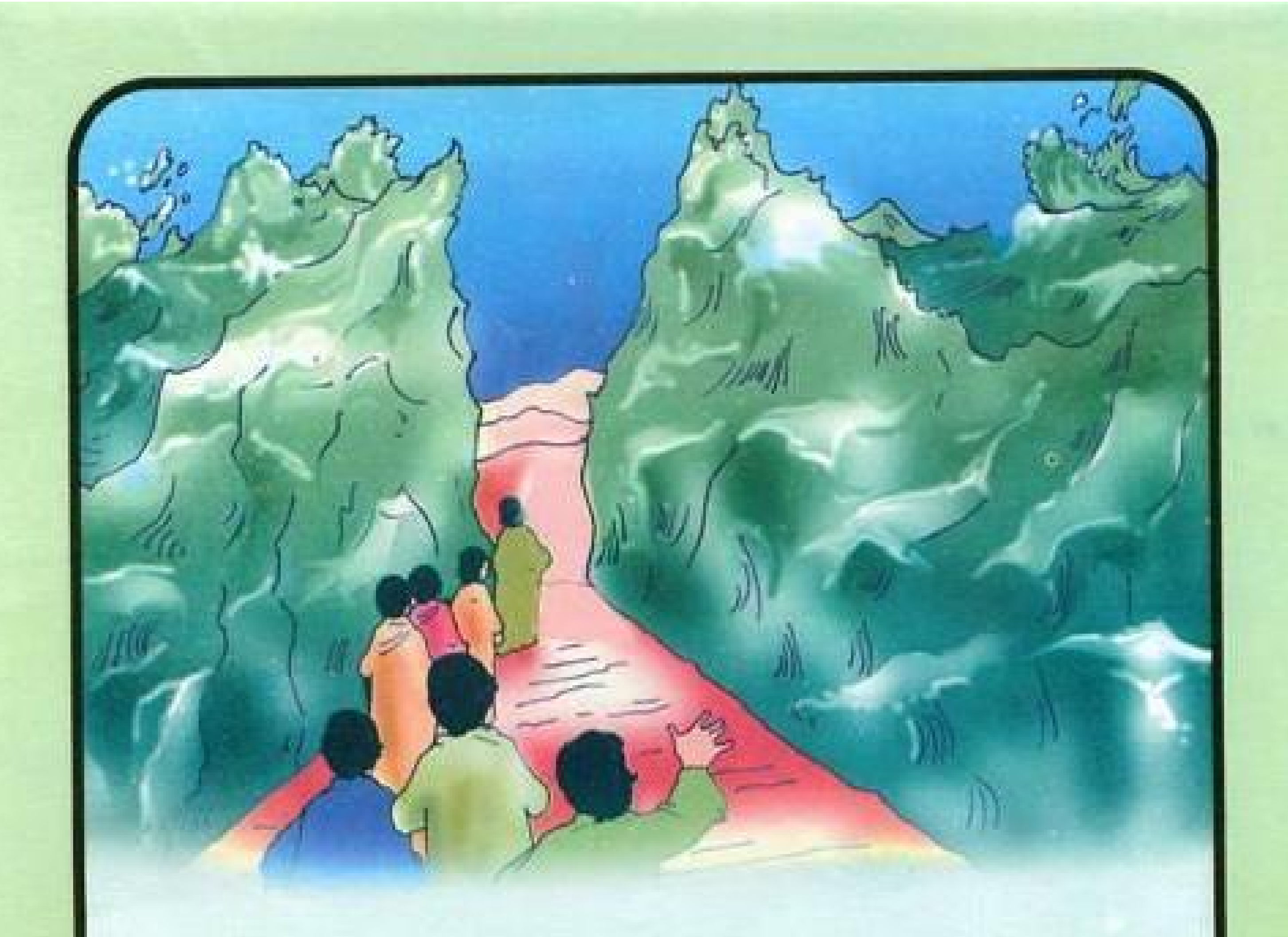
وكان من بين ملأ فرعون رجل عَرف بنية فرعون لقتل موسى، أسرع إلى موسى فى آخر المدينة وقال له: يا موسى أخرج من مصر، فإن فرعون وجنوده قد أصدروا حكماً بقتلك وأنا جئت أحذرك، وأقدم لك النصيحة، فقرر موسى عليه السلام الهروب من مصر، فخرج موسى عليه السلام فى حذر خائفاً أن يلحقه أحد من جنود فرعون حتى وصل إلى مدينة مدين فى فلسطين.



دخل موسى مدينة مدين فوجد على مشارف المدينة أناسا يسقون الإبل والأغنام، ولكنه لاحظ فتاتين، فعلم أن هاتين الفتاتين تنتظران أن ينتهى الرعاة من السقى ثم يقمن بالسقى، خوفا من الاختلاط بالرجال، فأخذ موسى عليه السلام أغنامهما وسقى لهما، فلما عادت الفتاتان إلى البيت وقصتا على أبيهما ما حدث، طلب أبوهما موسى واتفق معه أن يعمل أجيراً عنده عشر سنوات مقابل أن يتزوج إحدى ابنتيه، فوافق موسى وعاش فى مدين عشر سنين، ثم قرر العودة إلى مصر، فلما وصل إلى جبل الطور ناداه الله وأعلمه أنه اختاره نبيا لبنى إسرائيل.

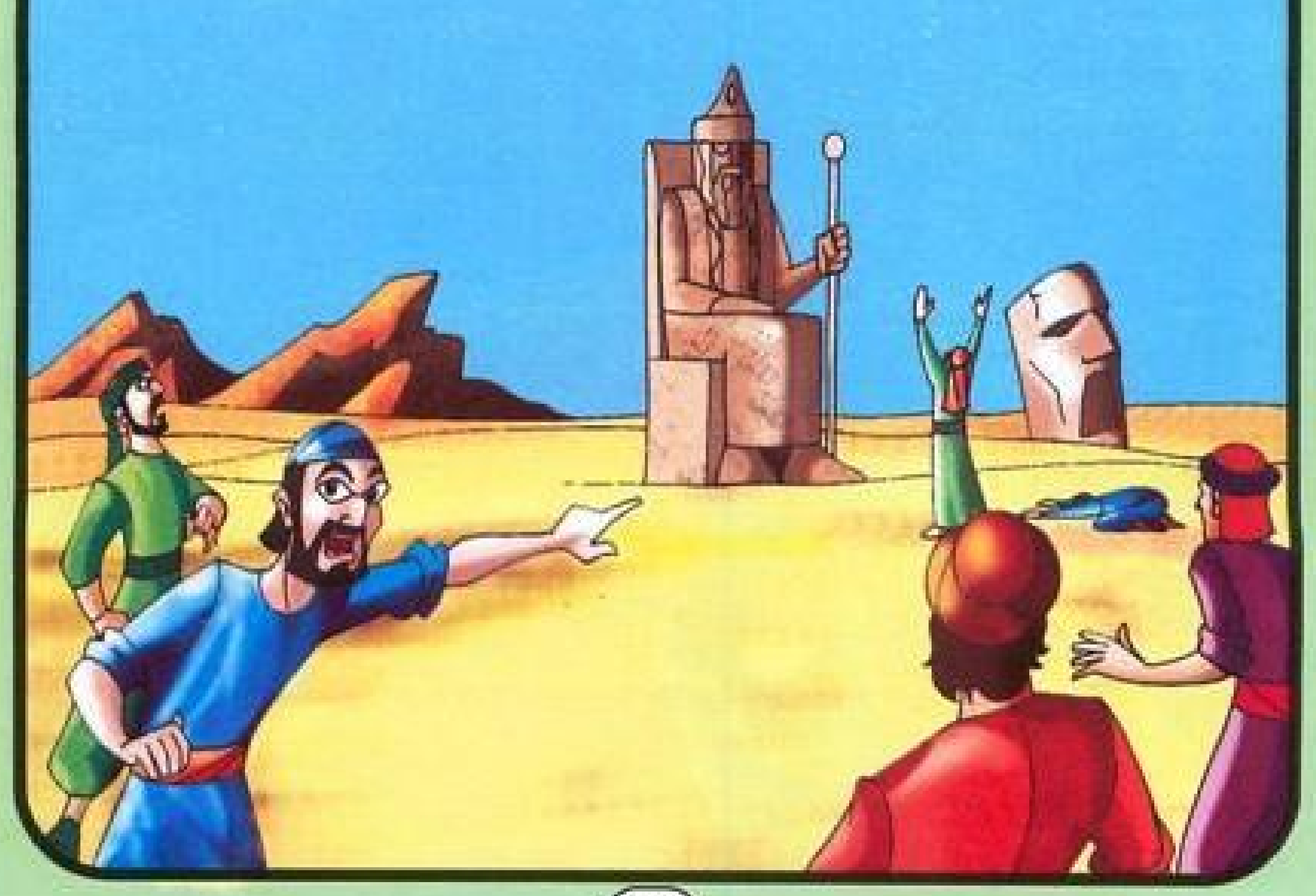


وعاد موسى عليه السلام يدعو فرعون وأهل مصر إلى توحيد الله، لكن فرعون رفض دعوة موسى واتهمه بالسحر، ثم أمر بجمع كل سحرة مصر لكى يتحدوا موسى، واجتمع الناس والسحرة فى مكان كبير، وجاء موسى وأخوه هارون، وبدأ السحرة يزينون للناس الأشياء حتى ظن الناس أن عصيان السحرة أصبحت ثعابين وحيات، وهنا أوحى الله لموسى عليه السلام أن يرمى عصاه على الأرض، فلما وقعت عصا موسى على الأرض التقمت كل عصيان السحرة، فآمن السحرة بالله، فعذبهم فرعون حتى ماتوا.



وأمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالخروج ببنى إسرائيل من مصر، ولما اقترب موسى من البحر خاف بنو إسرائيل أن يلحق بهم فرعون وجنوده، أو أن يغرقوا، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فلما فعل موسى ذلك شق الله تعالى البحر إلى ممرات، فعبر فيها بنو إسرائيل البحر، فلما رأى فرعون هذه الطرق مشى فيها هو وجنوده، فأغرقهم الله، ونجى الله موسى ومن معه.

ولما نجى الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، وعبر ببنى إسرائيل البحر وجدوا أناساً يعبدون أصناما، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً نعبده كما يفعل هؤلاء الناس، فغضب نبى الله موسى من بنى إسرائيل، وعرَّفهم بربه تعالى الذى يعبده، وأنه هو الذى أرسله إليهم ، وانه سبحانه وتعالى ليس مخلوقا، بل هو خالق كل شىء، وأن هذه الآلهة التى يعبدها الناس لا تنفع ولا تضر.



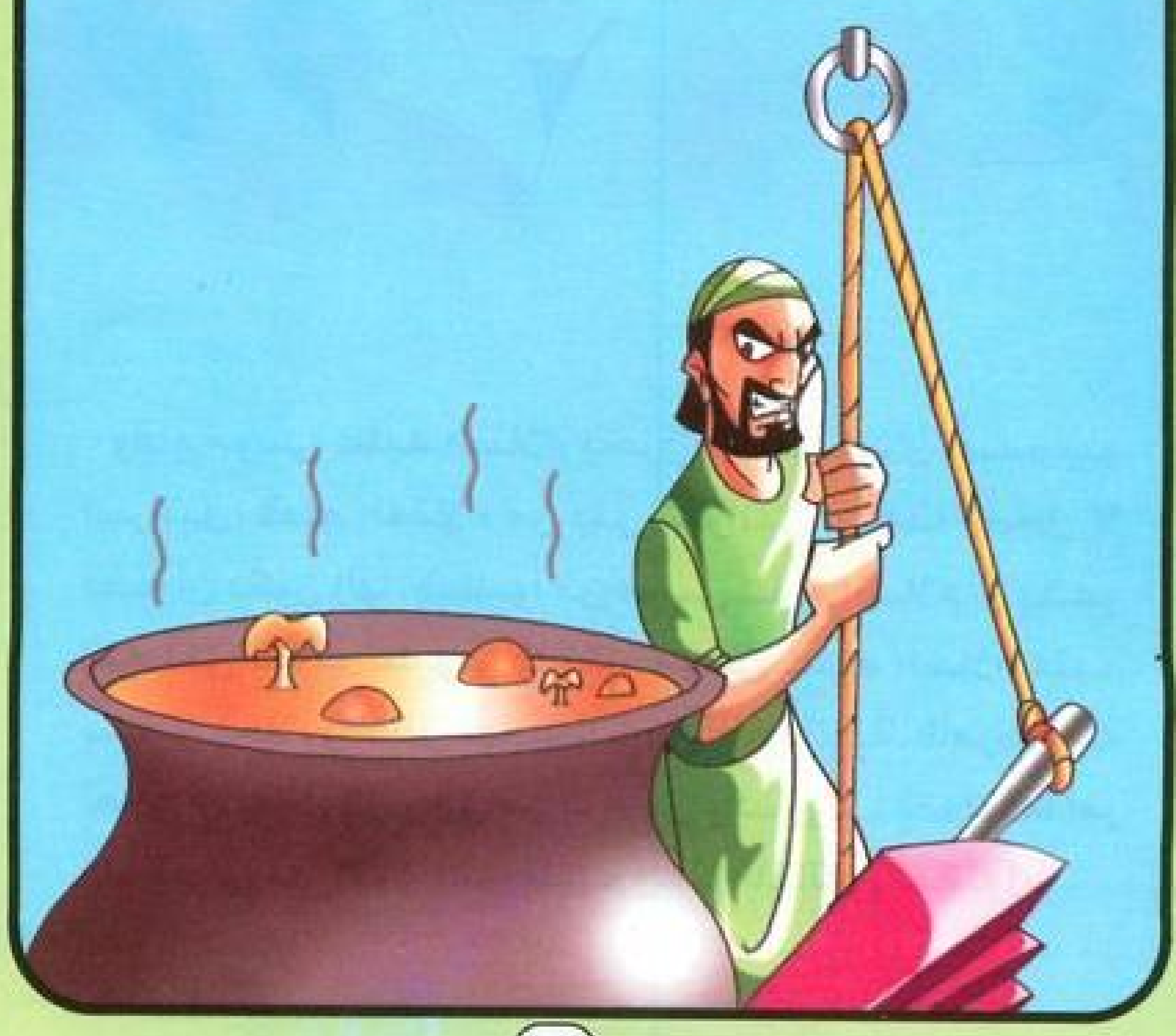
وكان الله تعالى قد وعد موسى - عليه السلام- أن يكلمه عند جبل الطور بعد أربعين ليلة، فأمر موسى أخاه هارون عليهما السلام أن يكون خليفة له على قوم بنى إسرائيل، وأن يحافظ على تماسك بنى إسرائيل، وأن يعلمهم حتى يرجع إليهم.

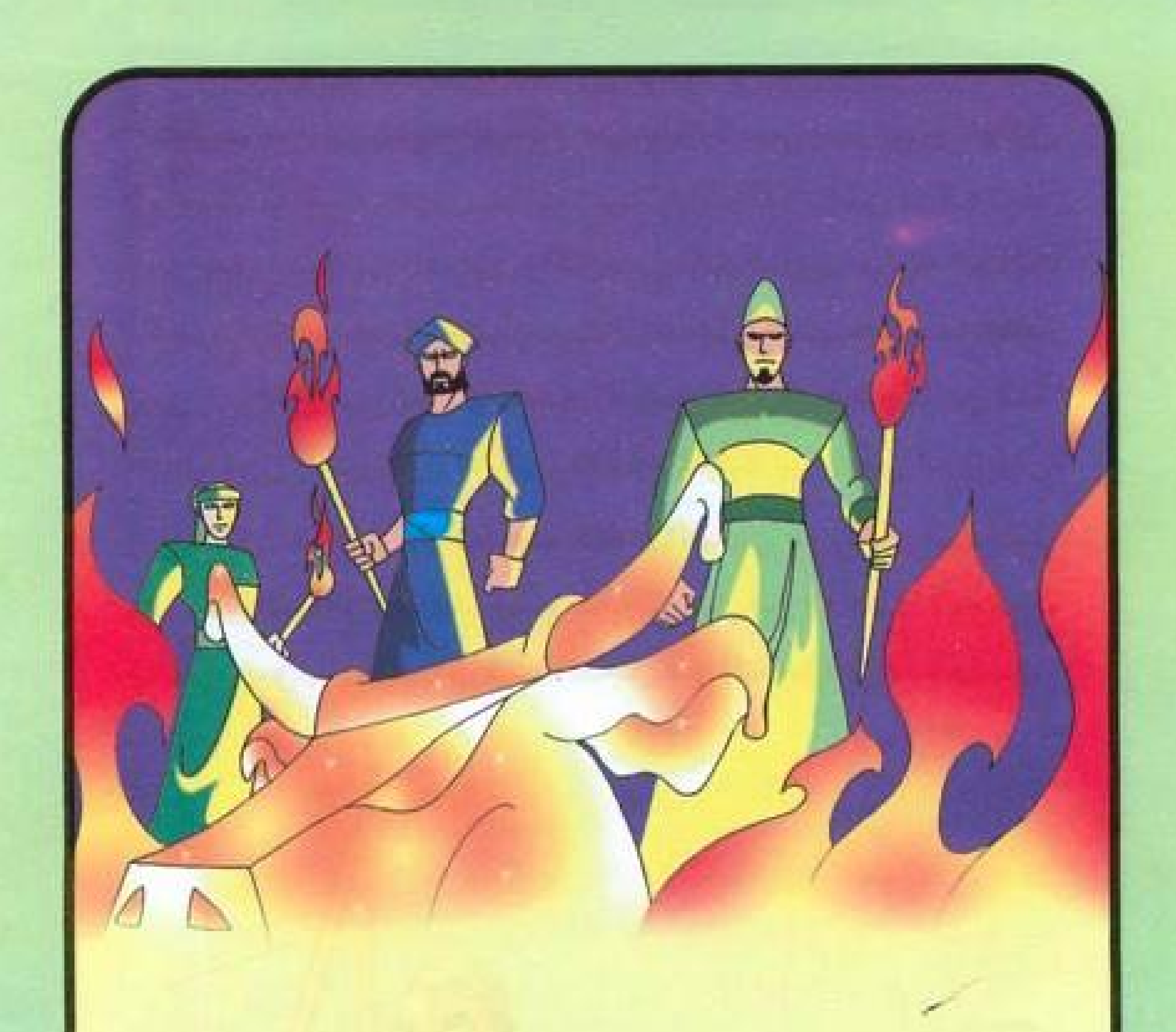
ذهب موسى - عليه السلام - للقاء ربه عند جبل الطور، وكلم الله موسى، وأوحى إليه بشرائع، كتبها موسى فى الألواح، ثم أخبرُ الله - تعالى -أن بنى إسرائيل قد عبدوا عجلا من ذهب، فرجع موسى إلى قومه سريعا لينقذهم من الضلال.



غضب موسى عليه السلام من عبادة بنى إسرائيل للعجل، فأمسك بأخيه هارون عليه السلام وعاتبه على تركه لبنى إسرائيل يعبدون العجل، ولكن نبى الله هارون-عليه السلام- أخبره أنه نصحهم بعدم عبادة العجل، فاستجاب له بعض بنى إسرائيل، ورفض بعضهم النصح، فتركهم خوفا من قيام حرب بين الفريقين فتكون فتنة وفُرقة بين بنى إسرائيل.

وأخبره هارون أن صاحب فكرة العجل من بنى إسرائيل، ويسمى السامرى، وقد صنع هذا العجل من الذهب المخلوط بالتراب، وقال لهم: إن هذا العجل هو إله موسى فاعبدوه.





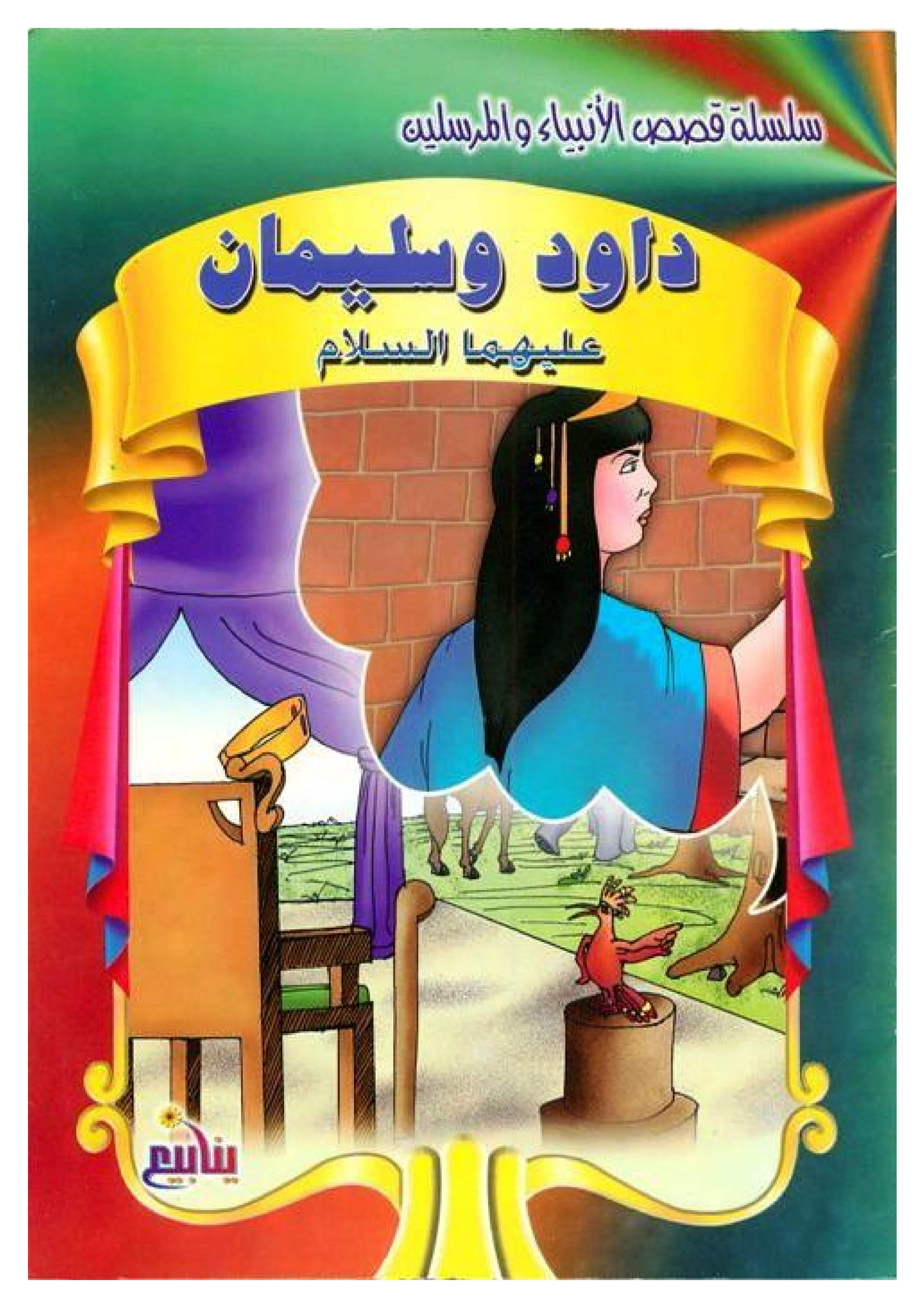
وقام موسى عليه السلام بحرق العجل الذى عبده بنو إسرائيل، فعلم العقلاء من بنى إسرائيل أن هذا العجل لا يصح أن يكون إلها، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله لكى يتوب عليهم، فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلا، وانطلق بهم يطلب من الله التوبة، فأمرهم الله تعالى أن يقتل كل رجل من يراه من والد وولد، ففعلوا ما أمر الله تعالى به، فتاب الله عليهم وغفر للقاتل والمقتول.

ثم أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يتوجه بقومه إلى بلاد الشام لكى يدخل بهم الأرض المقدسة، وسار موسى وأخوه هارون - عليهما السلام- مع بنى إسرائيل فى اتجاه فلسطين، وفى الطريق، طلب موسى - عليه السلام- من قومه دخول بيت المقدس، وقتال من فيها والاستيلاء عليها، وهذا أمر من الله تعالى الذى اختارهم ليكونوا من ملوك الأرض، وأرسل إليهم الأنبياء، فواجب عليهم أن يؤدوا شكر هذه النعم بالاستجابة لأمر الله، والجهاد فى سبيله.



وكان عدد بنى إسرائيل ستمائة ألف، فلم يجد موسى من يستجب للجهاد لتحرير بيت المقدس سوى أخيه هارون ورجلين فقط، وكانت حجة رفض بنى إسرائيل الجهاد فى سبيل الله أن فى مدينة بيت المقدس قوما جبارين، وأنهم لن يدخلوا بيت المقدس حتى يخرج هؤلاء القوم، وقالوا لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، وهنا صدر حكم الله عليهم لمخالفتهم أمره، وهو التيه أربعين عاما فى الصحراء.





سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
داود وسليمان
عليهما السلام
ينابيع



لما مات يوشع بن نون أحد أنبياء بني إسرائيل،حكم بنى إسرائيل عدد من الملوك، عرف عنهم الظلم والطغيان والجبروت، وفى هذه الآونة كانت هناك امرأة صالحة تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً صالحاً، فلما ولدته أسمته إشموئيل، أسلمته إلى العلماء فى مكان العبادة، فقام برعايته أحد الصالحين، حتي كبر وأصبح شاباً قوياً، عرف عنه الصلاح والتقوى وطلب العلم، وكان يلازم شيخه دائماً، يتعلم منه الدين والعبادة.



وفى إحدى الليالى، وبينما كان إشموئيل ينام فى المسجد سمع صوتاً يناديه، فقام مفزوعاً، وسأل شيخه: هل تريد منى شيئاً؟ فأجابه الشيخ: لا، بل استرح ونم.

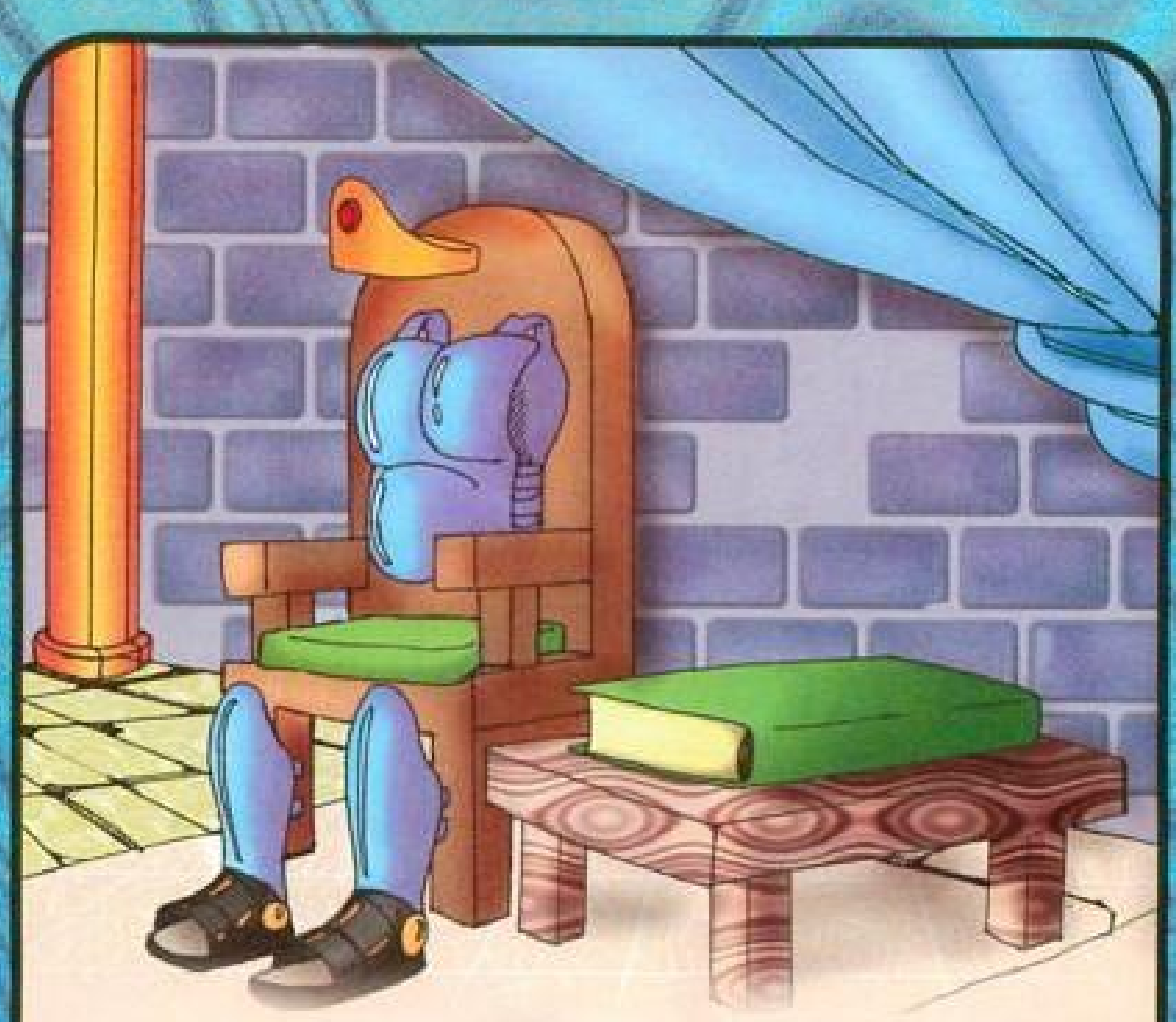
ولكنه سمع الصوت مرة ثانية، فاستيقظ، ورأى جبريل عليه السلام، يبشره أنه أصبح نبياً إلى بنى إسرائيل، فبدأ يدعوهم إلي توحيد الله تعالى وعبادته.

وفى يوم من الأيام ذهب بنو إسرائيل إلى نبيهم إشموئيل، واشتكوا إليه ظلم الملوك لهم، وطلبوا منه أن يرسل معهم ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله، فأخبرهم نبيهم أنه ربما يرفضون الجهاد، ولكنهم أصروا على طلبهم، فأخبرهم نبيهم أن الله قد جعل عليهم طالوت ملكا، ولكنهم اعترضوا عليه لفقره، ولكن نبيهم قال لهم إن الله قد اختاره عليكم، وزاده بسطة فى العلم والجسم، وذلك اختيار الله، فوافقوا عليه.



وخرج طالوت ومعه جنوده، لمحاربة جالوت وجنوده، فمروا على نهر، فقال طالوت: إننا سنمر على هذا النهر، فمن شرب منه فليرجع، أما من بل ريقه فحسب، فليبق معى، فشرب معظمهم، ورجعوا عن الجهاد، ولما وقف جنود طالوت أمام جنود جالوت طلب جالوت أن يخرج أحد لمبارزته، فخرج له داود عليه السلام -وكان جنديًا شجاعًا- بعد أن وعد طالوت أن من قتل جالوت زوجه ابنته، ويصبح قائدًا للجيش، فتقدم داود بعصاة وخمسة أحجار ومقلاع، ووضع حجرًا فى المقلاع ورمى به جالوت فوقع صريعًا، وانتصر المسلمون، وتزوج داود بنت جالوت، ولما مات أصبح هو الملك، فجمع الله له بين الملك والنبوة.





وأصبح داود هو نبى إسرائيل وملكهم، وقد وهبه الله نعما كثيرة، فقد آتاه الزبور، وجعل الجبال والطيور تسبح معه إذا سبح الله تعالى، وألان له الحديد، وكانت الدروع التى يلبسها الجنود فى ذلك العصر ثقيلة، فكانت لا تعطى الحرية للجنود فى الحرب، فصنع داود دروعًا تتكون من حلقات من حديد تعطى المحارب حرية فى الحركة، وتحمى جسده من السيوفِ والخناجر، وقد جعلِ الله داود عليه السلام منصورًا بإذنه، فما حارب أحدًا إلا هزمه بإذن الله تعالى.

وقد وهب الله تعالى داود الحكمة وحسن التصرف، ووهبه أولاداً، وكان منهم سليمان عليه السلام الذى اشتهر بالحكمة.

وقد جاء رجلان يشكوان أمرهما لداود، فقد دخلت غنم رجل إلى حقل الآخر، فأكلت ما كان فيها من عناقيد العنب، فحكم داود أن يأخذ صاحب الحقل غنم الآخر، تعوضاً عما فقده.

ولكن سليمان حكم أن يأخذ صاحب الحقل الغنم ينتفع بها، وأن يأخذ صاحب الغنم الحقل يصلحه، ثم يرد صاحب الحقل الغنم، ففرح داود عليه السلام بحكمه.



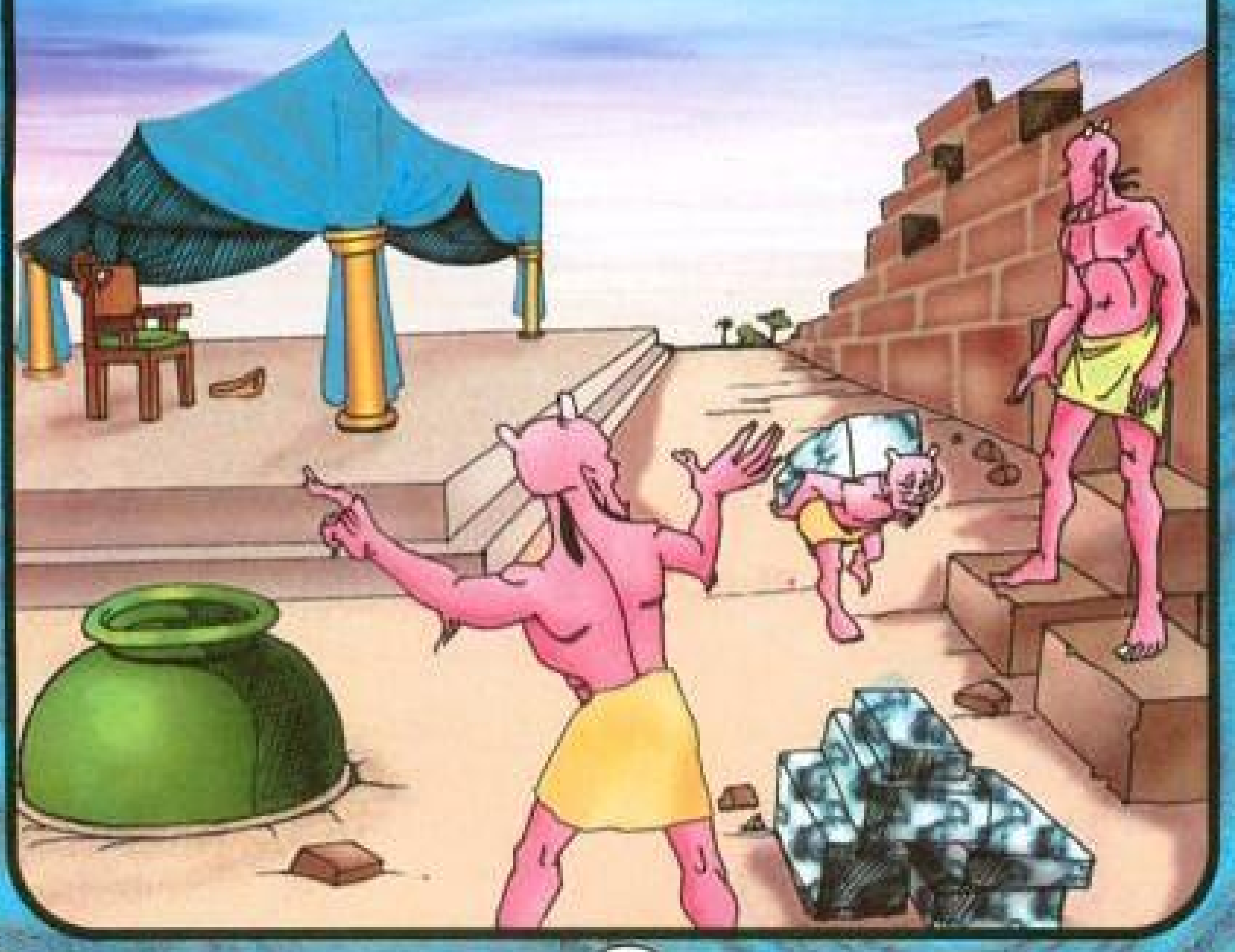


وقد أراد الله تعالى أن يعلم داود عليه السلام درساً فى الحكم بين الناس، ففى يوم من الأيام، دخل داود محرابه للصلاة، وكان يأمر جنوده ألا يدخلوا عليه أحداً، ففوجىء داود برجلين أمامه، فخاف فى نفسه، ولكنهما قالا له لا تخف، ثم قال أحدهما إن لى نعجة واحدة، ولأخى تسع وتسعون نعجة، وهو يطلب منى أن أعطيه النعجة، فحكم داود بخطأ الأخ، وأنه لا يجب عليه أن يعطيه نعجته، وفجأة اختفى الرجلان، فعلم داود عليه السلام أن هذين ملكان أتيا من عند الله، ليعلما داود عدم التسرع فى الحكم

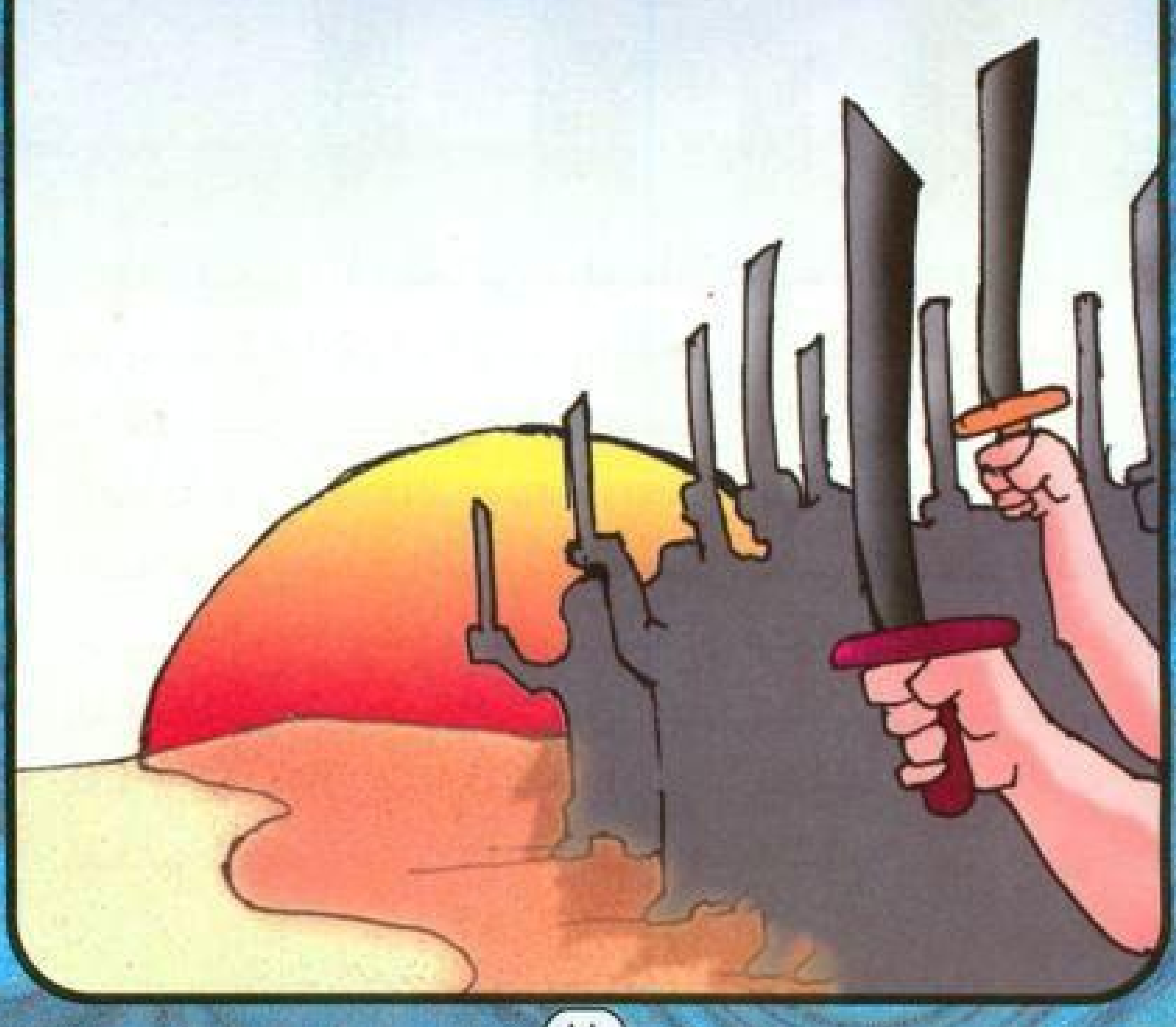


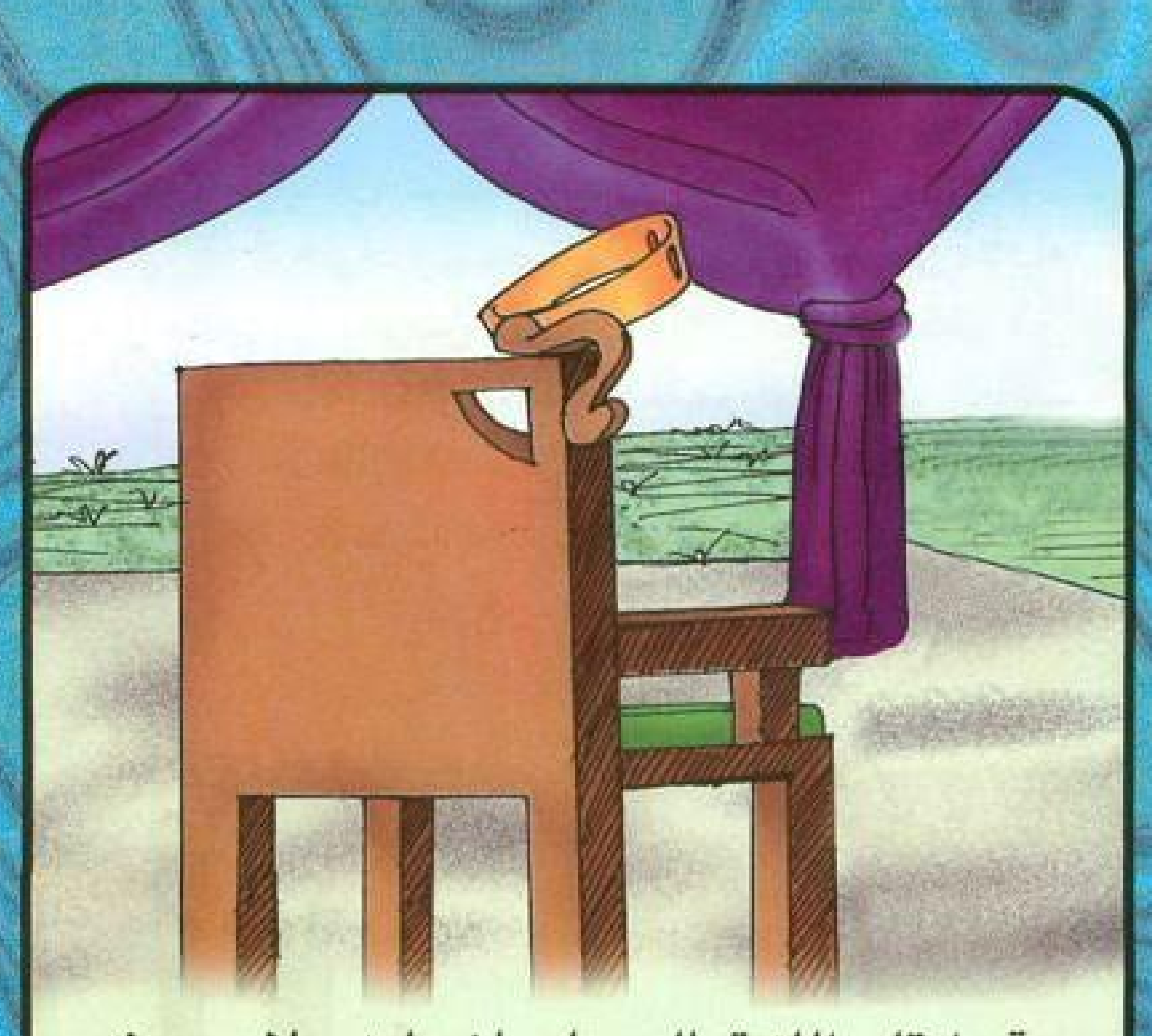
وقد اشتهر عن داود عليه السلام غيرته على نسائه، فكانت نساؤه فى القصر، فرأى النسوة رجلاً فى حديقة القصر، وبلغ الأمر داود عليه السلام، فسأله عن نفسه، ومن أدخله، فأعلمه الرجل أنه الذى يدخل دون إذن، فعلم أنه ملك الموت، فقبض روحه، فشيعه آلاف من الناس، وكانت الشمس شديدة، فأمر سليمان عليه السلام الطير أن يُظل الناس من شدة الحر، فأظلمت الأرض، وسكنت الريح، فأمر سليمان الطير أن تمنع حر الشمس، ولا تمنع الريح.

وحكم سليمان عليه السلام بنى إسرائيل بعد وفاة أبيه داود، وقد أعطاه الله ملكًا لم يعطه أحداً بعده، فقد سخر له الجن يعملون له المحاريب والتماثيل والأوانى والقدور الضخمة، وكانت تخوض له فى أعماق البحار وتستخرج له اللؤلؤ والمرجان والياقوت، كما سخر له الريح، وكان لديه بساط خشبى يأمر الجيش بالركوب عليه ويأمر البساط أن يحملهم حيث يأمره، كما أذاب الله تعالى له النحاس، فاستخدم فى السلم والحرب، وكان الله قد وهب سليمان معرفة لغة الطيور والإنس والجن.

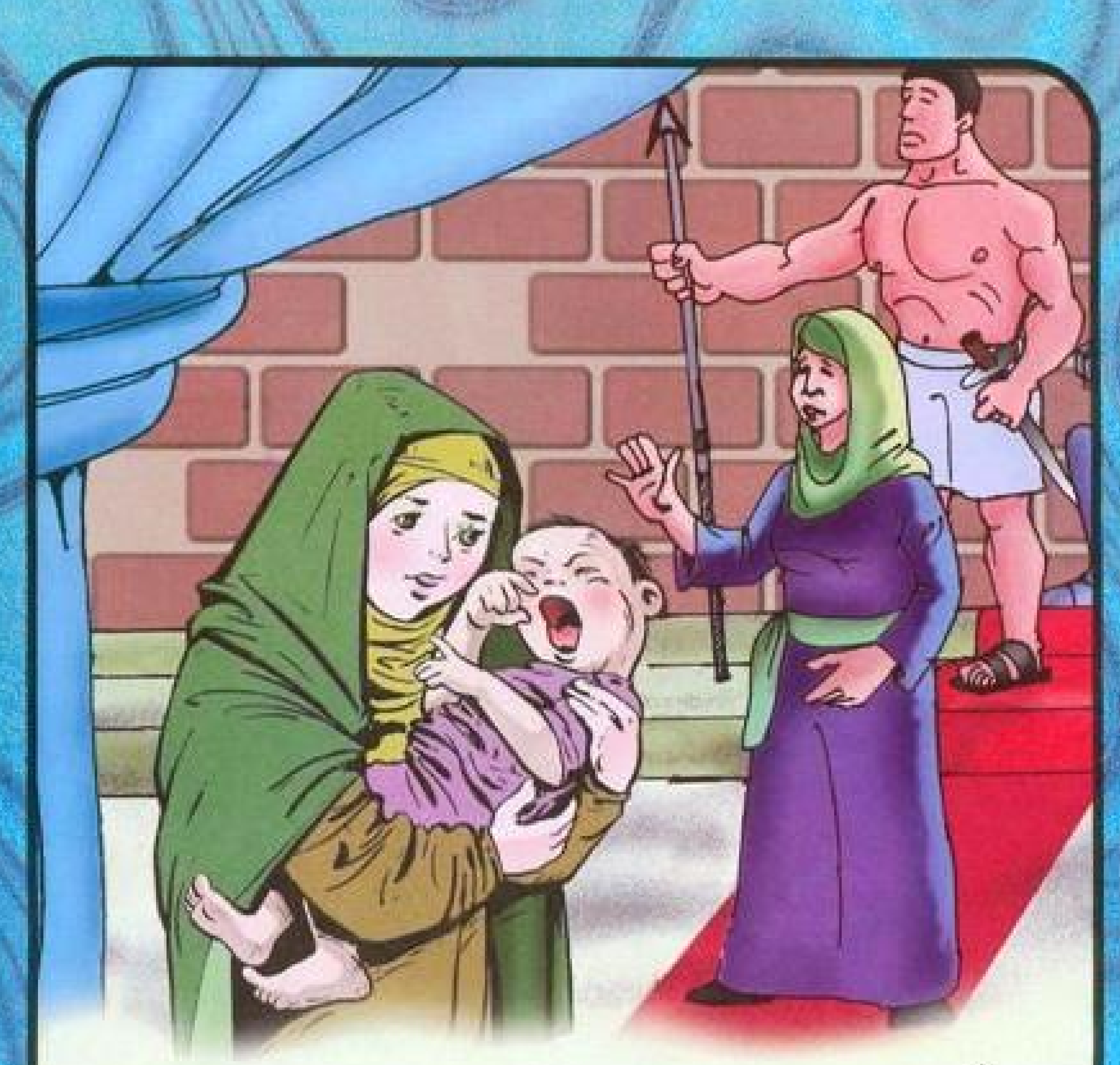


وكان سليمان عليه السلام يحب الخيل، فكان يجهزها للجهاد فى سبيل الله، وفى يوم من الأيام أمر سليمانِ بعرض الخيل، وكان عددها أكثر من عشرين ألفاً، فطال وقت الإستعراض، حتى غابت الشمس، وشغل سليمان عن ذِكر الله، فأمر بذبح الخيل التى شغلته عن ذِكر الله تعالى.

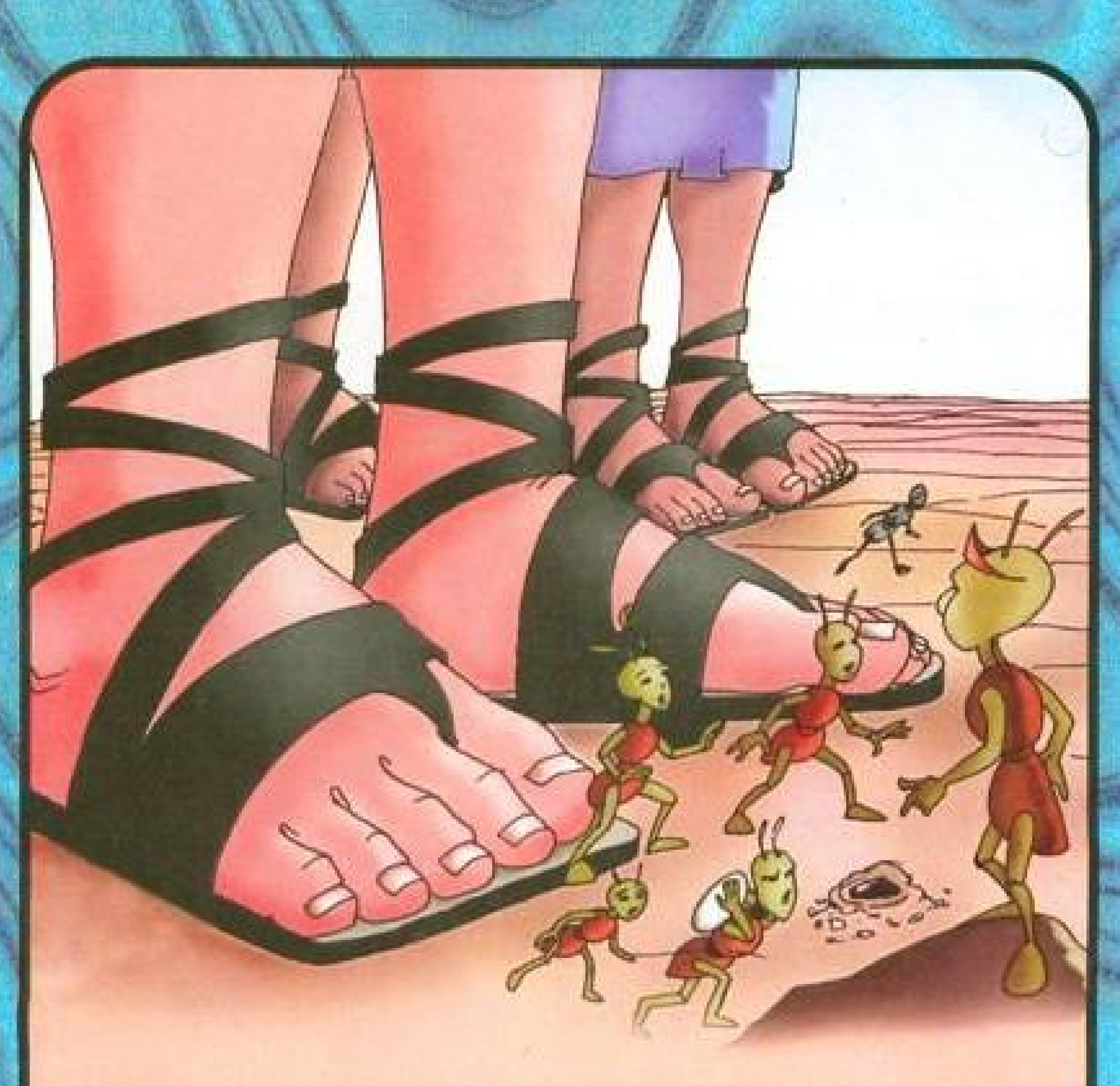




وقد ابتلى الله تعالى سليمان عليه سلام بمرض لم يستطع أطباء الإنس والجن أن يعالجوه منه، وطالت فترة المرض على سليمان، الذى كان يشغل وقته بذكر الله تعالي وهو مريض، وكان سليمان عليه السلام من شدة المرض يجلس على كرسيه كأنه جسد بلا روح، وبعد صبر سليمان عليه السلام شفاه الله تعالى من هذا المرض، وعاد سليمان كما كان، بعد أن علم أن كل ملكه الواسع لا يملك له من الله نفعاً ولا ضراً، وأن الأمور كلها بيد الله.



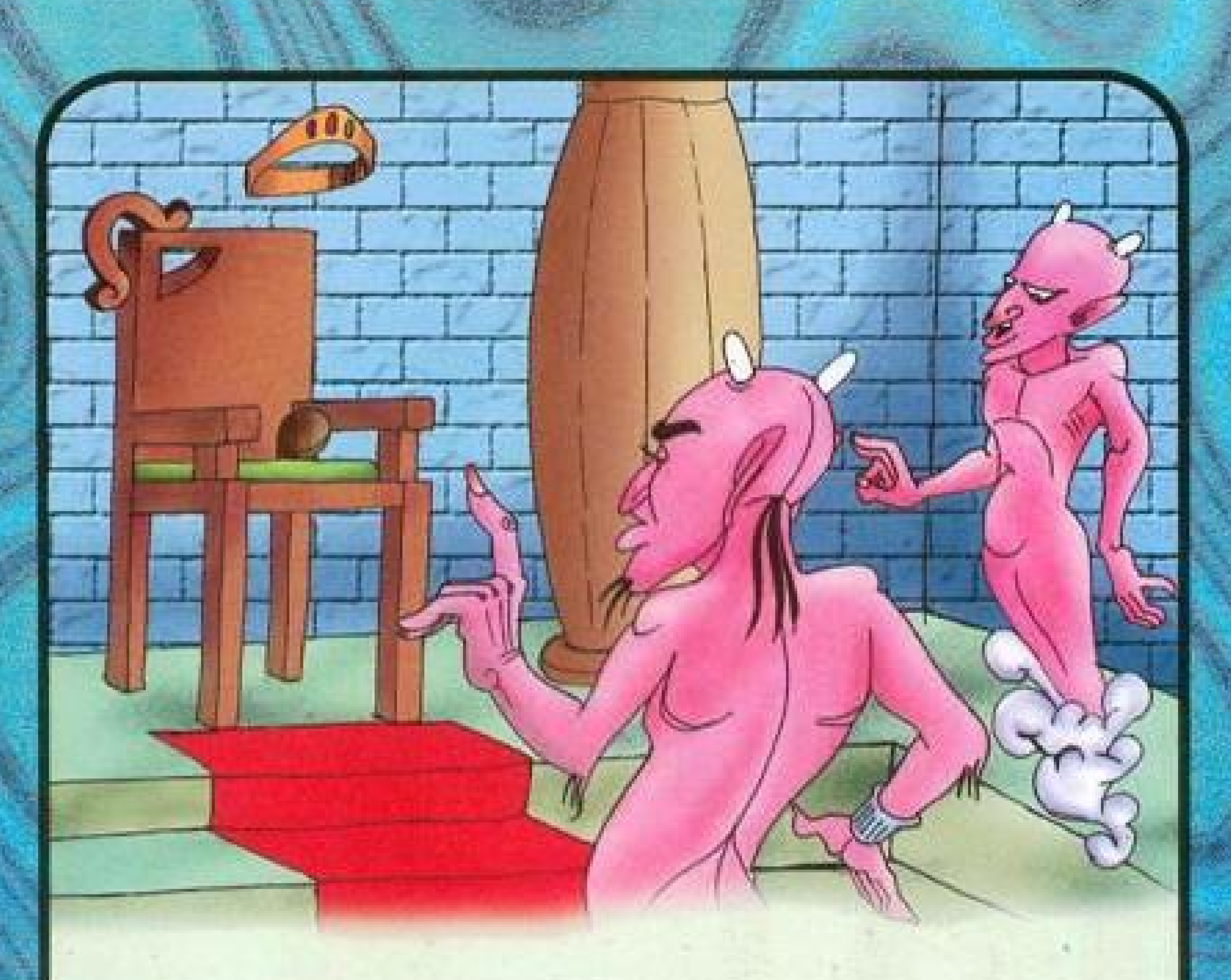
وعُرف سليمان بالحكمة، فقد جاءته امرأتان بطفل رضيع، وتدعى كل واحدة أن الولد ولدها، وأن الولد الآخر أكله الذئب عندما كانا فى الحقل، فأمر سليمان عليه السلام أن يؤتى بسكين، ثم قال: سأقطع الطفل نصفين، وتأخذ كل واحدة منهما نصفه، فقالت إحداهما: لا تفعل، يرحمك الله، فعرف أنها أمه، لأنها تحبه وتخاف عليه من الموت، حتى لو أخذه غيرها.



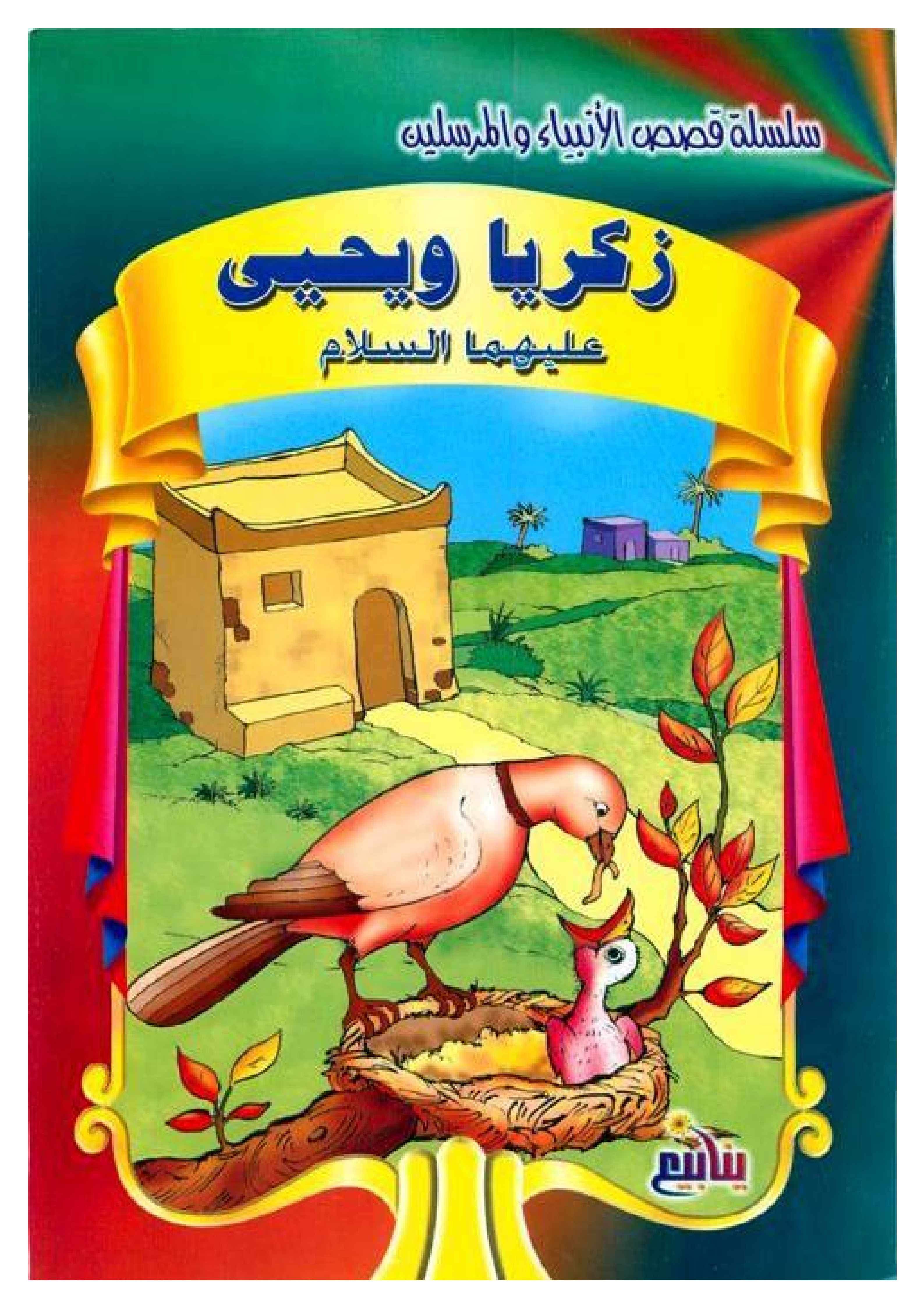
ومن الحكايات الطريفة التى حدثت مع سليمان عليه السلام، أنه أتى هو وجنوده، على واد النمل، فنادت النملة على قومها، وقالت لهم: ادخلوا مساكنكم، حتى لا يحطمكم سليمان هو وجنوده، فهم لا يشعرون بكم، فأسرعت النمل إلى أماكنها، فسمع سليمان ذلك الحديث، فحمد الله تعالى على أن وهبه هذه النعمة، ليكون شاكراً لله تعالى على نعمه وفضله .



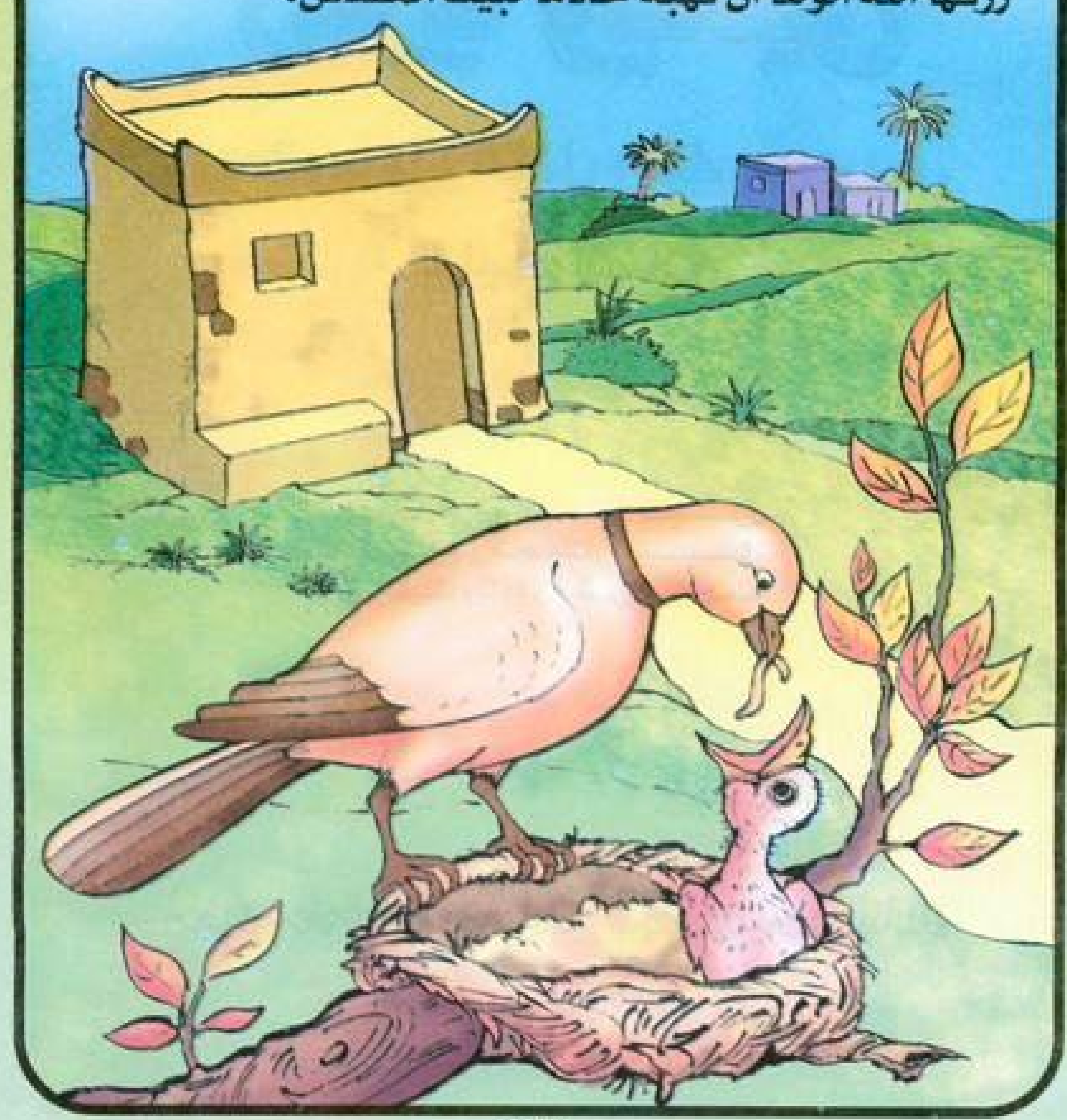
ومن أعظم ما حدث لسليمان أنه استعرض الجيش يوماً فلم يجد الهدهد، فهدده، ولما جاء الهدهد أخبره أنه رأى قوماً فى سبأ تحكمهم امرأة لها عرش عظيم، وهم يعبدون الشمس ولا يعبدون الله، فأرسله سليمان برسالة يدعوهم فيها إلى عبادة الله تعالى، فعرضت بلقيس ملكة سبأ الأمر على قومها الذين عرضوا الحرب، ولكن بلقيس أرسلت بهدية مع جنودها لتعرف حقيقة أمر سليمان عليه السلام، فلما جاء الجنود سليمان ورأوا عظمة ملكه، عرفوا حقيقة أمره، ورد سليمان الهدية وهددهم بالحرب.



ولما عاد الجنود أخبروا بلقيس بكل شيء، وقررت أن تذهب إلى سليمان لمقابلته، وأمر سليمان جنوده أن يأتوا بعرشها، فعرض عفريت أن يأتيه قبل أن يقوم من مجلس الحكم بين الناس، وعرض أحد الصالحين أن يأتى له بالعرش قبل أن يرمش بعينيه، فلما جاء العرش، شكر سليمان ربه، وأمر أن يبنوا قصراً على شاطئ البحر، ويكون جزء كبير منه داخل البحر، فلما جاءت بلقيس استغربت العرش، ودخلت القصر، فكانت ترى السمك من أرضية القصر التى صنعت من القوارير، فعلمت بلقيس أن سليمان نبى، فأسلمت مع قومها، وفى يوم من الأيام، دخل سليمان قصره للعبادة، واتكأ على عصاه فمات، والجن يعملون ويحسبون سليمان حياً، فلما أكلت حشرة الأرض عصا سليمان وقع، فعلم الناس والجن أن الجن لا يعلمون الغيب، بل الغيب لله تعالى.


سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
زكريا ويحيى
عليهما السلام
ينابيع

فى زمن نبى الله زكريا - عليه السلام - وُجد عالم من علماء بنى إسرائيل اسمه عمران، وكان صديقاً لنبى الله زكريا، وكان كل منهما لا ينجب. وفى يوم من الأيام رأت زوجة عمران طائراً يُطعم ولده فى فمه ويسقيه الماء، ويأخذه تحت جناحه، خوفاً عليه من البرد، فتحركت فيها مشاعر الأمومة، وأخذت تصلى لله وتدعوه أن يهبها ولداً صالحاً، ونذرت إن رزقها الله الولد أن تهبه خادماً لبيت المقدس.



استجاب الله دعاء زوجة عمران، فقد أحست بالحمل، وأخبرت زوجها، الذى راح يسجد لله شكراً ويكثر من عبادته، لأنه سيمن عليه بولد، ومضت الأيام والشهور، وقبل أن تلد زوجة عمران، مات زوجها، فكان يوم حزن على أهل المدينة كلها، فقد مات عالمهم عمران، وبكى عليه الجميع، وحزن عليه زكريا - عليه السلام - حزناً شديداً، وخاصة أن امرأته حامل، وهى على وشك الوضع، ولكنه قدر الله.



وأحست زوجة عمران بالام الوضع، فقد اقترب وضعها، وما هى إلا أيام حتى ضعت زوجة عمران مولودها، ولكن كانت المفاجأة، فقد وضعت زوجة عمران أنثى، وكانت تتمنى ولداً، لكى يكون خادماً للمسجد الأقصى، ونظرت زوجة عمران إلى السماء وقلبها يكلم الله: رب إنى وضعتها أنثى، ونسيت أن الله أعلم بما وضعت، ولكن زوجة عمران أصرت على الوفاء بالوعد، فقد وهبت ابنتها التى سمتها مريم لتكون خادمة للمسجد، فسلمتها لشيوخ بنى اسرائيل وعلمائهم.



وتسارع علماء بنى إسرائيل على كفالة مريم، وحاول زكريا عليه السلام أن يأخذها، فهو متزوج خالتها، ولكن معظم العلماء أصروا على إجراء قرعة، فوضعوا مريم والأقلام بجوارها، وأتى طفل صغير، فأخرج قلم زكريا، ولكنهم أعادوا القرعة، فوضعوا الأقلام فى البحر، فمن سار قلمه خلاف اتجاه المياه أخذها، فكان زكريا، ثم أجروا قرعة ثالثة، فمن سار قلمه وحده مع اتجاه تيار المياه أخذها، فكان قلم زكريا، فأخذها زكريا لكفالتها.



كفل زكريا - عليه السلام - مريم، وقد جعل لها مكاناً خاصاً بالمسجد، وكان لها محراب خاص بالصلاة، وكان زكريا يدخل عليها كل فترة، فكان يجد عجباً، كان يرى فاكهة الصيف عند مريم فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف، فسألها: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فتوجه زكريا إلى ربه بالدعاء أن يرزقه ولداً صالحاً يحمل النبوة والعلم من بعده لبنى إسرائيل.



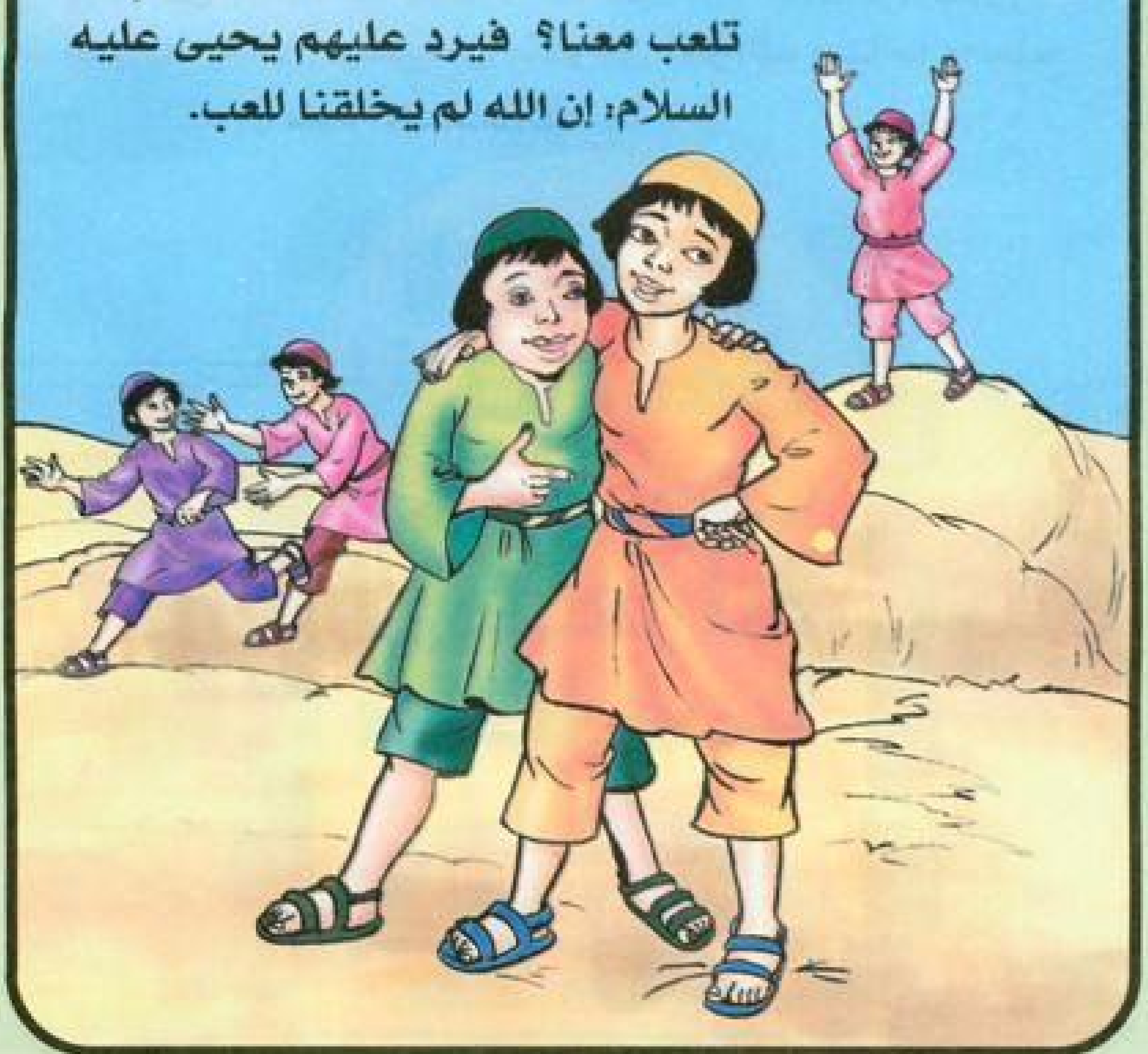
وفى ليلة من الليالى، وبينما كان زكريا - عليه السلام - قائم يصلى فى المحراب، نادته الملائكة: أن الله يبشرك بيحيى ولداً لك، ونبياً إلى بنى إسرائيل. فتعجب زكريا - عليه السلام - من ذلك، وقال: كيف يكون لى ولد وكانت امرأتى عاقراً، وقد كبر سنى؟ فردت عليه الملائكة: هذا هو أمر الله، فالله خلقك ولم يكن لك وجود.

فرح زكريا - عليه السلام - وتوجه إلى الله تعالى بالشكر والثناء، وطلب أن يجعل له آية، فأخبره الله تعالى أنه لن يستطيع الكلام ثلاثة أيام، فإذا وجد ذلك، فليعلم أن زوجته أصبحت حاملاً، وعليه أن يكثر من ذكر الله صباحاً ومساءاً.



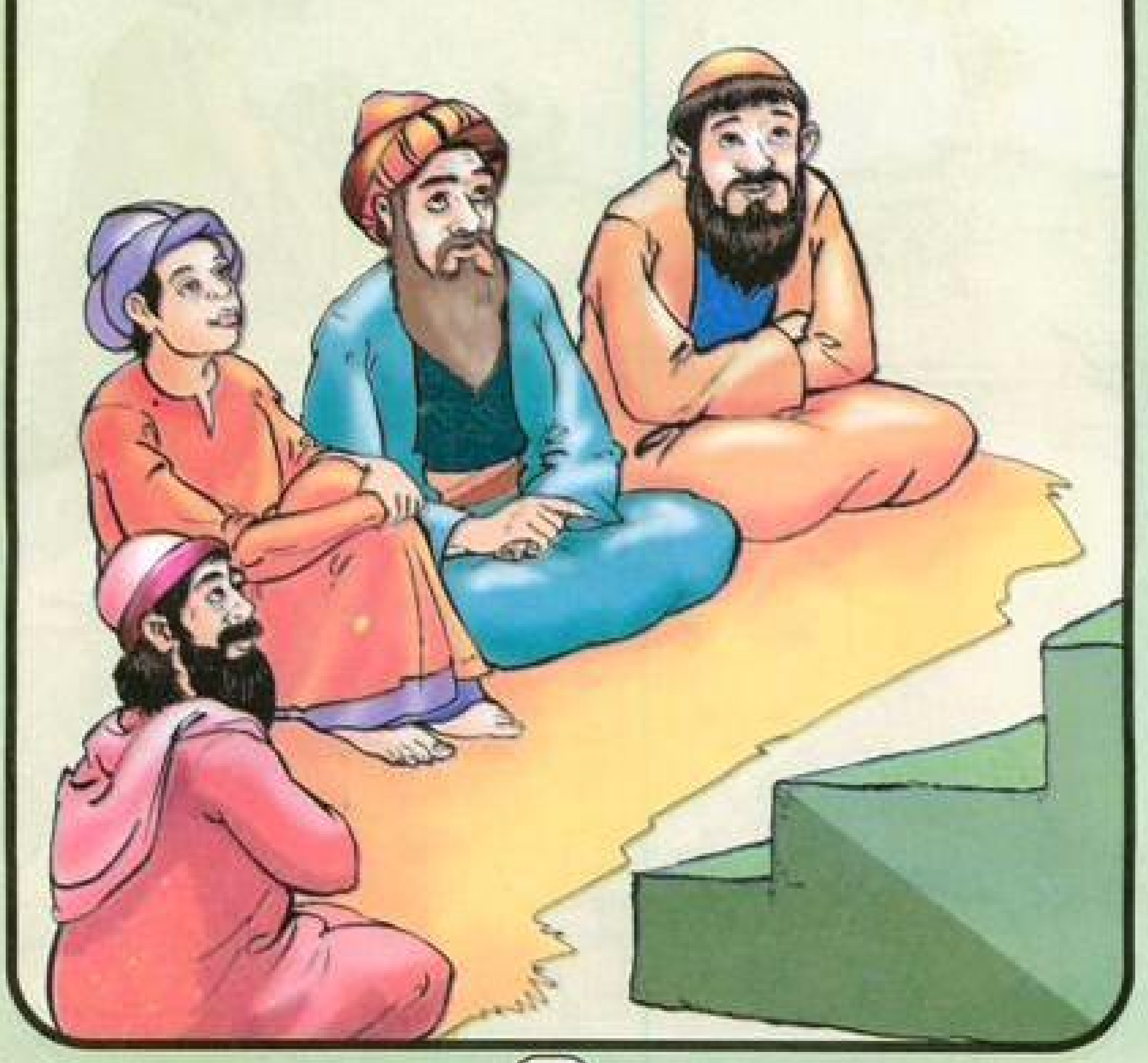
وفى يوم من الأيام خرج زكريا - عليه السلام - ليحدث قومه ويدعوهم، ولكنه فوجئ أنه لا يستطيع الكلام، فأشار إلى قومه أن يسبحوا الله فى الفجر والعشاء، وراح هو يسبح الله تعالى بقلبه.

ومرت الأيام، وجاء الوقت الذى وضعت فيه زوجة زكريا. وفرح زكريا وزوجته بيحيى، فاعتنى زكريا - عليه السلام - بولده منذ الصغر، ورباه تربية صالحة، فلم يكن يلعب كما يلعب باقى الصبية، بل كان منذ الصغر طائعاً لله تعالى، فكان يشاهد الأطفال فى سنه ولا يلعب معهم. فيقولون له: لم لا تلعب معنا؟ فيرد عليهم يحيى عليه السلام: إن الله لم يخلقنا للعب.

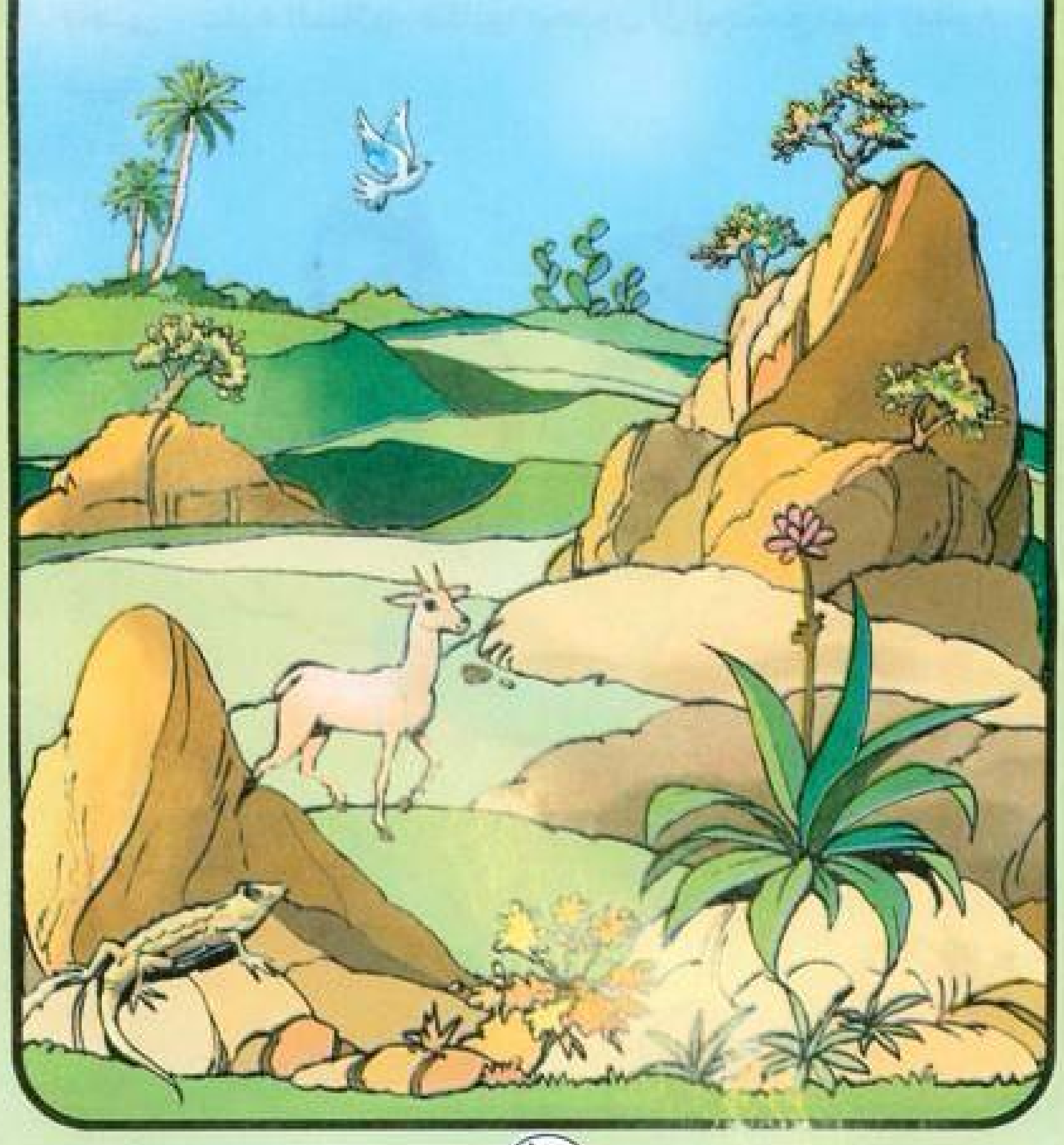


وكبر يحيى - عليه السلام - وأصبح شاباً حليماً عابداً، يدعو قومه إلى الإيمان وإلى مكارم الأخلاق.

وذات يوم، جمع يحيى - عليه السلام - بنى إسرائيل فى بيت المقدس، ثم صعد المنبر، وخطب فى الناس، وأمرهم بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، وأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة وذكر الله تعالى، فتأثر الحاضرون ببلاغة نبى الله يحيى - عليه السلام- فكانوا يحبون أن يجتمع بهم، ويقوم فيهم خطيباً.



وكان يحيى - عليه السلام - يحب العزلة والانفراد، وأن يختلى بعيداً عن الناس، وكان كثيراً ما يذهب إلى البرارى والصحارى يعبد الله تعالى، ويتأمل فى خلق الله: السماوات وعلوها، والأرض وانبساطها، والأشجار وثمارها، والصحراء وخلائها، فيزداد إيمانه، ثم يرجع إلى الناس يدعوهم إلى ما تعلم أثناء العزلة عنهم.

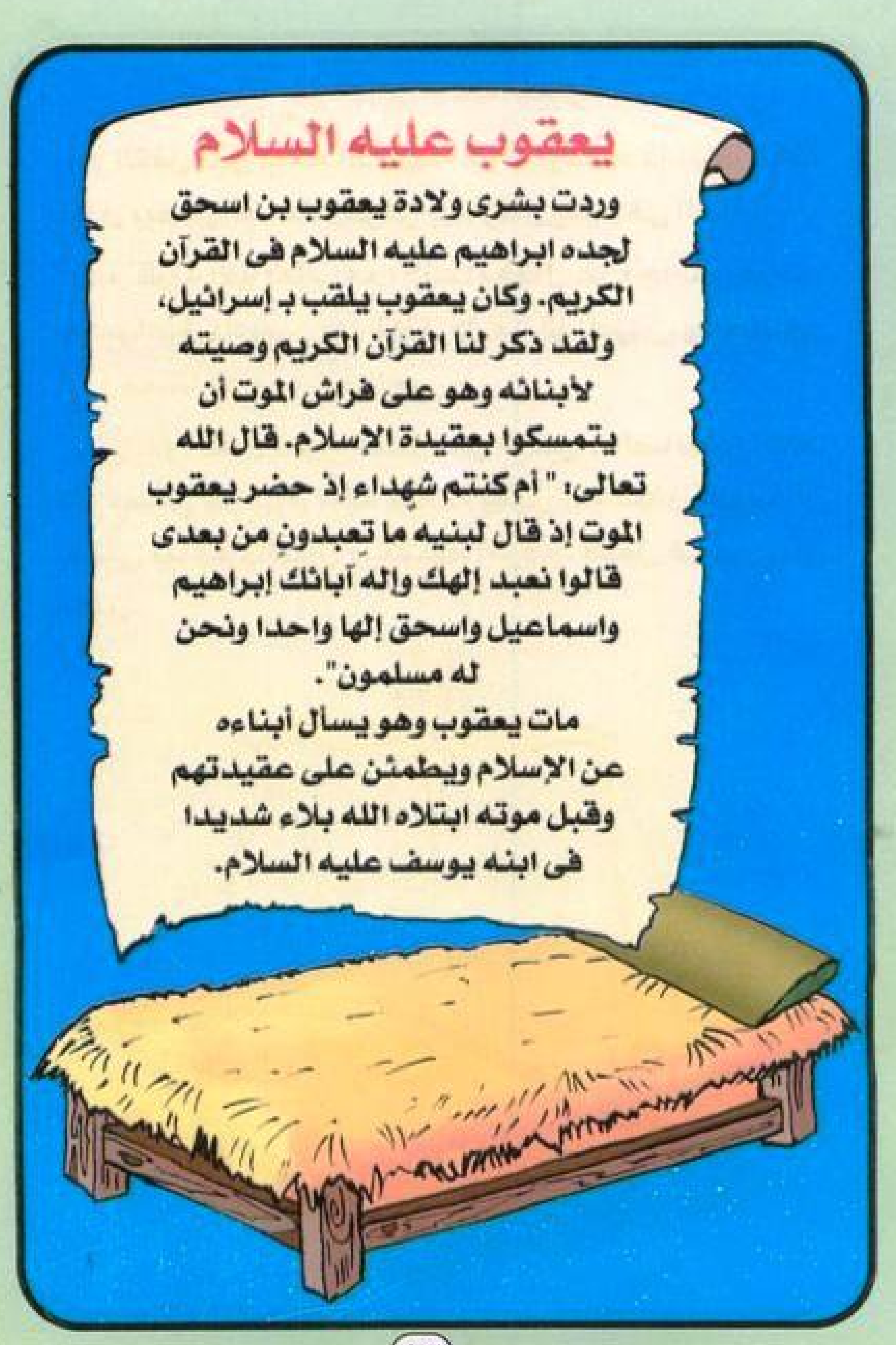


وقد قيل: إن يحيى - عليه السلام - ظهر له إبليس اللعين، فرأى يحيى - عليه السلام - عدة معاليق على إبليس من كل شيء، فسأله يحيى عليه السلام: يا إبليس، ما هذه المعاليق؟ فقال إبليس: هذه الشهوات التى أصيب بها بنى آدم. فقال يحيى: وهل لى فيها شيء؟ فقال إبليس: ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة والذكر. فقال يحيى: لله علىَّ ألا أملأ بطنى من طعام أبداً. فقال إبليس: ولله علىَّ ألا أنصح مسلماً أبداً.



وكان ملك فلسطين آنذاك يعرف قدر يحيى -عليه السلام- فكان يستشيره فى أموره، وكان لهذا الملك بنت أخ تُعرف بالرقة والجمال، فأراد هذا الملك أن يتزوجها، فاستشار يحيى - عليه السلام - فى زواجه منها، فقال يحيي: إنها لا تحل لك. وعُرف حكم يحيى، وسمعت به أم هذه الفتاة، فسقت الملك خمراً وطلبت منه أن يأتى لها برأس يحيى بن زكريا - عليهما السلام - فى طست من فضة، فرفض الملك وخاف من ذلك، ولكنها ألحت عليه، حتى أمر الجنود بقتل يحيى - عليه السلام- فعاقبه الله وأهلكة.





يعقوب عليه السلام

وردت بشرى ولادة يعقوب بن اسحق
لجده ابراهيم عليه السلام فى القرآن
الكريم. وكان يعقوب يلقب بـ إسرائيل،
ولقد ذكر لنا القرآن الكريم وصيته
لأبنائه وهو على فراش الموت أن
يتمسكوا بعقيدة الإسلام. قال الله
تعالى: " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت إذ قال لبنيه ما تعبدونِ من بعدى
قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
واسماعيل واسحق إلها واحدا ونحن
له مسلمون".

مات يعقوب وهو يسأل أبناءه
عن الإسلام ويطمئن على عقيدتهم
وقبل موته ابتلاه الله بلاء شديدا
فى ابنه يوسف عليه السلام.

ذو الكفل عليه السلام

ذو الكفل نبى بعثه الله بعد أيوب، وسماه ذا الكفل لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفى بها، وكان يقيم فى الشام.

وقد قرنه الله تعالى مع الأنبياء فقال عز وجل فى قرآنه: ﴿واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين. وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين﴾.

وكان ذو الكفل عليه السلام من الأنبياء الصالحين، فقد كان يصلى كل يوم مائة صلاة، وقيل إنه تكفل لقومه أن يقضى بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم، ففعل فسمى بذى الكفل.



إدريس عليه السلام

أثنى الله تعالى على نبيه إدريس عليه السلام، ووصفه بالنبوة والصديقية فقال تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إدريس انه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا﴾.

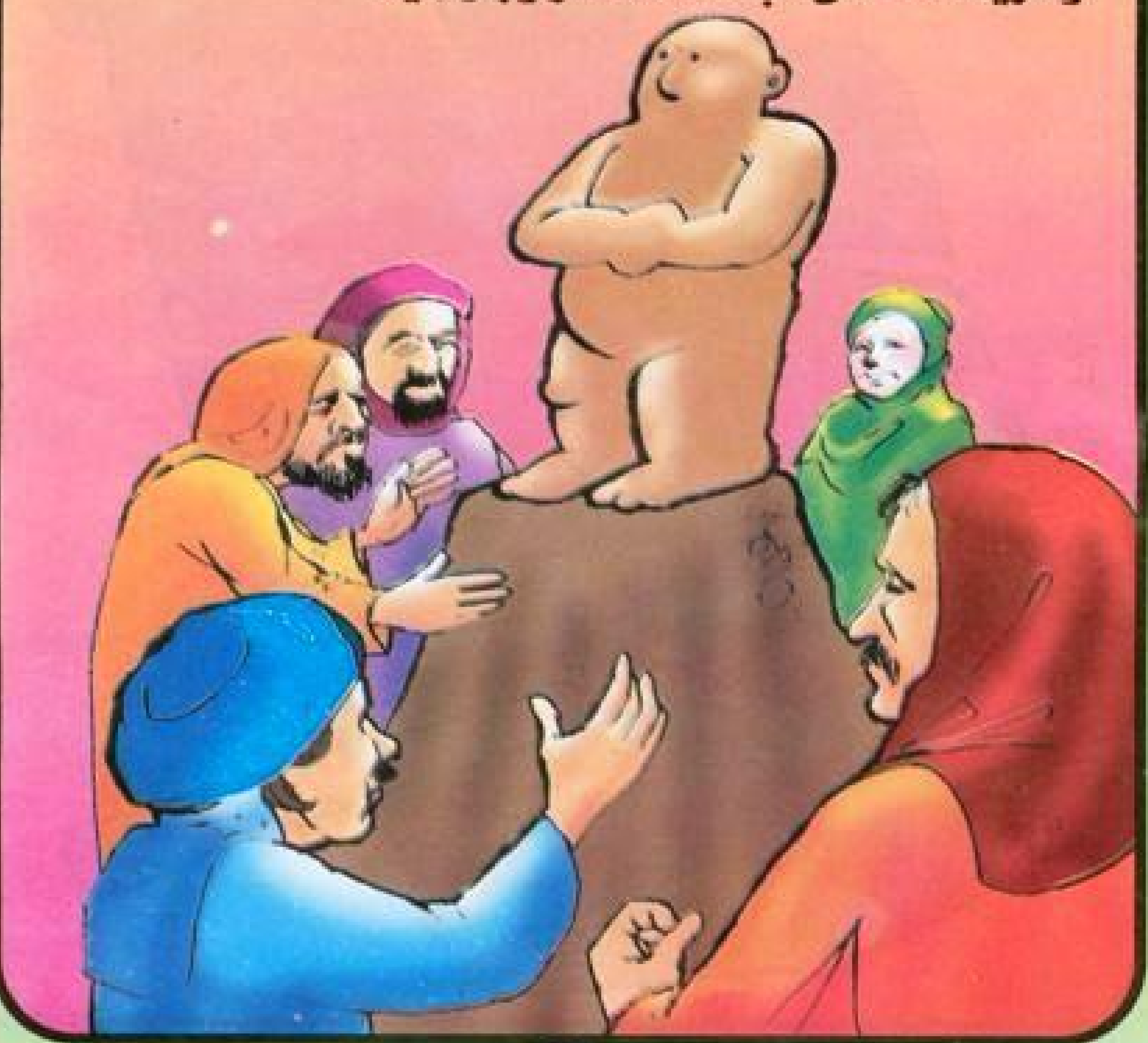
وكان إدريس أول بنى آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وهو أول من خط بالقلم. ولقد مر به رسول الله ﷺ وهو فى السماء الرابعة فى رحلة المعراج، وهذا هو المقصود بقوله تعالى ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾.

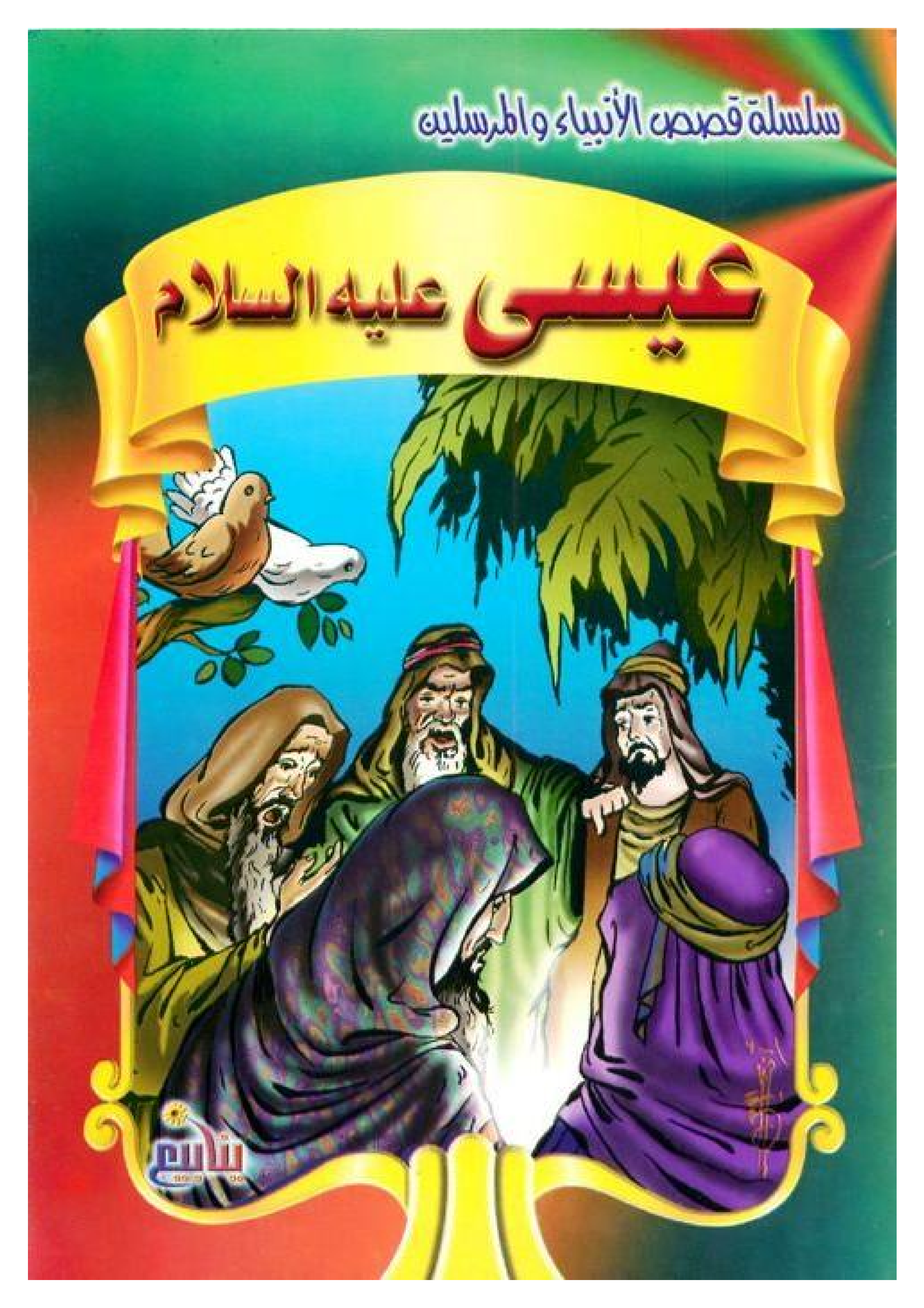


الياس واليسع عليهما السلام

أرسله الله تعالى إلى أهل بعلبك غربى دمشق، فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا، فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله، فهرب منهم واختفى فى غار عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولى غيره، فأتاه الياس فعرض عليه الإسلام فأسلم، وأسلم من قومه عدد كبير.

لما مات الياس عليه السلام خلفه اليسع فى قومه، وكان اليسع عليه السلام يدعوهم إلى الله والتمسك بمنهاج الياس وشريعته، حتى قبضه الله عز وجل إليه.




سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
عيسى عليه السلام



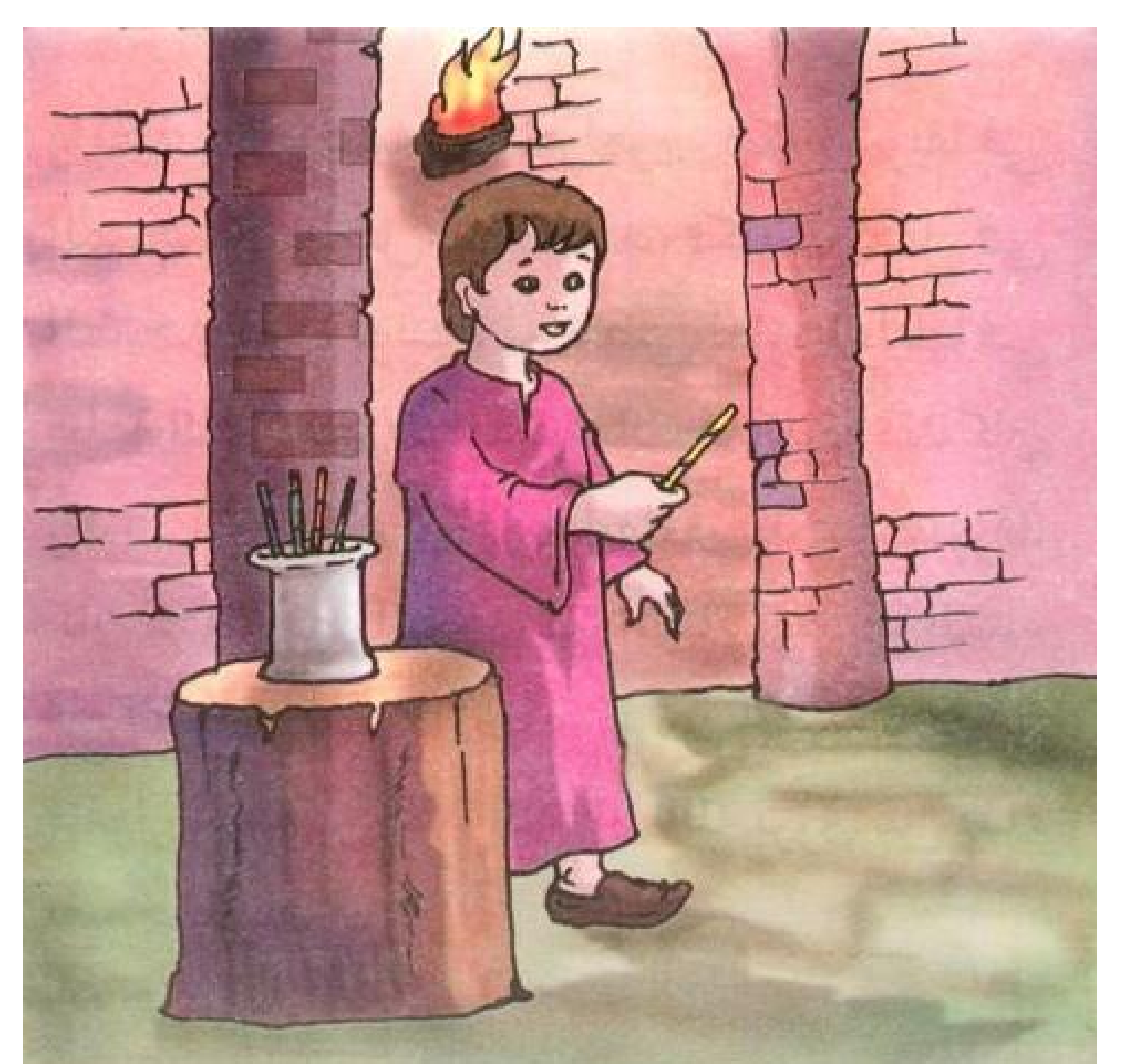
عاش عمران، وهو أحـــد الرجـــال الصالحين في زمن زكريا عليه السلام، مع زوجته، وكانت زوجة صالحة، ولكنها لم تكن تنجب، وفي يومٍ من الأيام رأت امرأة عمران طائرا مع فرخ له، فاشتهت الولد، ونذرت إن رزقها الله تعالى ولدا أن تجعله خـــادما لبيت المقـــدس، فاستجاب الله تعالى دعاءها، فحاضت، ثم حملت من زوجهـــا.

ومرت الأيام وقد ظهرت علامات الحمل على امرأة عمران، وزوجها فَرِحٌ، ينتظر المولود الذي يتمناه، ومرت التسعة أشهر، ولما جاء موعدٍ الوضع، وضعت امرأة عمران أنثى، وكانت تتمنى ولداً ليخدم بيت المقدس، فاتجهت إلى الله بالدعاء والحديث أنها ولدت أنثى، وسمتها مريم، ومع هذا، فقد وفت بما وعدت، وعزمت على أن تجعل مريم خادمة لبيت المقدس.

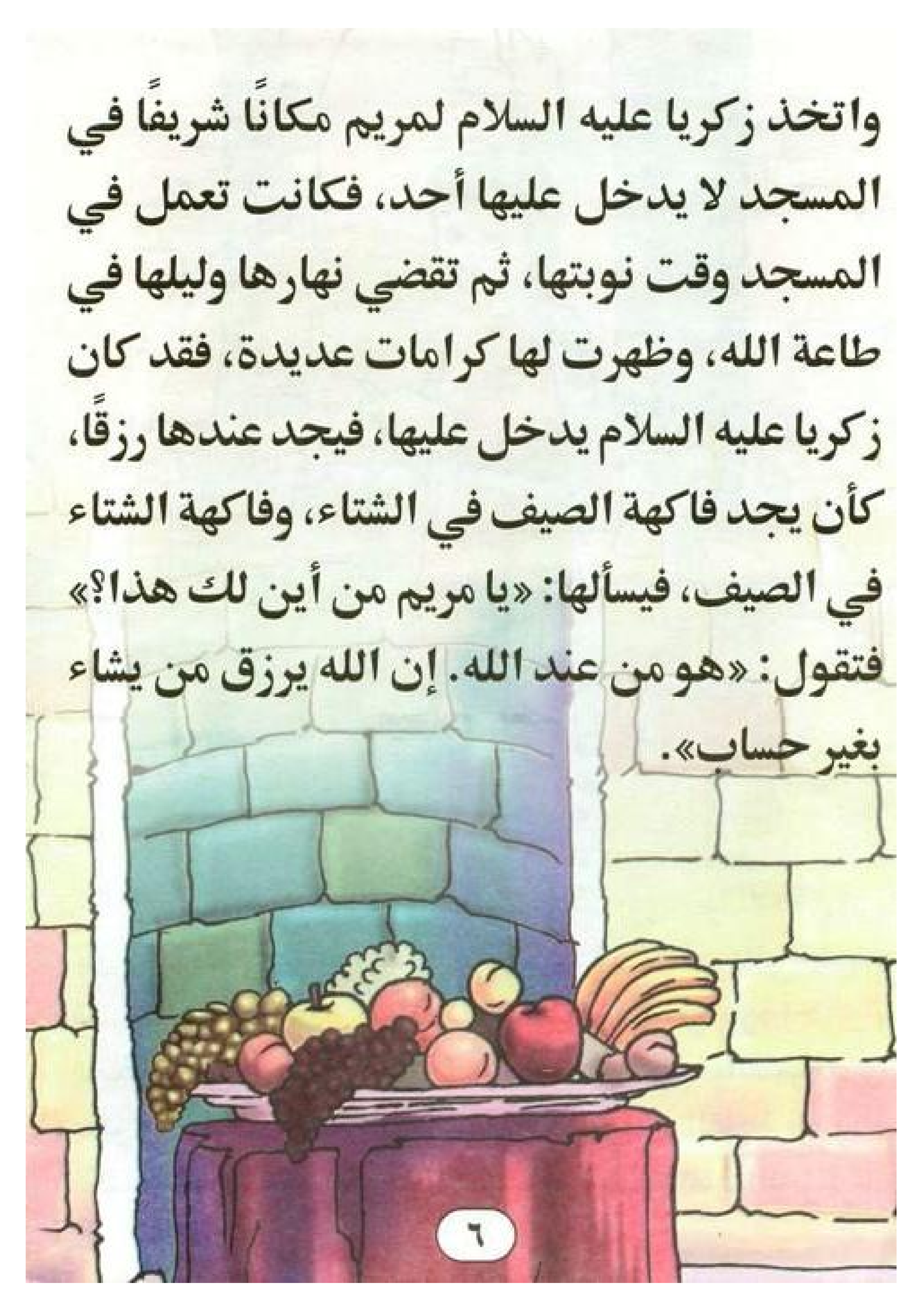


ومكثت مريم مع أمها عامين كاملين، هما مدة الرضاع، ثم لفتها في خِرقة، وخرجت بها إلى المسجد الأقصى، وكان عُبَّاد بني إسرائيل هناك، فكل منهم تمنى أن يكون كفيل مريم، ومنهم زكريا عليه السلام زوج أخت امرأة عمران، ولكنهم طلبوا منه أن يقترعوا، وينظروا من الذي يأخذ مريم، ويكون كفيلاً لها.

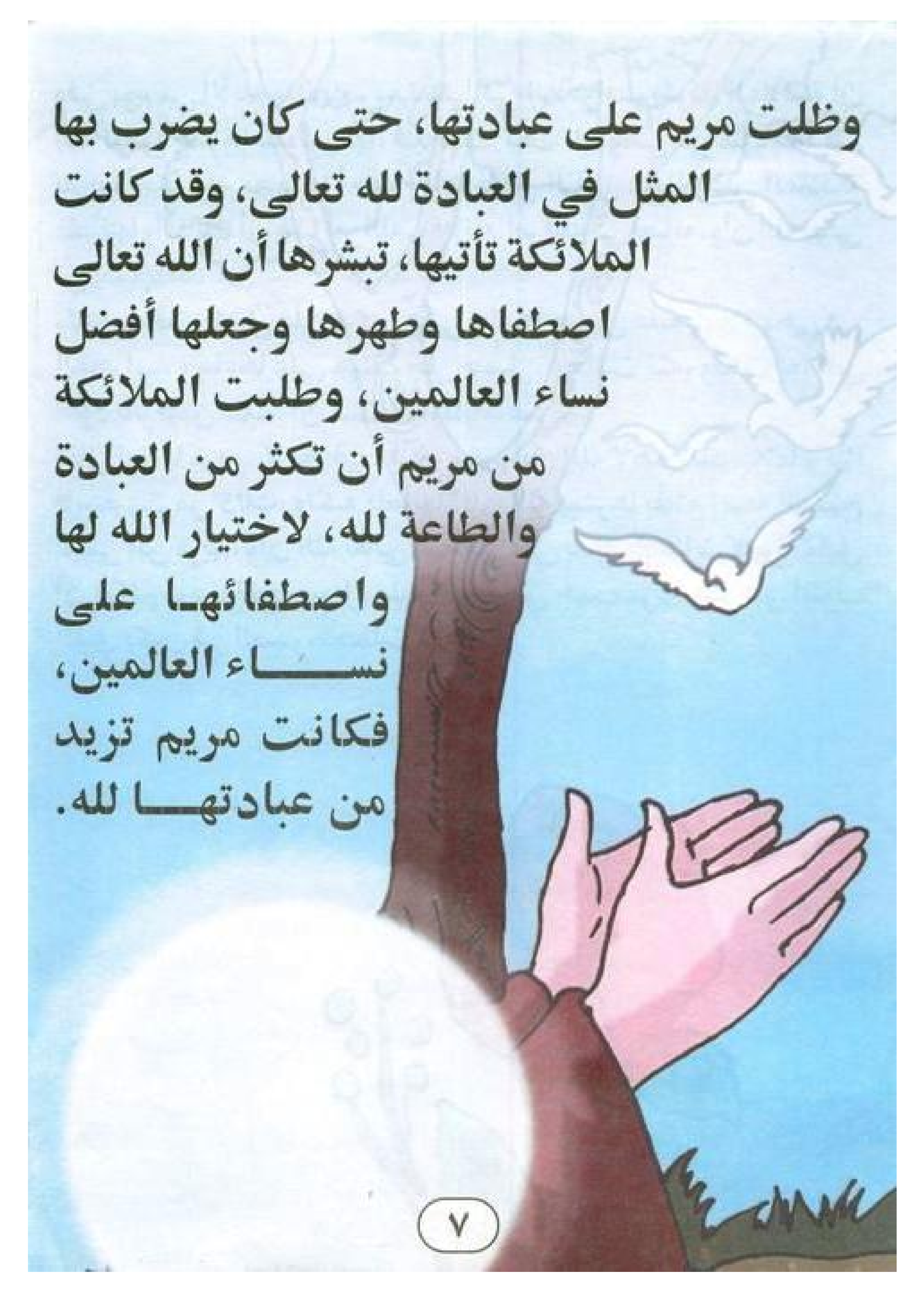




وجاء وقت القرعة، ووضع كل منهم قلمه، ووضعوا الأقلام في مكان واحد، ثم أتوا بغلام صغير، ثم أمروه أن يأتي بقلم، فظهر قلم زكريا عليه السلام، فطلبوا أن يقترعوا مرة أخرى، فاتفقوا على أن يرمي كل منهم قلمه في النهر، والقلم الذي يجري خلاف جرية النهر يكفلها، فخرجت القرعة لزكريا، فكرروها مرة ثالثة، فخرجت القرعة له أيضاً، فكفلها الله زكريا.



واتخذ زكريا عليه السلام لمريم مكانًا شريفًا في المسجد لا يدخل عليها أحد، فكانت تعمل في المسجد وقت نوبتها، ثم تقضي نهارها وليلها في طاعة الله، وظهرت لها كرامات عديدة، فقد كان زكريا عليه السلام يدخل عليها، فيجد عندها رزقًا، كأن يجد فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: «يا مريم من أين لك هذا؟» فتقول: «هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب».



وظلت مريم على عبادتها، حتى كان يضرب بها المثل في العبادة لله تعالى، وقد كانت الملائكة تأتيها، تبشرها أن الله تعالى اصطفاها وطهرها وجعلها أفضل نساء العالمين، وطلبت الملائكة من مريم أن تكثر من العبادة والطاعة لله، لاختيار الله لها واصطفائها على نساء العالمين، فكانت مريم تزيد من عبادتها لله.

وفي يوم من الأيام وبينما مريم تصلي في المحراب، بشرتها الملائكة أن الله تعالى يبشرها بمولود لها، فتعجبت كيف تلد وهي غير متزوجة؟ فلم يقربها أحد، ولم يخطبها أحد، وماذا يقول الناس عنها؟ ولكن الملائكة طمأنتها وأعلمتها أن هذا أمر الله، وقد نفد أمر الله في قضائه، وأن الله تعالى لن يضيعها أبداً.

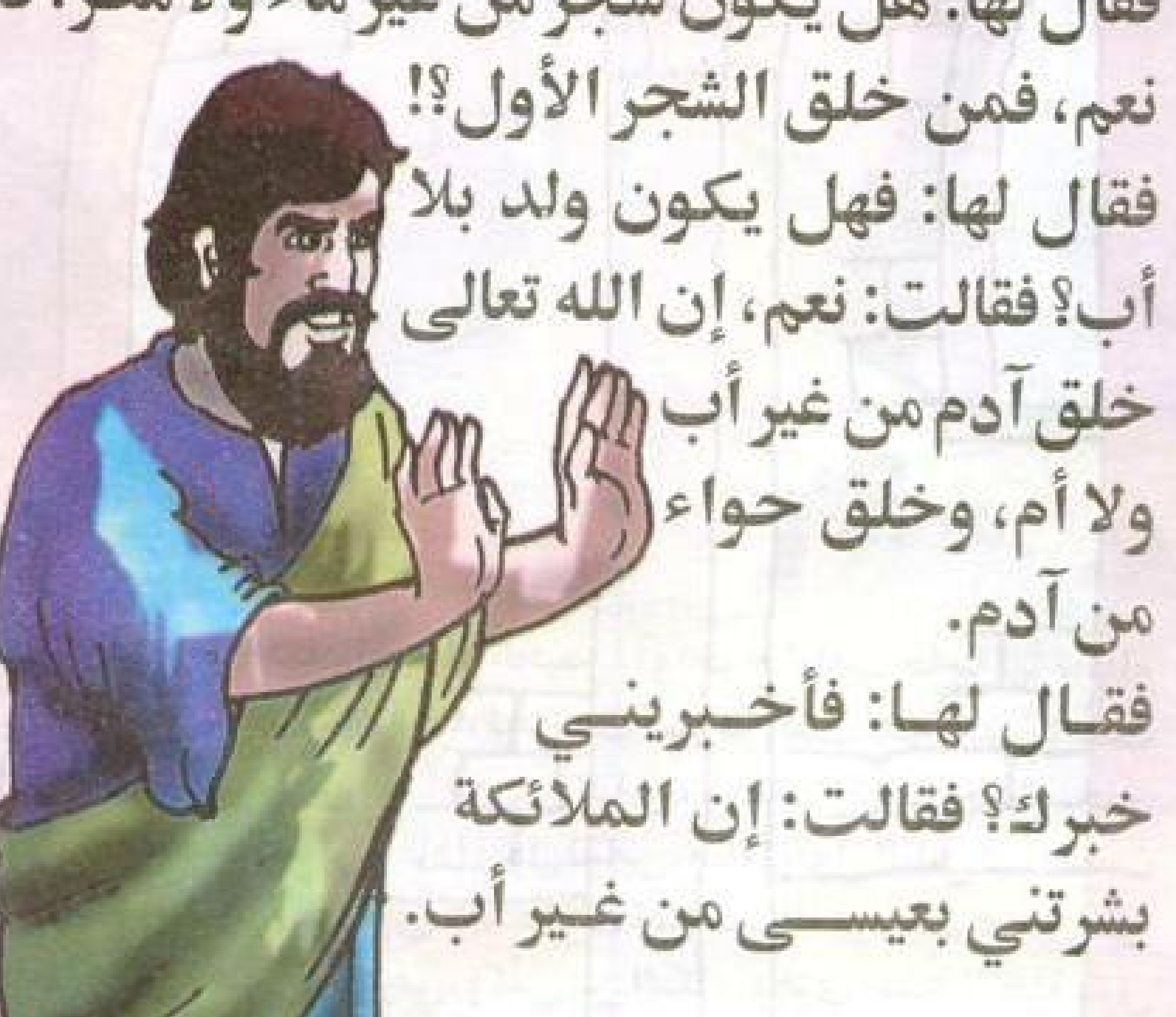
ولم يمر وقت طويل على مريم، حتى جاءها جبريل عليه السلام وهي في المحراب، وجاءها على هيئة رجل جميل، فخافت منه، وقالت له: إني أعوذ بالرحمن منك، إن كنت تقيا، فابعد عني.

فقال لها: يا مريم، لا تخافي، فأنا رسول من الله لأهب لك غلاماً زكياً، فاستغربت من ذلك، ولكنه طمأنها، فإن الله يبشرها بغلام اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وأن الله تعالى سيجعل على يديه معجزات كثيرة. وقبل أن تتكلم مريم، نفخ جبريل عليه السلام في جيب مريم وهو شق الثوب الذي يكون في الصدر، فحملت فوراً.



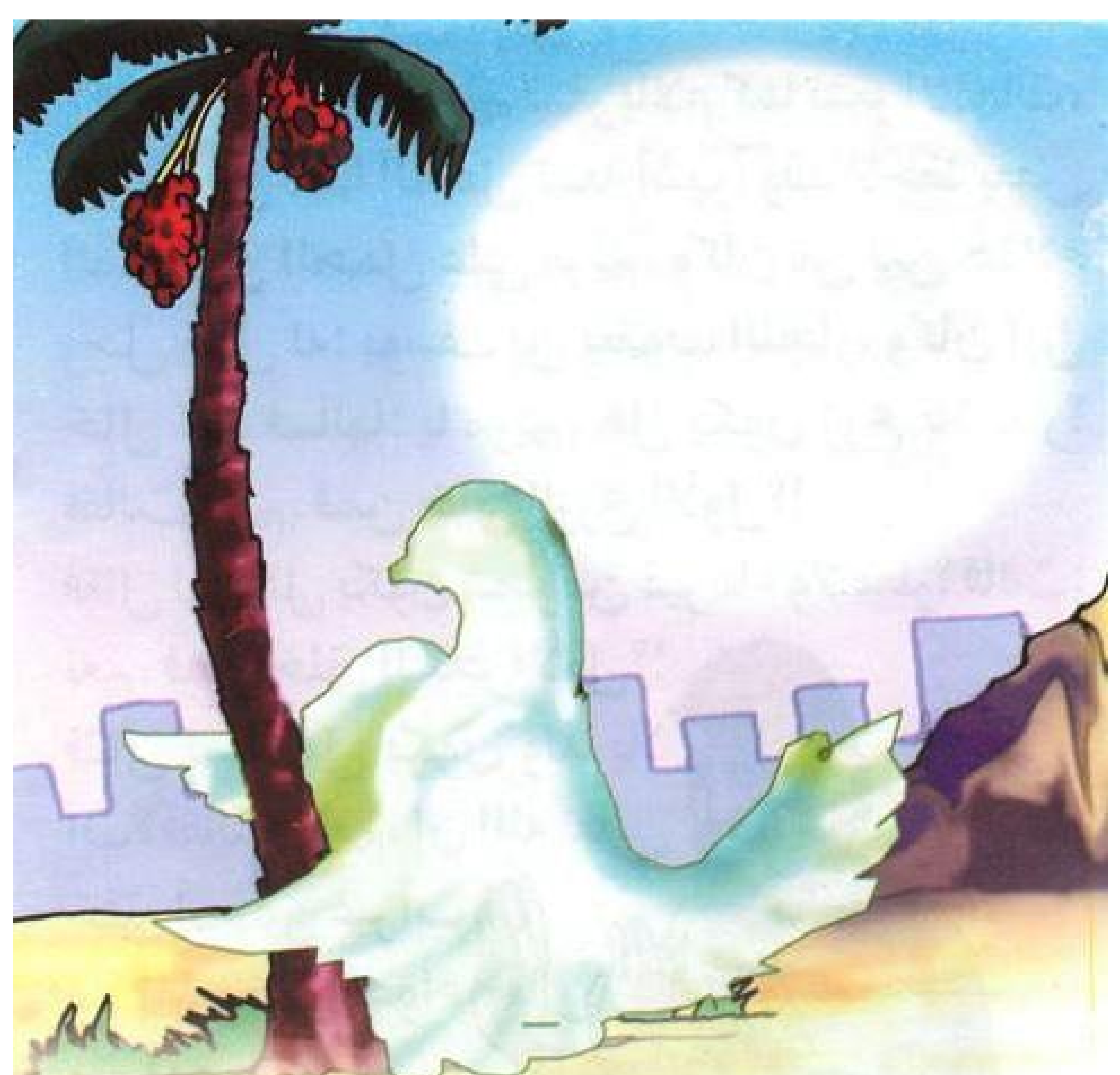
وحملت مريم، لكنها لم تشعر بآلام كما تشعر الأمهات، وظلت في هذا الحمل تسعة أشهر، وقد لاحظ بعض الصالحين الحمل على مريم، وكان من بين هؤلاء رجل يقال له: يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خال لها، فسألها: يا مريم، هل يكون زرع بلا بذر؟ فقالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول؟!

فقال لها: هل يكون شجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: نعم، فمن خلق الشجر الأول؟!



فقال لها: فهل يكون ولد بلا أب؟ فقالت: نعم، إن الله تعالى خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من آدم.

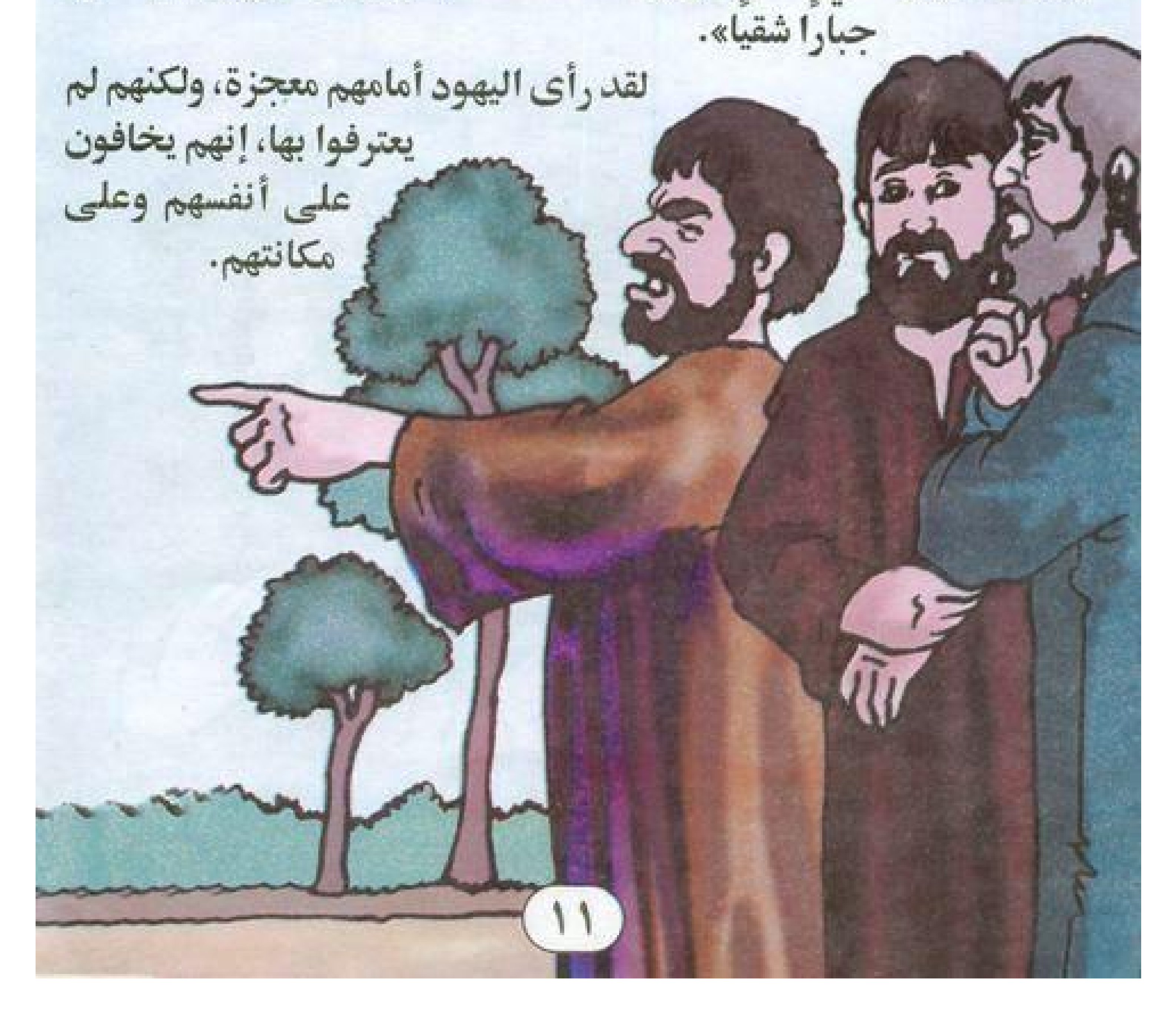
فقال لها: فأخبريني خبرك؟ فقالت: إن الملائكة بشرتني بعيسى من غير أب.



وكانت مريم تخرج من المحراب أيام الحيض، أو تخرج لطلب حاجة لها كطعام ونحوه، وأحست مريم أنها ستلد قريباً، فخرجت تسير في بيت لحم، حتى وصلت إلى مكان به شجر كثير، ليس فيه أحد من الناس، وجلست تحت جذع نخلة، فجاءها مخاض الوضع، فتذكرت ماذا تقول للناس، وماذا يقول الناس لها، فتمنت الموت، وقالت: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا). فوضعت عيسى عليه السلام، وناداها من تحتها ألا تحزني، وكفي عن البكاء، وهزي جذع النخلة ينزل عليك رطب، لتأكلي منه، فإن جاءك أحد، فأشيري إليه أنك صائمة عن الكلام، فإن الله تعالى سيدافع عنك، فعلمت أن الله تعالى لن يضيعها.

واستسلمتْ مريم لأمر الله تعالى، فحملت ابنها، وضمته لصدرها، وكان الوقت عصراً، فعادت إلى المسجد، والسوق في طريق المسجد، والناس جلوس في هذا الوقت قد أنهوا تجارتهم، وجلسوا يتحدثون، فرأوا مريم تحمل طفلاً، فقال رجل منهم: طفل من هذا الذي تحمله مريم؟ وطار الخبر إلى أحبار اليهود، وقالوا لها: طفل من هذا يا مريم؟ إنه طفلك بالطبع، وكيف أتيت به وأنت من بيت طاهر شريف، لم يعرف عنه السوء والفحشاء؟ والتف الناس حولها، واشتد الكلام، فأشارت إليه، فعلموا أنها صائمة عن الكلام، ولكنهم قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ فنطق عيسى عليه السلام، وقال لهم: «إني عبد الله، آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقياً».

لقد رأى اليهود أمامهم معجزة، ولكنهم لم يعترفوا بها، إنهم يخافون على أنفسهم وعلى مكانتهم.



وجلس أحبار اليهود مع أنفسهم، فقال أحدهم: أرأيتم، لقد نطق الرضيع، إنه سيكون نبياً، ولن نستطيع أن نقول للناس: إننا وسيلتهم إلي الله.

وقال آخر: إننا لن نستطيع أن نأخذ منهم الأموال التي نغفر لهم بها الذنوب.

وقال ثالث: لابد من حل، لابد من قتل هذا الرضيع، قبل أن يكبر.

وذهبوا إلى الملك وأخبروه بأن ملكه سيزول، وخافت مريم على ولدها، فهاجرت به إلى مصر، ثم عادت بعد ذلك بفترة.

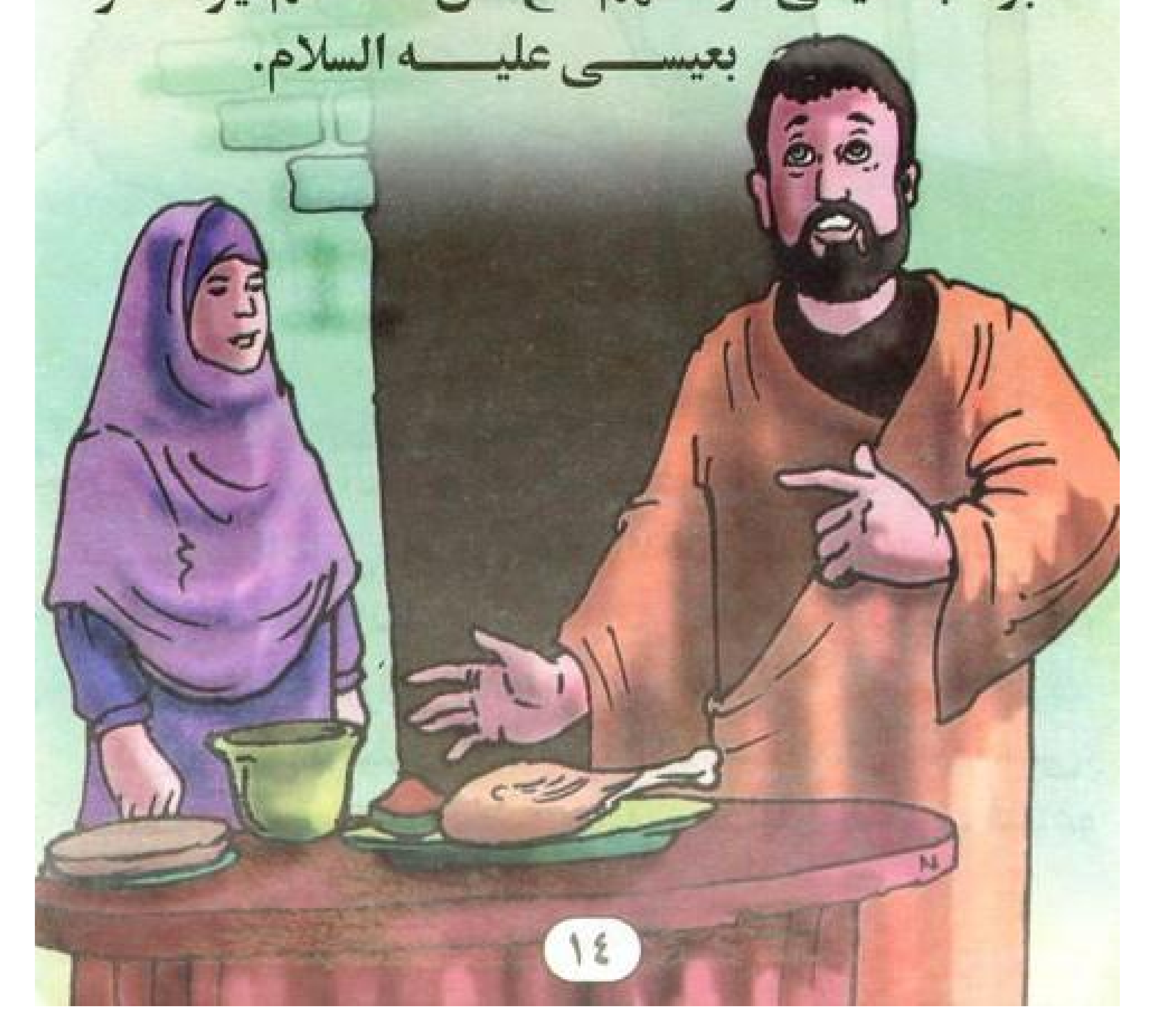




كبر عيسى عليه السلام، وقد أيده الله تعالى بمعجزات، فكان يجلس مع الناس، ويرون معجزاته التي أيده الله تعالى بها، فكان يأخذ من الطين، فيصنع ما يشبه الطير، ثم ينفخ فيها، فتكون طيراً يطير في الهواء بإذن الله.

وكان الناس يجيئون إليه بالولد الأكمه الذي ولد أعمى، فيمسح على عينيه، فيبصر بعينيه. ويجيئه المرضى، فيدعو الله لهم، فيشفيهم بإذن الله تعالى.

وظل عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل، وآتاه الله تعالى الإنجيل، وعلمه التوراة، فكان لا يتوانى عن دعوة الناس إلى الحق بعد أن ضلوا، ولكنٍ أحبارِ اليهود كانوا يستهزئون به، ويقولون: إن كنت نبيا حقًا، فأخبرني ما الطعام الذي جهزته زوجتي لي؟ فيقول له: عندكم في البيت كذا وكذا، فيذهب الرجل إلى البيت فيجد ما أخبره به عيسى، ولكنهم مع كل هذا لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام.



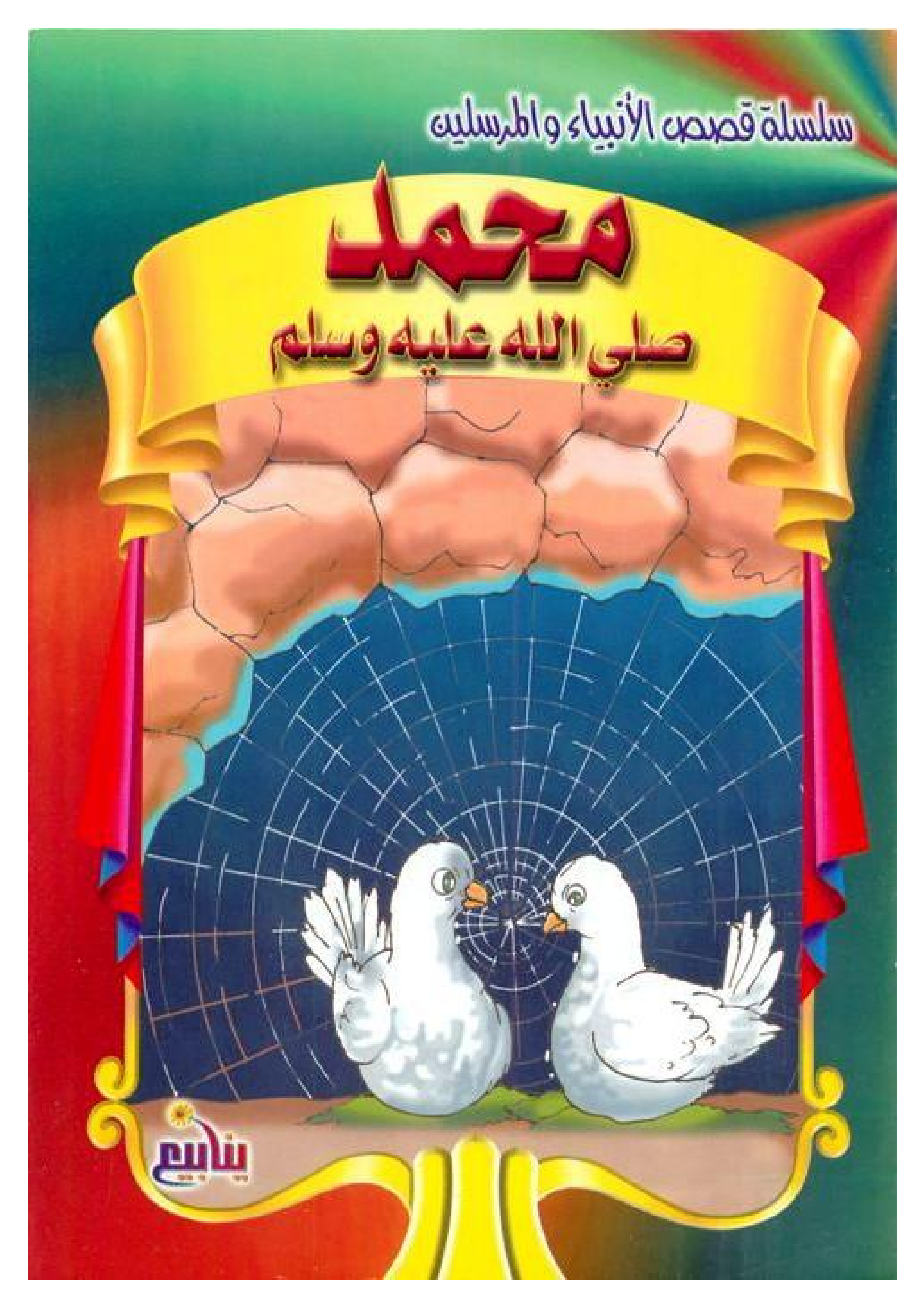
وظل عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله، فآمن معه اثنا عشر رجلاً، حتى هؤلاء فقد أتعبوا عيسى، فقد طلبوا منه أن ينزل الله مائدة من السماء ليأكلوا، فدعا عيسى ربه، فاستجاب الله تعالى دعاءه، ولكن الله تعالى حذر من يكفر بها بعد نزولها، فإن الله تعالى سيعذبه عذاباً شديداً، وأنزل الله مائدة من السماء فأكل الحواريون منها، فكانت لهم عيداً من أعيادهم.



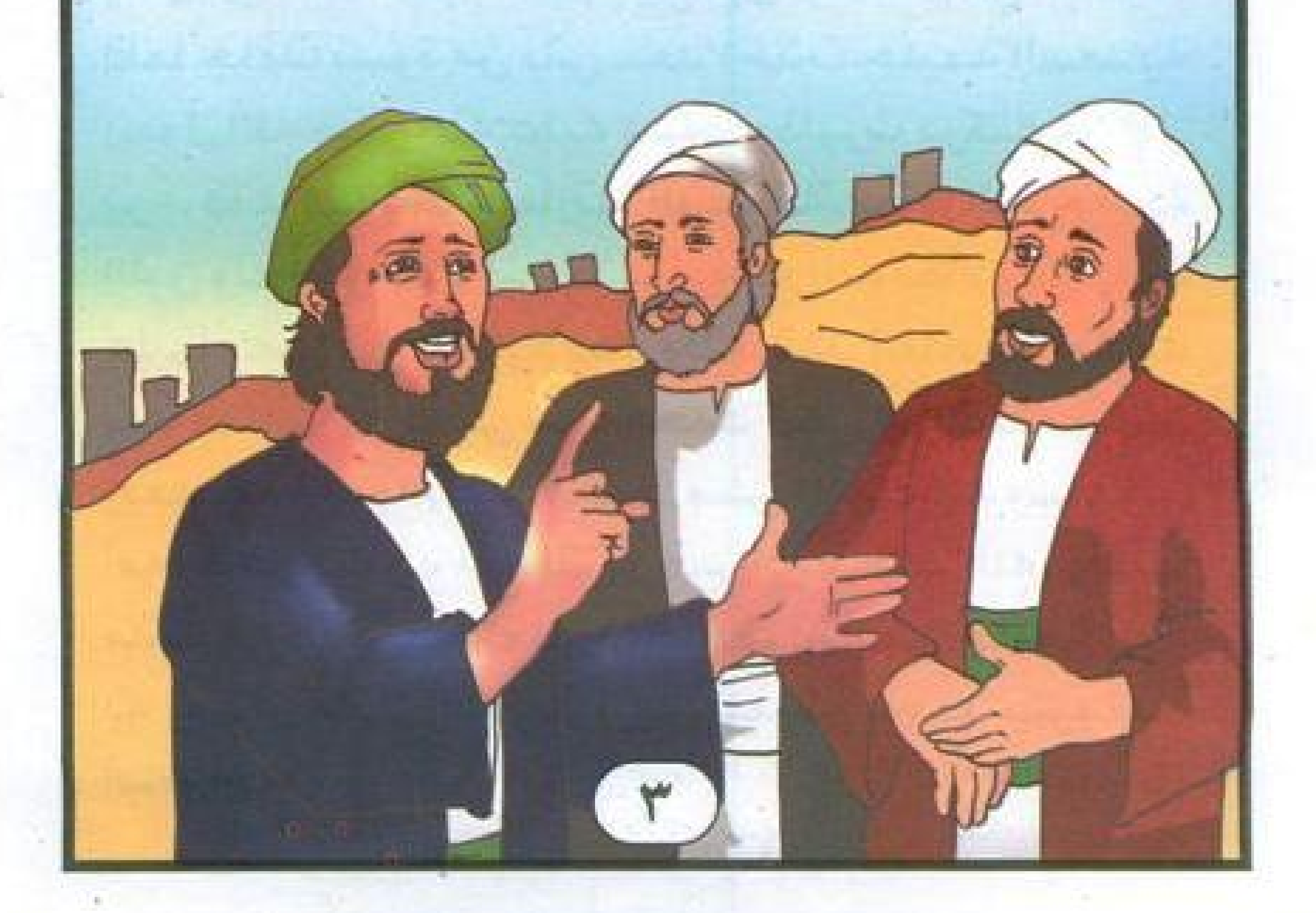
وانتشر أمر عيسى عليه السلام، ومع أنه لم يؤمن له كثير من اليهود، ولكنهم ظلوا يتآمرون عليه، ففكروا في قتله، وفي اليوم الذي فكر فيه اليهود في قتل عيسى عليه السلام، أخبر عيسى الحواريين بمؤامرة القتل، وقال لهم: من منكم يصلب مكاني ويكون معي في الجنة؟ فقام شاب، فقال له: اجلس، لأنه كان صغير السن. ثم ردد السؤال، فقام هذا الشاب، فأسقط عليه شبه عيسى، ولما جاء جنود الملك الذي استمع لليهود، وأصعد الله عيسى إلى السماء من فتحة من البيت، وقبض الجنود على شبيه عيسى، وقتلوه وصلبوه.

وقد أخبرنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان، يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقيم العدل في الأرض ثم يموت، لأن كل إنسان مكتوب عليه الموت.




سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين
محمد
صلي الله عليه وسلم

في مكة المكرمة ولد النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن مات والده في رحلة للتجارة، ولما ولد أرسلت أمه إلى جده عبد المطلب لتبشره، فأسرع إليه وكان عند الكعبة، فلما رآه فرح به، وحمد الله تعالى على ذلك، وسماه محمداً، فلما سئل عن ذلك، قال : أحب أن يكون محموداً من الله، ومحموداً من الناس.





وكان من عادة العرب أنهم يرضعون أولادهم في البادية، فلما جاءت نسوة من بني سعد أخذت حليمة السعدية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظهرت بركته من أول يوم، فقد أسرعت حمارتها الضعيفة، ورزق الله حليمة اللبن ولم يكن فيها لبن كثير، ووسع الله تعالى من رزقه عليها وعلى زوجها وأولادها، ولذا، فقد استأذنت حليمة بعد العامين أن يبقى معها محمد صلى الله عليه وسلم.
وبعد عدة أعوام عاد محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمه، فخرجت به أمه لتزور قبر أبيه عبد الله، ولكنها ماتت في المدينة المنورة، فعادت أم أيمن خادمة أبيه به بعد أن ماتت أمه بعد أبيه، ليعيش محمد يتيما بلا أب أو أم.

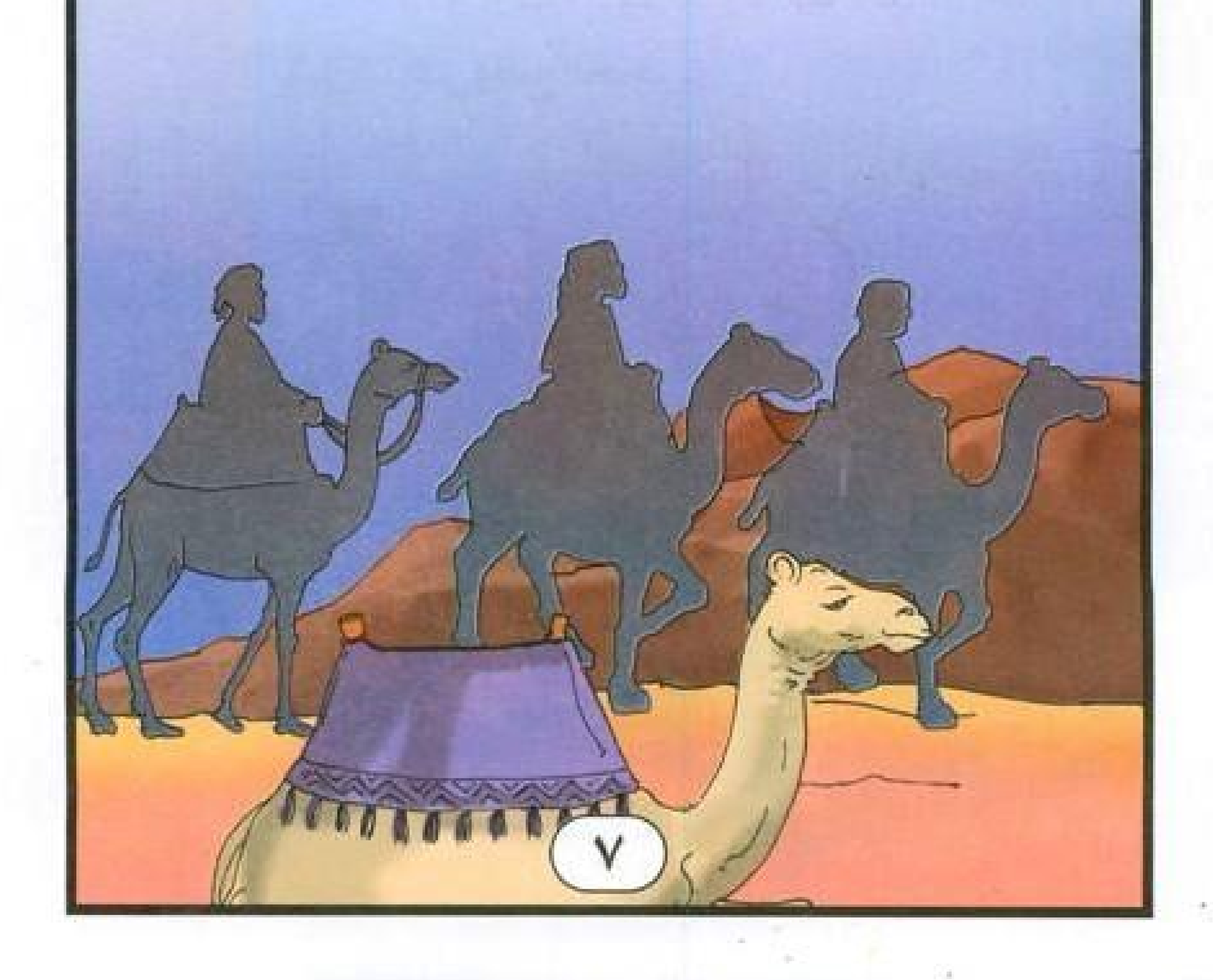


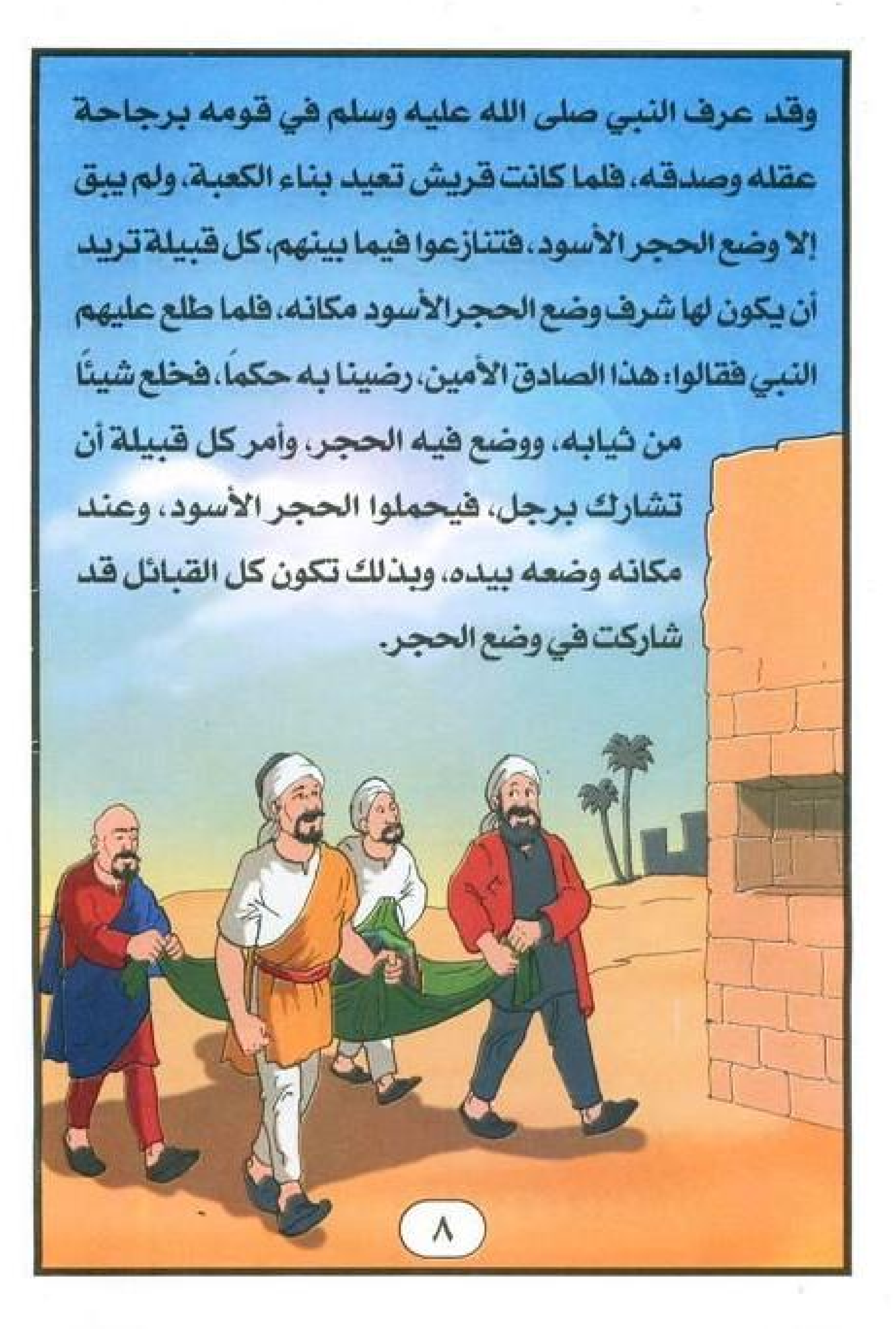
وتولى تربيته جده الذي كان يحبه حباً شديداً، وكان لجده مجلس عند الكعبة لا يجلس معه فيه أحد، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يجلس بجواره، ويحاول أعمامه أن يمنعوه من الجلوس بجوار جده، واكن جده كان يأمرهم بتركه، لشدة حبه له، وكان يقول: إن لولدي هذا شأنا عظيماً.

ولم يمر وقت طويل حتى مات جده عبد المطلب، وقام بتربيته أبو طالب، فكان يحبه ويفضله على أولاده، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج مع عمه في تجارة، فلبى عمه طلبه، وفي هذه الرحلة رآه بحيري الراهب، فأخبر عمه أن يحافظ عليه من اليهود لأنه سيكون له شأن كبير، ولو علم اليهود به لقتلوه، فأمر أبو طالب بعض رجاله أن يعودوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.



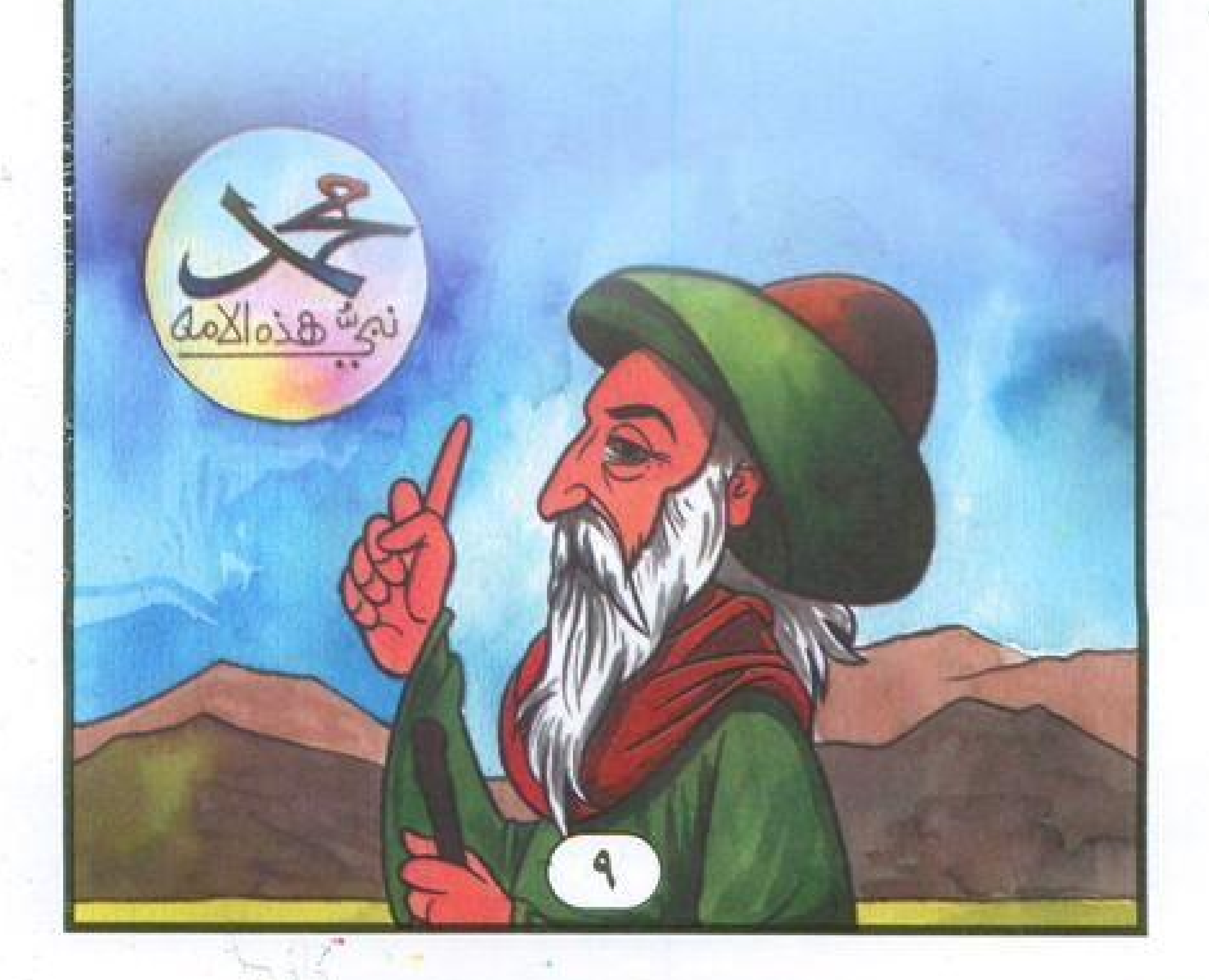
ولما سمعت به خديجة بنت خويلد، وكانت من شريفات مكة، وكان لها تجارة، فطلبت من محمد صلى الله عليه وسلم أن يتاجر لها، فخرج في تجارتها، فربحت كثيراً، وأعجبت به، وطلبت الزواج منه، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم.



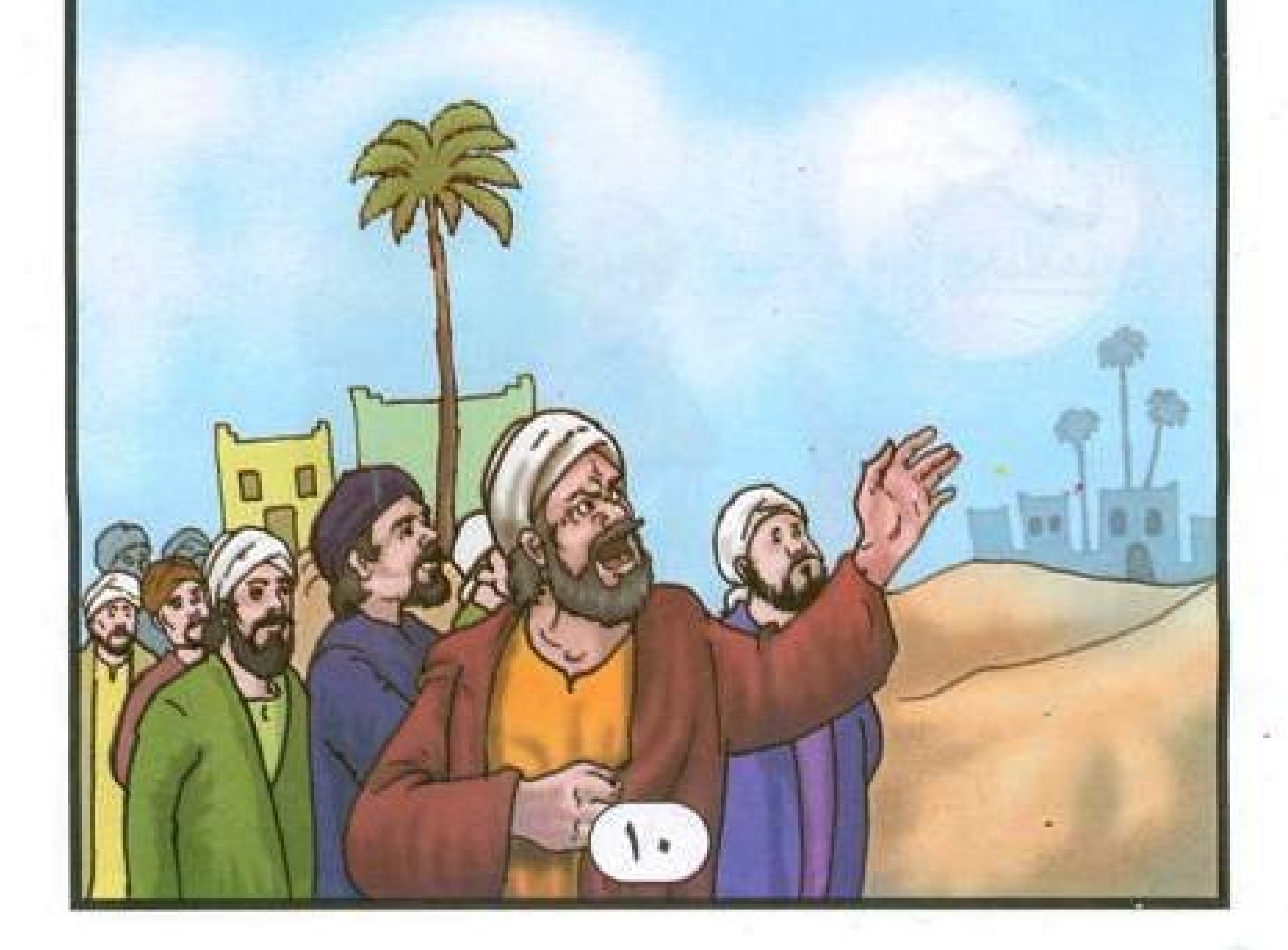


وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم في قومه برجاحة عقله وصدقه، فلما كانت قريش تعيد بناء الكعبة، ولم يبق إلا وضع الحجر الأسود، فتنازعوا فيما بينهم، كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر الأسود مكانه، فلما طلع عليهم النبي فقالوا: هذا الصادق الأمين، رضينا به حكماً، فخلع شيئاً من ثيابه، ووضع فيه الحجر، وأمر كل قبيلة أن تشارك برجل، فيحملوا الحجر الأسود، وعند مكانه وضعه بيده، وبذلك تكون كل القبائل قد شاركت في وضع الحجر.

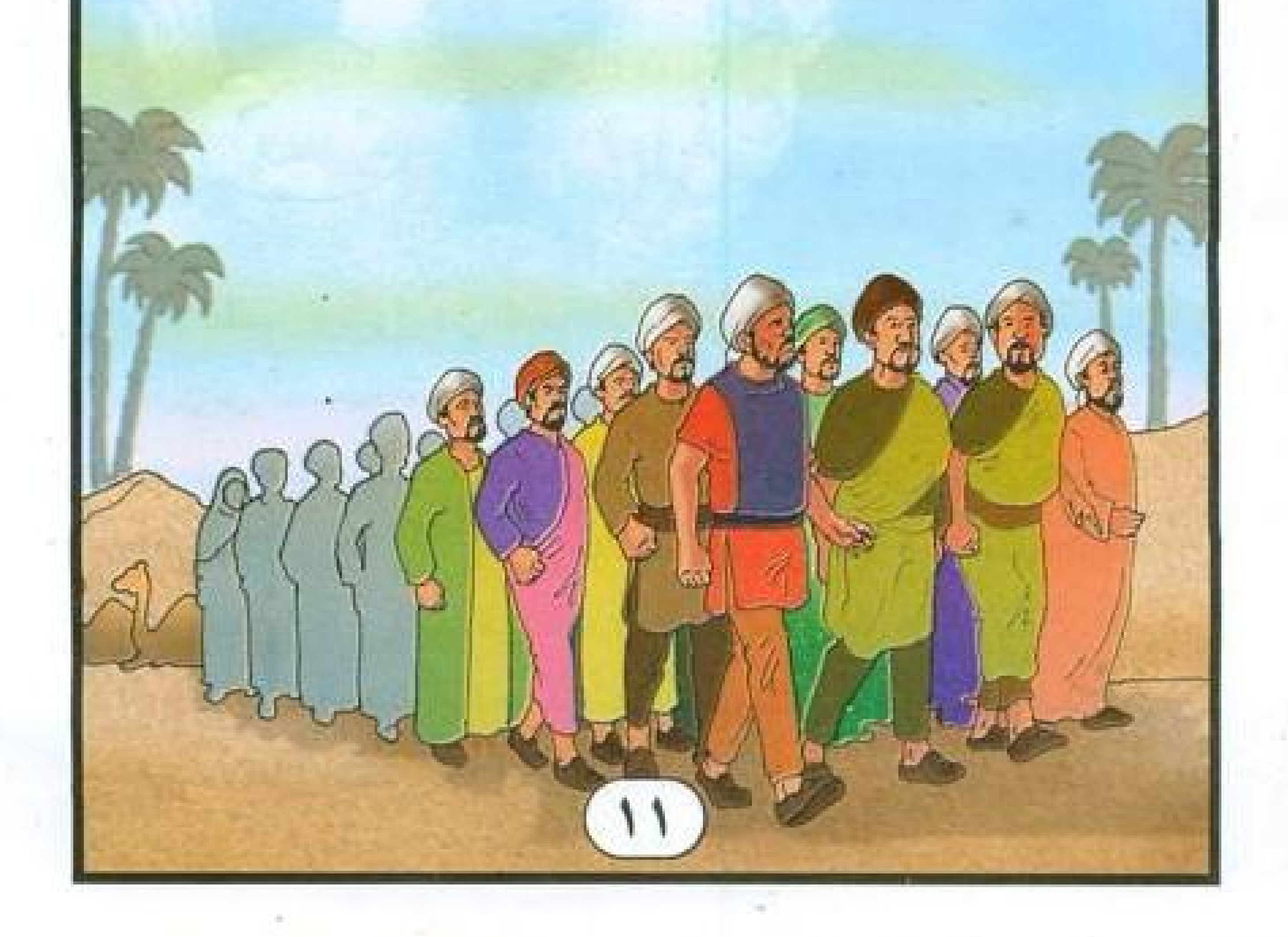
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب إلى غار حراء يتعبد فيه لله تعالى، فيأخذ الطعام والشراب ويمكث الليالي فيه، وفي ليلة من الليالي طلع عليه ملك هو جبريل ولم يكن يعرفه، وأخبره أنه نبي هذه الأمة، فخاف النبي صلى الله عليه وسلم وذهب إلى خديجة فطمأنته، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل الذي بشره أنه نبي هذه الأمة، فاشتاق النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ليحمل شرف الدعوة إلى الله.

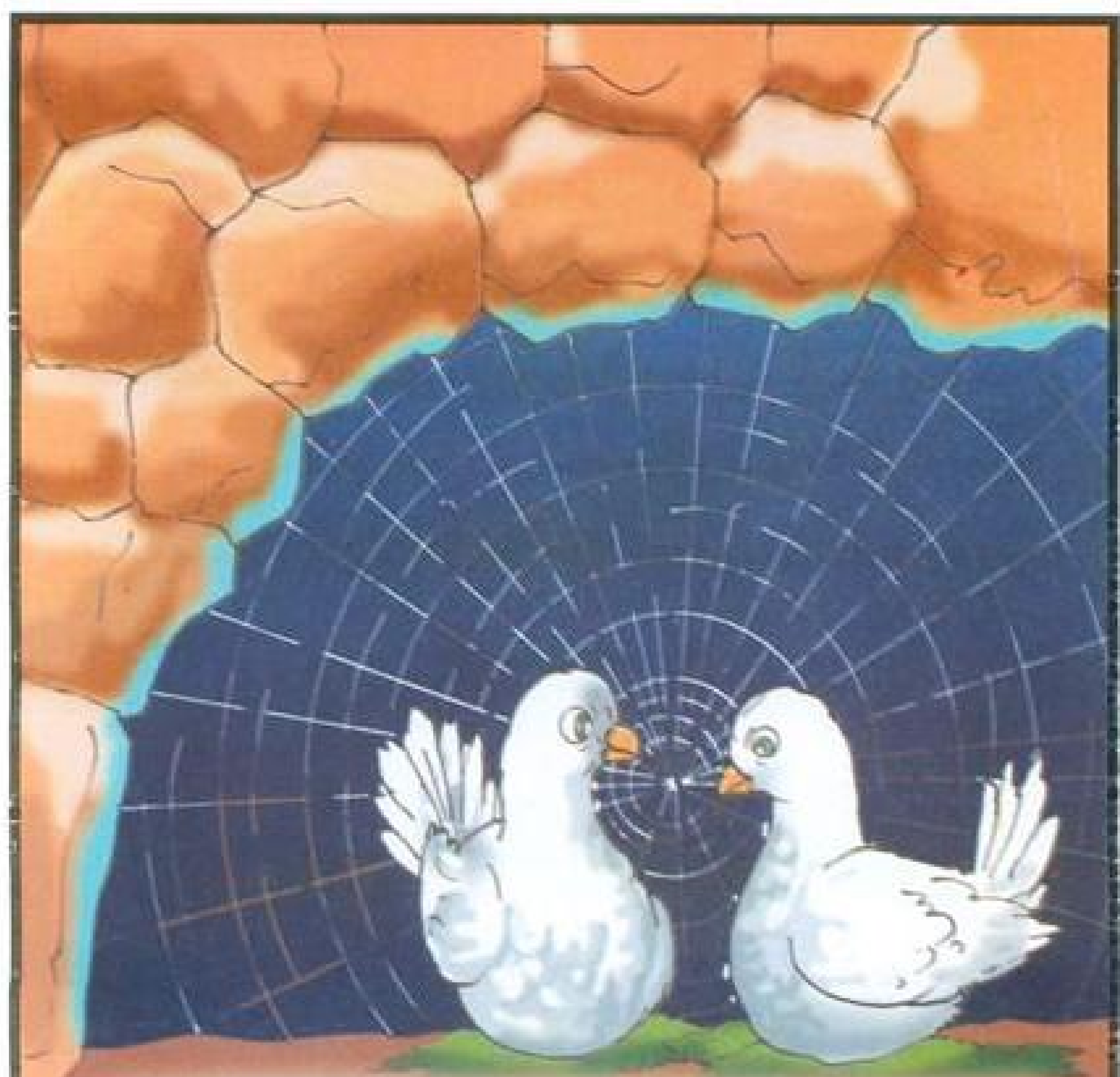


وبعد أن أصبح محمد نبيا، بدأ الدعوة إلى الله تعالى، فكان يدعو أصحابه، فآمن به بعضهم، وكان يخرج في الأسواق وفي موسم الحج يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، وفي يوم من الأيام طلب الرسول أقاربه، ووقف على جبل الصفا، وأخبرهم أنه نبي من عند الله تعالى، فمن أطاع الله، دخل الجنة، ومن عصاه، دخل النار، فصد عنه كثير من قومه.



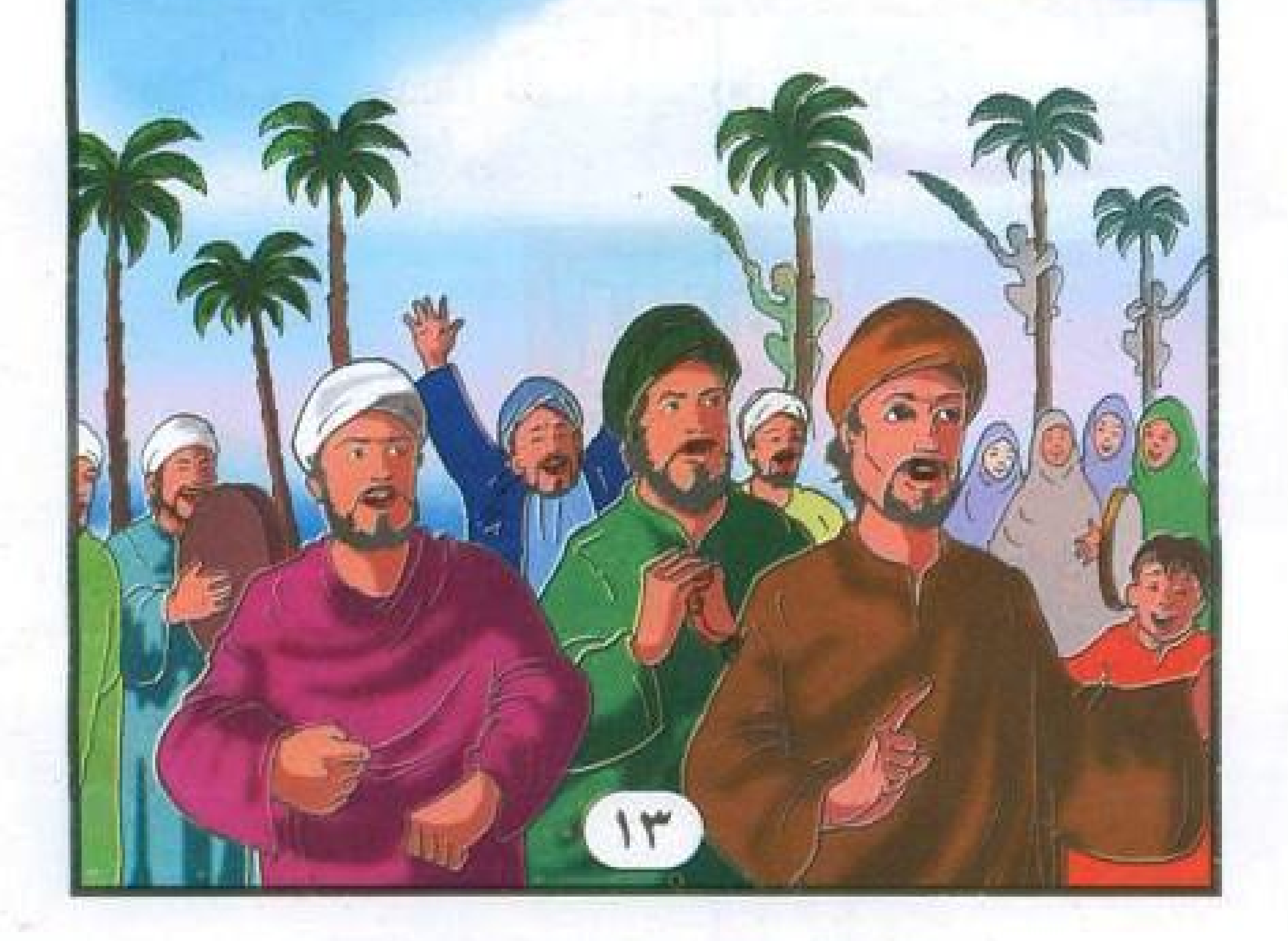
وفي أحد مواسم الحج، وبينما الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الحجاج إلى عبادة الله تعالى، قابل جماعة من يثرب، وآمن به نفر قليل، وكلموا قومهم، وأتوا بعدد لا بأس به في العام القادم، وتعاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إليهم، لتكون يثرب أرضا ينطلق منها الإسلام بعد أن عذب مشركو قريش من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم وآذوهم.





وقد طلب الرسول من الصحابة أن يهاجروا إلى يثرب، فتسلل كثيرمن الصحابة، وكان المشركون يريدون منعهم، بل منعوا بعضهم، وتأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة، حيث طلب من أبي بكر أن يتأخر، وأعد الرسول العدة، وسلك طريقاً غير معروف، واختبأ في غار ثور ثلاثة أيام، حتى تمكن من الوصول إلى المدينة، بعد أن أعلنت قريش جائزة عظيمة لمن يقبض علي النبي حياً أو ميتاً.

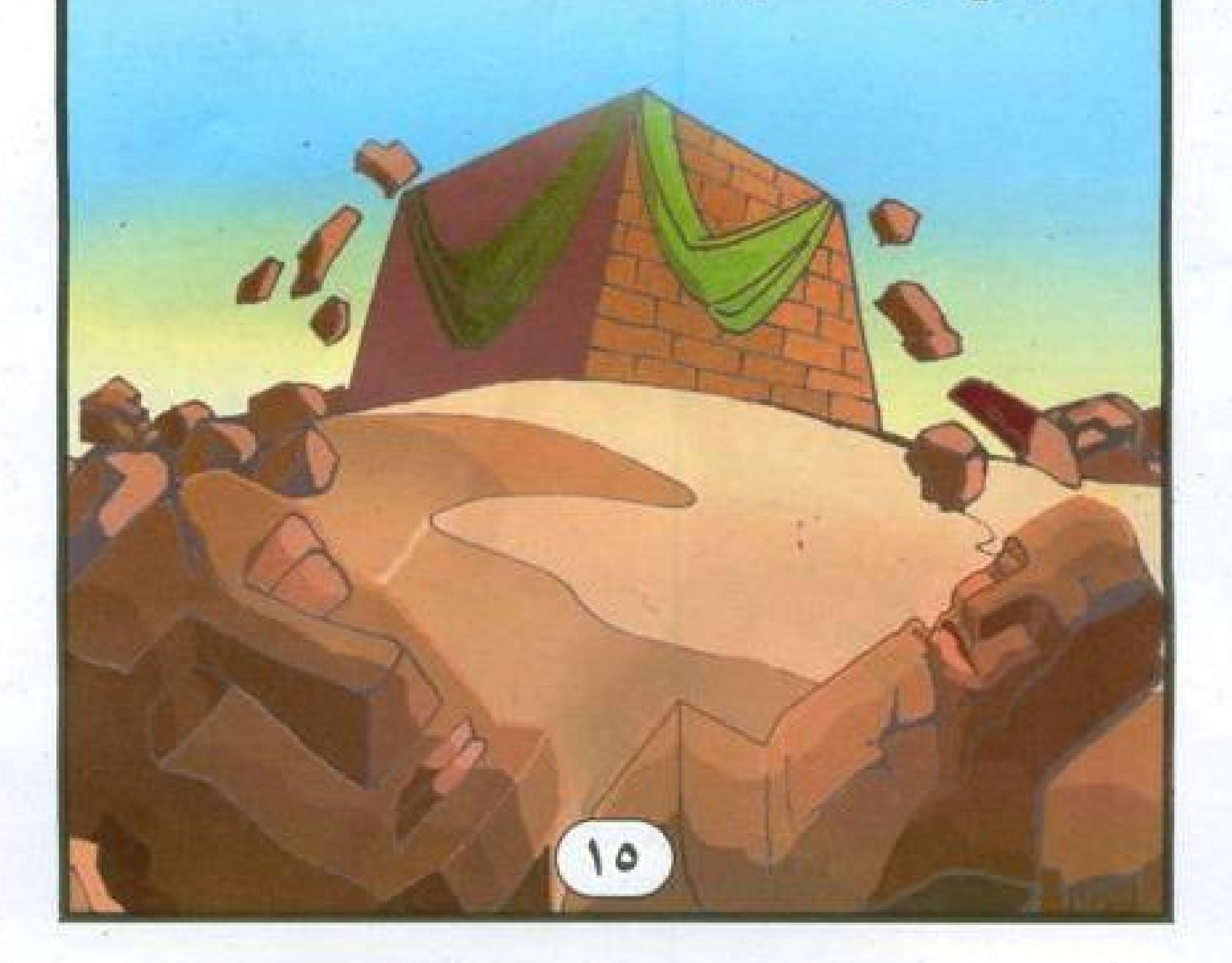
واستقبل أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشر والترحاب، وكل منهم يريد أن يأخذ بخطام ناقته حتى ينزل عنده، ولكن الرسول أخبرهم أن يتركوها فإنها مأمورة، وفي المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول اشترى الرسول هذه الأرض وبنى فيها مسجده، وأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى.



ولكن المشركين أحسوا بالخطر، فقد أصبح محمد له دولة ناشئة، وهم يمرون بتجارتهم في طريق المدينة، وقد كان أبو سفيان خرج بقافلة تجارية، فأمر الرسول الصحابة أن يخرجوا لها، لأن المشركين أخذوا أموال المسلمين وديارهم في مكة بعد الهجرة، فأراد الرسول أن يسترد بعض الحق، وسمعت قريش بذلك، فخرجت بجيش كبير، وخرج مع الرسول عدد صغير، لم يضع في حسبانه أنه ستكون هناك معركة، وعند بئر بدر قامت أول معركة كبرى، انتصر فيها المسلمون على المشركين. ثم دارت بعدها عدد من الغزوات كان النصر حليفاً للمسلمين فيها إلا غزوة أحد.



وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه مبادئ الإسلام، ويعلمهم ما كان ينزل عليه من القرآن الكريم، فعلم الناس الأخلاق الحسنة، والمعاملات الطيبة، وأن يعيش الإنسان كريماً بين أهله، يعبد الله تعالى الذي خلقه، وعقد معاهدات مع اليهود والمشركين، ولما نقض المشركون العهد أتى الرسول بجيش فتح فيه مكة، وكسر الأصنام التي كانت حول الكعبة، وطهر بيت الله الحرا م، وعفا عمن ظلمه وحاربه، فدخل الناس في دين الله أفواجاً.



وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه برسائل منه لملوك ورؤساء الدول وقتها، لأن الإسلام دين عالمي، فرد بعضهم ردا حسنا، واغتاظ بعضهم وحاربوا الرسول خوفًا على مصالحهم، ولكن الله نصره.

وظل النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دين الله تعالى، ويقربهم إليه، حتى توفاه الله ، في العام الحادي عشر من الهجرة، فبكى عليه الصحابة بكاء لا مثيل له، ولكنه ترك لنا كتاب الله وسنته، ليكونا مصباحًا ينير لنا الطريق إلى يوم القيامة.

